

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية - أدرار



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

الخطابة السياسية في القرنين الأول و الثاني الهجريين -مقاربة تداولية-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللغة و الأدب العربي

إشراف :

- أ.د. عبد القادر قصابي

إعداد الطالب:

مولود اباغال

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة أدرار	أستاذ التعليم العالي	أ.د. أحمد جعفري
مشرفا ومقررا	جامعة أدرار	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد القادر قصابي
عضوا مناقشا	جامعة أدرار	أستاذ التعليم العالي	أ.د. تكتك إكرام
عضوا مناقشا	جامعة تامنغست	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الله عماري
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الحكيم والي دادة
عضوا مناقشا	المركز الجامعي البيض	أستاذ محاضر -أ-	د. العيد علاوي

الموسم الجامعي: 1442-1443هـ / 2020-2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و تقدير

أحمد الله على جزيل نعمه وأشكره شكر المعترف بمننه وآلائه على توفيقه لي في إنجاز هذه الأطروحة.

أقدم جزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور "عبد القادر قصاصي"، الذي لم يدخر جهدا في إرشادي وتوجيهي، جزاه الله في الدارين خير الجزاء.

وأقدم بشكري الجزيل في هذا اليوم إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم علي بقبول مناقشة هذه الأطروحة.

كما أشكر كل الأساتذة الذين درسوني طيلة مشواري الدراسي، وكل الشكر والتقدير لمؤطري جامعة أدرار، وإلى كل الأصدقاء والزملاء الذين أعانوني بنصحهم و توجيههم ، حفظكم الله وبارك في علمكم وأدبكم.

أ.مولود

الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من ربياني صغيرا
إلى من يخجل القلم واللسان من أن يفيعها حقهما من الوصف
والتعبير، إلى مصدر إلهامي وقوتي في الحياة
إلى والدي الكريمين، بارك الله في عمرهما.

إلى إخوتي.

إلى زوجتي التي بذلت جهدا في مساعدتي

إلى أولادي أصلحهم الله

إلى كل من شجعني وأعانني: "أصدقائي ورفاقي".

أ.مولود

مقدمة

مقدمة

شهدت الدراسات اللسانية في مستهل القرن العشرين تحولا كبيرا وتطورا سريعا، بانتقال الفلسفة البنيوية إلى اللسانيات الحديثة، إذ أصبح المنهج البنيوي أكثر المناهج تأثيرا وانتشارا بارتكازه على الدراسة العلمية الموضوعية للغة، والعناية بالبنية اللغوية والنظام اللساني للبنية، وبذلك تم استبعاد المعنى وعلاقة اللغة بالمجتمع والعالم الخارجي، مما دفع بعض اللغويين بالقول إن ما أنجزه البنيويون لا يعدو أن يكون سوى دراسة لبعض جوانب اللغة، وإن دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها أدى إلى عزلها عن الواقع، وأهمل جانبها الاستعمالي الفعلي. فظهرت اتجاهات لسانية أخرى حديثة اهتمت بالعناصر التي استبعدتها البنيوية كالدراسات الوظيفية التي تهتم بدراسة اللغة وهي تؤدي وظيفتها التواصلية، وترى أن اللغة ظاهرة بشرية متكاملة لا ينبغي إغفال وإهمال أبعادها الثقافية والاجتماعية والنفسية. وكان من نتائج تطور هذه الدراسات ظهور اللسانيات التداولية كعلم جديد للتواصل لا تكتفي بوصف وتفسير البنية اللغوية وتتوقف عند شكلها، ولكنها تدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال فتأخذ على عاتقها تحليل عمليات الكلام ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها، ومن ثم دمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره .

فالتداولية هي أداة للتفسير والنقد معا يمكن الاستعانة بها في فهم وتحليل نصوص وخطابات من أجناس أدبية مختلفة ولا سيما الخطابة التي هي فن قولي بالأساس يلجأ فيه الخطيب إلى استمالة الجمهور والتأثير فيهم وإقناعهم، ويرجع ظهورها كعلم له قواعده إلى الحضارة اليونانية القديمة حيث لاقت رواجا كبيرا وأصبحت صناعة مؤثرة في المجتمع، كما عرفها الرومان في عصر الحرية، وهي عند العرب ذات مكانة عظيمة تنافس الشعر لما لها من تأثير في النفوس، حيث وظفوها في حروبهم ومفاخراتهم ومنافراتهم، وهي فن يحمل

العديد من الخصائص التداولية إذا ما عرفنا بأن الخطابة تتداخل مع البلاغة التي هي تداولية في صميمها كما يقول "ج. ليتش" زيادة على أنها فن تواصلية بالأساس، وهذا ما نلمسه في تعريف شوبنهاور للخطابة: حيث يجعلها ملكة مشاركة الآخرين لأرائنا وطريقة تفكيرنا وإيصال عواطفنا إليهم وجعلهم يتعاطفون معنا ولا يتحقق ذلك إلا بغرس أفكارنا في أذهانهم بواسطة الكلمات، كما نرى أنها تفيد الاشتراك عند العرب من المخاطبة (المفاعلة) وهو تعريف يتجه نحو وظيفة الخطابة، التي هي خطاب يستجيب لمختلف قضايا التداولية ومباحثها خاصة إذا ما تعلق الأمر بالحجاج الذي يرتبط بالخطابة لا سيما السياسية منها منذ الأزل سواء عند الغرب أم عند العرب، وهو أحد أهم أركان التداولية .

وإيماننا مني بأنه لا سبيل لفهم حاضرنا إلا بالرجوع إلى ماضيها و فهمه فهما واعيا، اخترت أن يكون **موضوع بحثي** موسوما بـ: "الخطابة السياسية في القرنين الأول و الثاني الهجريين -مقاربة تداولية- " ، وقمت فيه بمحاولة دراسة الخطابة السياسية في التراث العربي كنموذج في الدرس التطبيقي لما تتوفر عليه من ثراء وتنوع في الخصائص التداولية، فهي توصف بأنها خطاب التأثير على الآخر ودفعه إلى أن يعمل ويفكر ويعتقد، حيث انتقيت ثلاث خطب مختلفة كمدونة استثمر فيها بعض النظريات التداولية لكشف ملامستها ومقاصدها وأغراضها .

ويرجع **اختياري لهذا الموضوع** رغبة مني في دراسة التراث العربي القديم، ولقلة الدراسات المنجزة حول تداولية الخطابة السياسية، إضافة إلى أن الخطابة فن تداولي تواصلية في أساسه مما يشجع على خوض غمار هذا البحث.

ولم تكن هذه الدراسة لتتطرق من عدم فقد استفدت كثيرا من خلال مطالعتي لبعض **الدراسات السابقة** التي تناولت الخطابة عموما و لاسيما السياسية منها، فهي تلتقي معها في جوانب و تختلف عنها في جوانب أخرى كدراسة عماد عبد اللطيف للخطابة السياسية في

مقاله: "إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي"، ومقال آخر بعنوان "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي، التاريخ والمناهج والآفاق"، وكتاب "تحليل الخطاب" لجان نعوم طنوس ، ومقال بعنوان: "التحليل التداولي للخطاب السياسي" لذهبية حمو الحاج، ومقال: "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية" لخالد إسماعيل صاحب . و كما يبدو جليا فمعظم الدراسات المنجزة حول هذا الموضوع هي مقالات منشورة ، ما يشير إلى حداثة هذا الموضوع في الدراسات العربية، وإن كان بعض هذه الدراسات المذكورة تناولت الخطابة السياسية فإنها درستها في سياق تحليل الخطاب عموما، و لم تخصصها ببحث مستقل كما هو الحال عند "عماد عبد اللطيف" و "جان نعوم طنوس"، أو درستها من جانب الحجاج اللغوي كما هو عند "خالد إسماعيل صاحب"، بينما كانت دراستي مركزة على الخطابة السياسية في التراث العربي و محاولة قراءتها تداوليا من جوانب مختلفة.

وقد انطلقت هذه الدراسة من إشكال يحدد إطارها العام يتمثل في علاقة الخطابة بالتداولية و ما مدى جدوى توظيف المقاربة التداولية بآلياتها الحديثة لفهم الخطب السياسية في التراث العربي القديم و سبر أغوارها ، ومن هذا الإشكال انبثقت عدة أسئلة حاولت الدراسة الإجابة عنها من قبيل: أين تكمن علاقة الخطابة السياسية بالتداولية ؟ وأين تتجلى الأبعاد التداولية في هذا الفن، سواء في الجانب التواصل والتفاعلي، أو على مستوى أفعال الكلام و الاستلزام التخاطبي و متضمنات القول ،والإشارات والتقنيات الحجاجية المستعملة؟ وهل حقيقة كان تأثير الخطابة السياسية العربية القديمة نتيجة لسطوة السيف ، لا بسبب الإقناع ؟ و للوصول إلى نتائج و إجابات عن هذه التساؤلات التي تطرحها الإشكالية ، و بهدف الإلمام بحيثيات الموضوع والوقوف على أهم جوانبه اعتمدت على الخطة التالية:

قسمت البحث إلى مقدمة و مدخل وخمسة فصول وخاتمة. فبعد المقدمة، تناولت في **المدخل**: الحياة الأدبية والسياسية في القرنين الأول و الثاني الهجريين ، ففي الحياة الأدبية ركزت على جانب النثر باعتبار أن البحث يختص بدراسة الخطابة ، وشملت الحياة الأدبية

النثر في صدر الإسلام وفي العصر الأموي و العصر العباسي، كما شملت الحياة السياسية الأعرس الثلاثة أيضا. ثم تطرقت إلى مفهوم كل من النص و الخطاب ، حاولت فيه البحث عن نقاط الاختلاف و التلاقي بينهما ، بإبراز العلاقة بين النص والخطاب من خلال مفهوم كل منهما في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ثم عرضت آراء اللغويين والباحثين فيما يقارب أو يباعد بينهما مستحضرا رأي أعلامهما (فان ديك و روبرت دي بوغراندي) في علم النص و(هاليداي وحسن رقية) في تحليل الخطاب. أما الفصل الأول فقد خصصته للخطابة (دراسة نظرية تاريخية)، و قسمته إلى ثلاث مباحث ، خصصت المبحث الأول للخطابة بصفة عامة حيث بدأت بمفهوم الخطابة لغة واصطلاحا، ثم قمت بدراسة تاريخية للخطابة عند اليونان أولا ، ثم عند الرومان ثانيا ،ثم انتقلت إلى الخطابة عند العرب ، متوقفا عند محطات عديدة من ما قبل الإسلام إلى العصر الحديث . وبعدها قمت بتبيين أجزاء الخطبة ، ثم شرحت أنواعها، وعناصر بنائها أو المراحل التي تمر بها الخطبة (أصولها) ، وكان لا بد أن أمر إلى الركن الأهم فيها وهو الخطيب مبينا عدته وصفاته (شروط الخطابة ومقوماتها)، ثم أهمية الخطابة وفائدتها فهي حاجة نفسية وظاهرة اجتماعية، كما تطرقت إلى علاقة الخطابة بغيرها من العلوم (علم المنطق، علم النفس، علم الاجتماع) ، ولأن الخطابة هي اتصال بين الخطيب و الجمهور كان المبحث الثاني بعنوان الاتصال و الخطاب السياسي، أدرجت فيه مفهوم التواصل بين التأصيل و التأسيس و التنظير ، فمرحلة التأصيل كانت من خلال بيان مفهوم التواصل في التراث العربي ، ثم بيان مفهوم التواصل عند المحدثين أين تتجلى مرحلة التأسيس بريادة "دي سوسير" ، ثم مرحلة التنظير بقيادة "رومان جاكسون" ،كما قمت بشرح مفهوم نظرية الاتصال عامة ولا سيما الاتصال السياسي ، وباعتبار موضوع البحث يخص الخطابة السياسية العربية القديمة ، شرحت مفهوم الخطاب السياسي ثم مفهوم الخطاب السياسي في التراث العربي. و في المبحث الثالث كان الحديث عن الخطابة السياسية في القرنين الأول و الثاني الهجريين ، مستهلا بمفهومها ،ثم

تطورها في صدر الإسلام، و في العصرين الأموي و العباسي ، كما وضحت صلة الخطابة بالتداولية من أوجه متعددة سواء عند الغرب أو في التراث العربي. أما **الفصل الثاني** فخصصته للتداولية و قسمته إلى ثلاث مباحث ، فالأول كان مبحثا لسانيا من البنيوية إلى التداولية ، يتضمن إطلالة على المبادئ العامة للسانيات عند "دي سوسير" و "تشومسكي"، ثم نقد الاتجاهين البنيوي والتوليدي التحويلي وبروز الاتجاهات الوظيفية والاجتماعية في دراسة اللغة التي تعتبر التداولية امتدادا واستكمالا لها. ثم الانتقال في المبحث الثاني إلى ماهية اللسانيات التداولية من خلال ضبط المصطلح والمفهوم والنشأة، وقد تمثلت جوانب البحث التداولي في الإشارات ومتضمنات القول (الافتراض المسبق والأقوال المضمره) ثم الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية، ومع نهاية القرن العشرين توسعت التداولية لتشمل الملفوظية والحجاج الذي يعد ركنا من أركانها، وقد ركزت فيه على الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا (الخطابة الجديدة)، ونظرية الحجاج اللغوي عند "ديكرو" و"أنسكومبر"، وذلك راجع لكوني اعتمدتهما في الدراسة التطبيقية، كما تطرقت إلى نظرية الملائمة و نظرية التلفظ، وقد بينت علاقة التداولية بتخصصات أخرى مثل علاقتها باللسانيات واللسانيات البنيوية ثم بعلم الدلالة والنحو الوظيفي واللسانيات الاجتماعية والنفسية وبالتعليمية وبتحليل الخطاب واللسانيات النصية، وعنوانت المبحث الثالث بالتفكير التداولي عند العرب مبينا مفهوم التداولية عند العرب و مفهوم البلاغة المرتبط بالاتصال و الوصول إلى المخاطب ، ثم ركزت على الأبعاد التداولية في البلاغة العربية من حيث تداولية كل من المتكلم والمخاطب و الخطاب، ثم انتقلت إلى تداولية الخبر و الإنشاء باعتبار أن أفعال الكلام تعد الأساس الذي قامت عليه التداولية ، وفي نفس الإطار حاولت تسليط الضوء على مفهوم اللغة والفعل باعتبار الكلام فعلا و عملا في الفكر التداولي ، ومن البلاغة انتقلت إلى بيان البعد التداولي في النحو ثم البعد التداولي المرتبط بالشعر و نقده .و كان **الفصل الثالث** دراسة نظرية وتطبيقية للأفعال الكلامية، و ضم مبحثين ، حيث اختص المبحث الأول بدراسة السياق و

عناصره في الخطب المختارة، أما المبحث الثاني فخصص لدراسة أفعال الكلام في مستهلا بالجانب النظري المتعلق بمفهوم أفعال الكلام و نشأتها و تطورها ، وفي الجانب التطبيقي قمت بدراسة أفعال الكلام في الخطب الثلاثة وفق تصنيف "سيرل". أما الفصل الرابع فكان بعنوان: " الضمني والإشارات في الخطب المختارة -دراسة نظرية وتطبيقية-" وقسمته إلى ثلاث مباحث: خصصت المبحث الأول للاستلزام التخاطبي في جانبه النظري والتطبيقي ، ففي الجانب النظري تحدثت عن المبحث الضمني في التداولية ، فمفهوم الاستلزام التخاطبي و أنواعه، ثم الأصول و المنطلقات و السياق الفلسفي له ، ثم قمت بتطبيق الاستلزام التخاطبي على الخطب المختارة. أما المبحث الثاني فكان لدراسة متضمنات القول في الخطب الثلاثة ، ففي الجانب النظري شرحت الافتراض المسبق و الأقوال المضمرة ثم قمت بالتطبيق على الخطب ، ثم المبحث الثالث ودرست فيه المشيرات، و تضمن الجانب النظري و الجانب التطبيقي حيث بينت مفهوم الإشارات و أنواعها ، ثم قمت بالتطبيق على الخطب المختارة، وكان عنوان الفصل الخامس: الحجاج في الخطب المختارة-دراسة نظرية وتطبيقية- مستهلا ببيان العلاقة بين الخطابة والحجاج ، ثم بينت العلاقة بين التداولية والحجاج مركزا على أن الحجاج ركن أساسي من أركان الدرس التداولي. ثم انتقلت لبيان مفهوم الحجاج و أنواعه ، وقد ركزت في التطبيق في الدرس الحجاجي على الخطابة الجديدة (الحجاج عند بيرلمان و تيتيكا) ، والحجاج اللغوي عند "ديكرو" و "أنسكومبر" ، حيث قمت بتطبيق التقنيات الحجاجية (الطرائق الاتصالية والانفصالية) ، وهي نوعان : أولا : طرائق الوصل وتتضمن الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية والحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية والحجج المؤسسة على بنية الواقع والحجج المؤسسة لبنية الواقع . وثانيا : طرائق الفصل. ثم الحجاج اللغوي، واعتمدت فيه على مرتكزات هذه النظرية التي تقوم على القرائن (الروابط و العوامل) الحجاجية والسلم الحجاجي. و تشكلت الخاتمة من جملة النتائج المتوصل إليها و يليها ملحق للخطب المدروسة.

غير أن البحث في الموضوع لم يخل من بعض الصعوبات لعل أهمها: اتساع الدرس التداولي بسبب تعدد مصادره المعرفية، وطغيان الجانب الفلسفي في دراسة الاتجاه التداولي والقصور في اللغة الأجنبية.

وقد قاربت موضوعات الفصل الأول مستتيراً بالمنهج التاريخي الذي يتلاءم مع نشأة الخطابة وتطورها، ثم المنهج الوصفي في دراسة اللسانيات التداولية، أما باقي الفصول فكانت وفق المنهج التحليلي في مقارنة تداولية للخطب.

وتأتي أهمية هذا البحث من خلال سعيه إلى توظيف بعض الآليات التداولية من خلال استظهار قيمتها داخل الخطاب والكشف عن غرضها التداولي.

ولعل هذا المسعى سيسمح لي بتحقيق بعض الأهداف ومنها : الإسهام في إثراء الدرس التداولي العربي لاسيما الجانب التطبيقي الذي يعد مطلباً لكل الباحثين، ونظراً للحاجة الملحة إلى معرفة وسائل الخطاب والإقناع ، فقد أضحت آليات التحليل التداولي السبيل الأبرز للوصول إلى المعنى الكامن في كلام المتكلم، ومنها أفعال الكلام والضمنيات والإشارات و الحجاج ، زيادة على أنها تعد مطلباً أساسياً في كل عملية اتصالية تستدعي البيان والإفهام والإقناع، فالمجتمع يتجه يوماً بعد يوم نحو علم التواصل والحجاج، إضافة إلى سيادة وسائل الإعلام في ثقافتنا التي جعلت الخطابة ممارسة إبداعية للإقناع.

ومن المصادر والمراجع التي استعنت بها : "البيان والتبيين" للجاحظ الذي أرى أنه معين وزاد معرفي وعلمي هام في دراسة الخطابة العربية، وكتاب "الخطابة لأرسطو" بتحقيق عبد الرحمن بدوي وهو من الأهمية بمكان حيث يعد صاحبه المنظر الأول لعلم الخطابة ، وقد اعتمدت في المتن موضوع الدراسة على كتاب "جمهرة خطب العرب" لأحمد زكي صفوت، كما استقدت في تناول هذا البحث من مراجع أخرى متعددة منها: "كتاب" في اللسانيات التداولية" لخليفة بوجادي، و"التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي،

وكتاب "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر" لمحمود أحمد نحلة، و"المقاربة التداولية" لفرانسواز أرمينكو. و"في بلاغة الخطاب الإقناعي" لمحمد العمري، و"الحجاج في الشعر العربي" لسامية الدريدي، و"بلاغة النص التراثي" إشراف محمد مشبال، و"لغة الخطاب السياسي" لمحمود عكاشة، وغيرها من المراجع القيمة.

وختاماً أحمد الله العزيز المعين على ما وفقني إليه، وأتقدم بخالص الشكر لأستاذي المشرف الدكتور عبد القادر قصابي على رعايته العلمية وتواصله المحمود فجازاه الله عني خير الجزاء، كما أوجه شكري إلى أساتذتي الذين درسوني في مشواري الدراسي، وكل الشكر والتقدير إلى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على ما سيقدمونه من قراءة علمية لإفادتنا بآرائهم القيمة وتوجيهاتهم السديدة، ولا أنسى كل من قدم لي يد العون والمساندة من الأهل والأصدقاء والزملاء.

الطالب اباعلال مولود

أدرار 25-08-2020

المدخل

المدخل:

1. الحياة الأدبية و السياسية في القرنين الأول و الثاني الهجريين:

أولاً: الحياة الأدبية(النثر):

أ- النثر في صدر الإسلام

ب- النثر في العصر الأموي

ج- النثر في العصر العباسي

ثانياً: الحياة السياسية:

أ- الحياة السياسية في صدر الإسلام

ب-الحياة السياسية في العصر الأموي

ج- الحياة السياسية في العصر العباسي

2. النص و الخطاب:

أ-مفهوم النص في التراث العربي

ب-مفهوم النص في الدراسات الحديثة

ج-الخطاب في التراث العربي

د-الخطاب في الدراسات الحديثة

هـ-بين النص والخطاب

الحياة الأدبية والسياسية في القرنين الأول والثاني الهجريين:

أولاً: الحياة الأدبية (النثر) : بما أن موضوعنا يتناول فن الخطابة السياسية كان علينا أن نلقي نظرة عامة على الأدب ، و اقتصرنا على جانب النثر منه في القرنين الأول والثاني الهجريين ، وتشمل هذه المدة عصر صدر الإسلام والعصر الأموي وبداية العصر العباسي.

أ. النثر في صدر الإسلام:

وقف الإسلام من النثر الأدبي موقف المنقح والمصحح ، فقد وجدت أنواع من النثر الأدبي الجاهلي كالمنافرات والقصص التاريخية و الأمثال والحكم والوصايا والخطب و سجع الكهان وبعض الرسائل التي عدت بأنها ضعيفة القيمة الفنية ، فأسهم في تطور بعضها و ألغى بعضها الآخر كتلك التي تتعارض مع قيم الدين الحنيف كسجع الكهان ، والمنافرات و المفاخرات ، المذكية للعصبية القبلية و انحصر في خطب الوفادات على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قلت العناية بالأمثال بسبب ذوبان الفرد في الجماعة ، وانصراف الناس إلى اهتمامات جديدة كالجهاد في سبيل الله و الانشغال بالقرآن وما حواه من أمثال وأخبار عن الأمم الماضية، وتحول الاهتمام عن الحكم إلى العناية بالحديث النبوي الشريف وأقوال الخلفاء والصحابة رضوان الله عليهم ، واحتلت الوصية مكانة كبيرة فاتسعت أغراضها ومواضيعها أكثر مما كانت عليه في الجاهلية ، واتسع مجال تأثيرها¹، كما تعد نصوص العهود شكلاً من أشكال النثر الفني الكتابي في هذا العصر كصحيفة المدينة و صلح الحديبية²، وقد شجع الإسلام الكتابة والتدوين فانتشر فن الرسائل كرسالة النبي ﷺ إلى ملك الروم وملك الفرس وغيرهما ، و رسائل الخلفاء³ . أما فن الخطابة الذي لقي منزلة رفيعة في

1 ينظر: فاطمة تجور؛ وعبد الرحمن عبد الرحيم، الأدب في صدر الإسلام، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دط، 2011/2010، ص 253 ، 254 ، 255

² ينظر: المرجع نفسه ، ص 383

³ ينظر: المرجع نفسه ، ص 403

الجاهلية ، فقد ازدادت أهميته و منزلته في الإسلام ، وذلك لعوامل متعددة منها أن العرب أميين ، و الخطابة كفن شفوي هو أكثر الفنون الأدبية ملائمة للتعبير عن القضايا المختلفة و استيعابا لها بسبب طبيعته النثرية ، كما أن الإسلام ارتقى بالعقل و أعلى من شأنه ،والخطابة فن يعتمد الإقناع و التأثير في الجمهور بواسطة الأدلة والحجج ،و مما ساعد على ازدهارها تأثير العامل الديني كخطب الجمعة والعيدين ، ثم أنها وسيلة التشريع ورسم الحدود ، ولنا في خطبة حجة الوداع خير مثال ، وهي وسيلة اتصال بين الراعي والرعية لشرح سياستهم وتدابيرهم و همزة وصل بين القادة والجيش للحث على الجهاد ، ومن خلال ما ذكرنا يمكن القول أن أنواع الخطابة في هذا العصر بحسب موضوعاتها هي:

خطب الوعظ الديني: قامت بمهمة أساسية في نشر الدعوة و تربية المسلمين على الصلاح والفلاح و يعد رسول الله أبرز خطباء هذا النوع و سلك نهجه الخلفاء الراشدون.

خطب الوفادات: وهي خطب وفود القبائل العربية التي قدمت على النبي ﷺ في يثرب لتعلن إسلامها ، ومن أشكالها وفادتهم على الخلفاء لعرض أحوال معيشتهم و طلب العون منهم و مبايعتهم ونصرتهم ، ومن خطبائهم المشهورين: عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي ، و ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، والأحنف بن قيس التميمي و غيرهم.

خطابة التشريع: و هي الخطابة التي تسعى إلى تنظيم العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم و إيضاح قضايا جزئية لم يرد تفصيلها في القرآن الكريم وتقوم على شرح آيات منه، ومثالها خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع.

خطب الحث على الجهاد: هي خطب صادرة من قادة الجيش تدعو إلى الإقدام والصبر ابتغاء مرضاة الله وامتنالا لأوامره و طلبا للشهادة والجنة ، ومن أمثلتها خطبة أبي بكر الصديق في فتح الشام ، و خطبة معاذ بن جبل في اليرموك ، وخطبة عاصم بن عمرو التميمي في القادسية.

خطب السياسة وبيان منهج الحكم: ويقصد به الخطب التي كان موضوعها تبادل الرأي فيمن يخلف النبي ﷺ بعد وفاته و هي خطب يوم السقيفة ، أو آراء أصحاب الشورى فيمن يخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروفة بخطب الشورى أو الخطب التي كشفت وجهات النظر فيمن يخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه، إضافة إلى خطب يوم البيعة لبيان منهج الحكم ، ومن خطباء هذا النوع: أبو بكر الصديق و سعد بن أبي وقاص و غيرهما.¹

ب. النشر في العصر الأموي:

تتمثل أهم مظاهر الأدب الأموي في : الشعر والخطابة والترسل و الرواية التي أدت إلى التأليف ، حيث كثرت رواية الحديث ورواية الأخبار المتعلقة بأيام العرب و بالأدب عامة و باللغة و النحو ، و من الفنون المستحدثة في هذا العصر فن الترسل الذي أصبحت له حدود وشروط وخصائص²، فقد أصبح حاجة ملحة وضرورة لا غنى عنها بسبب اتساع الرقعة الجغرافية للبلاد الإسلامية و تفرق الولاة والعمال على الأقاليم المختلفة ، و لكنها كانت إدارية و لم تكن فنا ذا خصائص أدبية ، ومما ساعد على تطورها إنشاء "ديوان الرسائل" فأصبح رئيسته يسمى كاتباً ومعاونته كتاباً و من أشهر الكتاب في هذا العصر "عبد الحميد الكاتب" ، وهكذا تطورت الرسالة نفسها و أصبحت "الكتابة" ذات أصول و قواعد ، أما الخطابة فقد كانت استمراراً لما كانت عليه في صدر الإسلام ، ولكنها بدأت تمتاز بالطول النسبي و ذلك لعوامل متعددة منها:

-حاجة الخطباء إلى بسط القول في تبليغ أوامر الدولة بسبب اتساع رقعتها و تطور الحياة الإدارية والسياسية.

1 ينظر:فاطمة تجور، الأدب في صدر الإسلام، المرجع السابق ، ص 255 وما بعدها

² ينظر: عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي الجزء الأول، دار العلم للملايين ، بيروت ، دط ، دت، ص 360

-حاجة الولاة والقادة إلى توظيف الإقناع و التهديد والوعيد في مخاطبة المجموع بسبب الثورات والحروب ، واضطرار الولاة إلى الخطابة في بيئات معادية لهم كزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف .

-حاجة الخطباء إلى ترديد المعنى الواحد في تراكيب متشابهة متقاربة بسبب ظهور فئات اجتماعية جديدة كطبقة "المولدين" الذين يجدون صعوبة في فهم الإيجاز
-لم تعد ترسل الأوامر إلى الولاة تباعا بسبب اتساع مساحة الدولة ما تطلب تجميعها في بريد واحد ، الأمر الذي يجعل الوالي يطيل خطبته لاستيعابها جميعا.¹

ج. النثر في العصر العباسي:

امتزجت الثقافات الأجنبية بالثقافة العربية ما انعكس على تطور النثر العربي الذي حمل خلاصة هذه المدنية ،فإضافة إلى الفنون النثرية المعروفة ، تعددت شعب النثر العربي و فروعه فأصبح منه العلمي والفلسفي و التاريخي ، حتى النثر الأدبي الخالص شمله التأثير بالثقافة الأجنبية على نحو ما عرفناه عند ابن المقفع الذي نقل كثيرا من الآداب الفارسية الاجتماعية والأخلاقية ونظمهم السياسية ، الأمر الذي كان له بالغ الأثر في الرسائل الديوانية ، ونشوء الرسائل الأدبية التي تعنى بالكتابة في موضوع محدد². و من مظاهر تطور النثر الفني رقي الأساليب، و عذوبة الألفاظ، وعمق المعاني، و سمو الأخيلة، و تعدد الأغراض، واتساق الأفكار³، أما الخطابة فقد استمر نشاطها في صدر العصر العباسي لأسباب عديدة منها:

. سلامة الملكة اللغوية والفصاحة لد الخلفاء و الأمراء العباسيين

¹ ينظر: المرجع السابق،ص 373 ، 374 ، 375

² ينظر : شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف، دط ، دت ، ص 441 ، 442

³ ينظر: نبيل خالد رباح أبو علي ، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي 656 هـ ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب،1993، ص 271

. الانقلاب السياسي الذي هز المشاعر و دفع إلى الجدل والمناظرة

. الحاجة إلى دعوة الناس للالتفاف حول الدولة الجديدة و إثارتهم ضد الحكم الأموي

. تحميس الجنود في ساحات المعركة

. نشر الدعاة و بث الخطباء في كل مكان لبيان أحقية العباسيين بالخلافة ووراثه سيد

المرسلين

. العناية الشديدة بالمواسم والأعياد الدينية لإمامة الناس والخطابة فيهم ما يعزز مكانتهم

. تعليم الناشئين الخطابة كما في رواية بشر بن المعتمر و صحيفته مع إبراهيم بن جبلة

. كان الكثير من الخطباء الذين يعيشون في البادية محافظين على الفصاحة واللغة والحجة

والبیان يفدون على الخلفاء لطلب حوائجهم¹.

ثانيا: الحياة السياسية:

أ.الحياة السياسية في صدر الإسلام:

في العام الذي هاجم أبرهة الحبشي مكة ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ،

ولما بلغ الأربعين من عمره اختاره الله عز وجل لأداء رسالته و تبليغها إلى الناس كافة ، و

صدع رسول الله ﷺ بالحق داعيا الناس في مكة إلى الإسلام دين التوحيد و نبذ الوثنية

والشرك ، و لبث يدعو الناس فيها ثلاث عشرة سنة ، فكانت بداية عصر جديد في حياة

العرب خاصة والناس كافة ، ثم جاء الأمر الإلهي بالهجرة إلى يثرب عام 622م ، التي

أصبحت تسمى مدينة رسول الله ﷺ ، وفيها أصبح الإسلام دولة ، و عقيدته مستمدة من

القرآن الكريم و سنة رسول الله ﷺ ، وخاض المسلمون معارك كثيرة ضد أعدائهم أشهرها

¹ ينظر: عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي ج 2، دار الجبل، بيروت، ص

غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة و فتح مكة وغزوة حنين في السنة الثامنة للهجرة ، وفي السنة الحادية عشر للهجرة التحق محمد رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ، فاختر المسلمون بعد المشاورات أبا بكر الصديق الذي قضى سنتين في الخلافة حارب فيها المرتدين و واصل الفتوحات و جمع القرآن في مصحف واحد . ثم خلف أبا بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فكانت خلافته عشر سنين فتح العراق والشام و فارس و مصر و تعززت أركان الدولة واتخذت شكلا واضحا فأصبحت مرهوبة الجانب ، و لقي عمر ربه في السنة الثالثة والعشرين للهجرة بعد أن تلقى طعنة غادرة من قبل أبي لؤلؤة المجوسي . و تولى الخلافة بعد مشاورات لأيام عثمان بن عفان فازدادت الفتوحات اتساعا ، وأعاد عثمان جمع القرآن و رتب سوره على الترتيب الذي عليه الآن ، وفي آخر خلافته اضطرب الأمر عليه بسبب ثورة الثائرين عليه الذين قتلوه في السنة الخامسة والثلاثين للهجرة ، وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة . وتولى الخلافة من بعده علي بن أبي طالب و شهد عهده اضطرابا كبيرا و توقفت الفتوحات و نشب الخلاف بينه و بين معاوية بن أبي سفيان و انقسم أنصار علي على أنفسهم فأصبحوا شيعة وهم من تمسكوا بنصرة علي و معاداة خصومه، و خوارج و هم الذين عدوا الصراع بين علي و معاوية نزاعا سياسيا ، ثم عادوا الاثنتين معا ، وحاولوا قتل معاوية و عمرو بن العاص و علي رضي الله عنهم ، لكنهم لم يفلحوا إلا في قتل علي بن أبي طالب في السنة الأربعين هجرية¹ .

ب. الحياة السياسية في العصر الأموي:

يمتد عصر بني أمية من سنة واحد و أربعين هجرية إلى سنة مائة واثنين وثلاثين هجرية، فبعد معركة صفين نصب معاوية نفسه خليفة ، جاعلا دمشق عاصمة له ، واستطاع أن يستولي على عدد من المناطق الأخرى كمصر و جانب من العراق و يقوم ببعض الفتوح ، وكانت الحجاز والبعض الآخر من العراق في يد أقوى منافسيه آنذاك عبد الله بن الزبير . و

¹ ينظر: عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي الجزء الأول ، ص 237 ، 238 ، 239

في السنة الستين للهجرة خلف معاوية ابنه يزيدا ، لكنه لم يكن في مستوى دهاء أبيه السياسي فحدثت في أيامه مآسي كبيرة في حياة الأمة ، كمأساة كربلاء و مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما و وقعة الحرة و غزو المدينة مما جعل أعداء بني أمية في ازدياد. و خلفه بعد موته ابنه معاوية و توفي سريعا ، و برز النزاع على الخلافة بين بني أمية، و استطاع مروان بن الحكم شيخ بني أمية يومها بدهائه أن يظفر بها بعد أن تغلب على جيش عبد الله بن الزبير ، مما أرجع الاستقرار إلى الخلافة الأموية ، واستمر حكمه عشرة أشهر ، وبعد وفاته خلفه ابنه عبد الملك الذي دامت مدة حكمه واحدة وعشرين سنة من خمس و ستين هجرية إلى ست وثمانين هجرية ، واستطاع واليه الحجاج بن يوسف أن يتغلب على عبد الله بن الزبير و يقتله ، ثم يأخذ البيعة للخليفة من أهل الحجاز كلهم ، كما استطاع أن يبسط نفوذ الأمويين على كامل العراق و توسعت الفتوح في المشرق و المغرب ، وسلك الخليفة للعرب عملة خاصة بهم و أمر بنقل الدواوين إلى اللغة العربية. و خلف عبد الملك بن مروان ابنه الوليد الذي حكم عشر سنوات استكمل فيها فتح المغرب و فتح الأندلس و شهد عصره اتساع العمران و تعميم الحضارة. وكانت السياسة الأموية تقوم على العصبية القومية العربية مما أثار حفيظة الموالي من العجم فاجتمعوا ضدهم و ناصروا العلويين في ثورتهم متخذين السواد رمزا مخالفة لرمز الأمويين الأبيض ، واستمرت الدعوة العلوية سرية إلى أن أعلنت، و بدأ القتال و انتهى الأمر إلى سقوط الخلافة الأموية في المشرق سنة مائة واثتان و ثلاثون هجرية.

ويمكن القول إن ما ميز الحياة السياسية في هذا العصر عودة المنازعات العصبية والقبلية بتشجيع من خلفاء بني أمية كما أن المنافسة في طلب الخلافة قسم الناس إلى فرق فكرية دينية ذات بعد سياسي ومنها: أهل الشيعة و هم أنصار العلويين الذين يحصرون الخلافة في أبناء علي بن أبي طالب ، و الخوارج الذين يعتقدون أن الخلافة أمر دنيوي لتسيير شؤون

الناس ، و للناس أن يولوا على أنفسهم من شاءوا ، والمرجئة ورأيهم أنهم يطيعون الخليفة ولو كان فاسقا و يرجئون أمره إلى الله يتولى حسابه¹.

ج. الحياة السياسية في العصر العباسي:

لما انتقلت الخلافة من الحكم الأموي إلى الحكم العباسي حدث تغيير في مناحي متعددة ومنها انتقال الخلافة من الشام إلى العراق ، و التحول من دولة عربية عصبية خالصة إلى دولة دينية جامعة منفتحة على الأجناس المختلفة ، و من الطابع البدوي الجاهلي في المثل العليا و اللغة والأسلوب إلى استبحار الحضارة و انتشار الترف ، أما الحكم فقد اقتصر التنافس عليه بين العباسيين والعلويين ، هذا التنافس جعل أبي العباس السفاح يتحول عن الكوفة معقل العلويين و أنصارهم ليتخذ الأنبار عاصمة له ، و حكم أربع سنوات ثم توفي سنة مائة و ست و ثلاثون هجرية ، وخلفه أخوه أبو جعفر المنصور الذي بنى بغداد و اتخذها عاصمة الدولة العباسية . و ظهرت في أيامه حركات دينية مجوسية قضى عليها ، ومما يستوجب الذكر تولي الوزارة خالد بن برمك و استمر ابنه يحي من بعده و حفيده الفضل و جعفر ، لكنهم استبدوا بالسلطة و طغت المظاهر الفارسية على بغداد فنكبهم هارون الرشيد ، وفي أثناء ذلك رجع الناس إلى التظاهر بالميل إلى البداوة و العصبية العربية حتى لا يتهمون بتهمة البرامكة وليكونوا على دين ملوكهم ، ويعد عصر هارون الرشيد من أزهى العصور في العلوم والآداب والعمران و التحضر و الترف ، وقد قسم هارون الإمبراطورية قبل موته قسمين بين ولديه الأمين والمأمون و سرعان ما نشب النزاع بينهما انتهى بمقتل الأمين في مائة و تسع وتسعين هجرية لتكون الدولة واحدة من جديد تحت حكم المأمون².

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 351، 352، 353

² ينظر: المرجع السابق ، ص 34 ، 35 ، 36

2. النص والخطاب:

يحتل مفهوم النص والخطاب صدارة الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة لما شهده المصطلحان من تداخل كبير لحد يصعب التمييز بينهما. فما مفهوم كل منهما ، وفيما يلتقيان وأين يفترقان .

أ- مفهوم النص في التراث العربي : ورد في لسان العرب بمعنى الرفع و الإظهار والاستقصاء والمنتهى : نص الحديث ينصه نصا : رفعه. وكل ما أظهر ، فقد نص ، ووضع على المنصة لأجل الظهور والشهرة ، ونص الرجل نصا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده . ونص كل شيء منتهاه.¹ وهو عند الفقهاء : «نص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام»²، ومن خلال ما سبق فالنص هو الرفع والإظهار أما صوتا مسموعا كحدث كلامي ، أو إنتاجا مخطوطا مرئيا تظهره الكتابة.³ وهو عند الشريف الجرجاني: «النص ما لا يحتمل الا معنى واحدا، أو ما لا يحتمل التأويل»⁴ وبما أنه يرفض التأويلات و استخراج المعاني المتعددة لذلك عمل الأصوليون بالقاعدة الفقهية (لا اجتهاد مع النص).

ب- مفهوم النص في الدراسات الحديثة : لا تخرج معظم الدراسات الحديثة في تعريفها للنص عن ما ورد في المعاجم والكتب اللغوية الغربية لكلمة "نص" (textus) اللاتينية التي تحمل معنى "النسيج" وهو نفس المعنى في معجم "لاروس العالمي" أي ترابط الكلمات مع

¹ -ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ج7 ، ص ص 97 ، 98

² -الأزهر الزناد، "نسيج النص" بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1993 ، ص 12

³ -ينظر بشير أبرير، "مفهوم النص في التراث اللساني العربي"، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 23 ، العدد الأول ، 2007 ، ص 85

⁴ -محمد الأخضر الصبيحي، "مدخل الى علم النص والنص ومجالات تطبيقه"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008،

بعضها كترابط الخيوط وتشابكها وتماسكها¹ ، وهذا ما يوضحه "فاولر" في تعريفه للنص بأنه: «بنية في أصلها متوالية من الجمل المترابطة فيما بينها تشكل استمرارا ونسيجا على صعيد تلك المتوالية»² ، وعند هاليداي وحسن رقية تشكل كل متتالية من الجمل نصا شريطة أن يكون بين هذه الجمل أو بين بعض عناصرها علاقات تتم بين عنصر أو آخر وارد في جملة سابقة أو لاحقة (علاقة قبلية وعلاقة بعدية)³ ، وفي اللسانيات الحديثة ورد مفهوم النص في معجم اللسانيات : «نصي نصا مجموع الملفوظات اللغوية التي يمكن إخضاعها للتحليل : فالنص اذا عيّنة من السلوك اللغوي الذي يمكن أن يكون مكتوبا أو منطوقا»⁴ .

ومن التعريف المعجمي واللساني ننتقل إلى التعريف الأدبي الذي غلب عليه الطابع البنيوي في البداية إذ أجمعت كل تعاريف النص أنه بنية لغوية قائمة بذاتها، وأنها ذات مدار مغلق ، فهو عند "رولان بارط" ليس وثيقة لمعرفة الأديب أو عصره ، وإنما النص في حد ذاته هدف ، فليس جوهره في الرسالة التي يحملها ، وإنما في أدبيته ونظامه ، وهو "عند تودروف" يمكن أن يكون النص جملة أو كتابا بأكمله ، ان أهم ما يحدده هو استقلالته وانغلاقه . وعلى عكس التعريفين السابقين فان جوليا كريستيفا ترى أن الكاتب يقوم بإعادة توزيع نظام اللغة باقامة علاقات بين الكلام التواصلي الذي يهدف إلى الإبلاغ المباشر ، وبين الملفوظات القديمة والمعاصرة . وبهذا فهي تخرج النص من الإطار الشكلاني المغلق إلى فسحة المجتمع والتاريخ مؤكدة على رسالته وعلاقته بالنصوص الأخرى ما يسمى "بالتناص"⁵ .

¹ -ينظر: المرجع نفسه ، ص 17

² -سعيد يقطين، "انفتاح النص الروائي" ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، بيروت، ط1، 1991، ص 13

³ -ينظر محمد خطابي ، "لسانيات النص" مدخل الى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ،

ط1 ، 1991 ، ص 13

⁴ -محمد الأخضر الصبيحي ، "مدخل الى علم النص" ، ص 17

⁵ -ينظر: المرجع نفسه ، ص 20 وما بعدها

وقد ظهرت آراء جديدة أخرى خرجت عن البنيوية الشكلانية ذات الاتجاه الداخلي الباطني للنص ترى أنه وحدة كبرى لا تتضمنها وحدة أكبر منها تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية ، وقد اعتمدت هذه الآراء الجديدة في نظرية النص على السياق الاتصالي وما يتضمنه علميا حسب رأي "سميث" ، وترى أن النصوص ليست سوى مجموعة من الرموز اللغوية المعبرة وأن وظيفتها إنما هي الاتصال الاجتماعي ، فلم يعد ينظر إلى النص بالمفهوم التقليدي من خلال مكوناته الداخلية بل ارتقى إلى مفهوم جديد انطلاقا من الوظيفة التي يؤديها¹. ولاشك أن هذه الآراء تفاعلت مع ما جاءت به الاتجاهات اللسانية الحديثة كالدراسات الوظيفية التي تهتم باللغة أثناء تأديتها لوظيفتها التواصلية.

ج-الخطاب في التراث العربي : جاء في لسان العرب « والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا ، وهما يتخاطبان»² ، لا يخرج مفهوم الخطاب في الاجمال عند العرب القدامى عن المكاملة أو الحديث أو اللغة المستخدمة بين اثنين، أي لغة التفاعل³.

وقد برز هذا المعنى عند التهانوي " الكلام الموجه نحو الغير للافهام" ، فكل كلام يوجهه المتكلم للمخاطب قصد افهامه أمرا ما يعد خطابا⁴ ، وذكر لفظ الخطاب في القرآن الكريم في مناسبات عديدة ومنها قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁵، وفي قوله جل وعلا ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَإِلَيَّ نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي

¹ -ينظر: نعمان بوقرة "المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب" جدار للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، ط1، 2009، ص ص 42 ، 43

² -ابن منظور ، "لسان العرب" ج1 ، ص 361

³ -ينظر: محمود عكاشة "لغة الخطاب السياسي" دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الإتصال) دار النشر للجامعات ،مصر، ط1، 2005 ، ص 34

⁴ -ينظر: نعمان بوقرة ، "المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب"، ص 13

⁵ -سورة الفرقان ، الآية 13

الْخِطَابِ¹ ، ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾² ، وفي كل هذه الآيات وغيرها يصب الخطاب في نفس المعنى المذكور .

د- **الخطاب في الدراسات الحديثة** : وأما في الدراسات اللغوية الحديثة ، فإنه وإن كان دو سوسير (de saussure) قد أقصى مسألة الخطاب من مجال الدراسة اللسانية البنيوية البنيوية فإنه صار محط اهتمام كثير من الدارسين الذين اجتهدوا في وضع مفهوم له فتعددت دلالاته وتتنوعت فجعلوه مرادفا للنص تارة ومرادفا للملفوظ تارة أخرى³ . ومن وجهة نظر اللسانيات فإن الخطاب لا يمكن أن يكون سوى مرادف للملفوظ ، ولا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف ، و يعد زليج هاريس (zellig harris) أول من اهتم بدراسة الخطاب من الغربيين حيث عرفه بأنه : «ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نطل في مجال لساني محض»⁴ ، ويعرف (إميل بنفنيست E . benveniste) الخطاب بأنه : «كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما»⁵ . حيث ركز على الجانب الوظيفي ، فالخطاب تواصل بين المتكلم والمخاطب لتحقيق فائدة معينة مقصودة، وبهذا التعريف فإن "بنفنيست" تجاوز حد الملفوظ (enonce) إلى مفهوم جديد هو التلفظ (enunciation) ويعني الفعل الذاتي في استعمال اللغة ، إنه فعل حيوي في إنتاج نص ما كمقابل للملفوظ الذي يعد الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته ، وهكذا يتيح التلفظ دراسة الكلام ضمن مركز نظرية

¹ -سورة ص ، الآية 23

² -سورة النبأ ، الآية 37

³ -ينظر ألفا أوصمان باري ، "تحليل الخطاب : أسسه النظرية" ، تر : لحسن بوتكلاي ، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب ،

العدد 5 ، 2014 ، ص ص 133 ، 134

⁴ -محمود عكاشة ، "لغة الخطاب السياسي" ، ص ص 36 ، 37

⁵ -المرجع نفسه ، ص 37

التواصل ووظائف اللغة¹ وربط الخطاب بشروط إنتاجه. ويتضمن هذا التعريف الإنجاز القولي والإنجاز الفعلي للخطاب وما يتعلق بهما ، كما يدخل فيه المخاطب والمخاطب والقصد من التواصل والأدوات المستخدمة في التأثير ، ويدخل تحت مصطلح الخطاب كل الأنواع الكلامية كالخطاب الشفوي اليومي والخطاب المكتوب والمذكرات²، ولم يخرج جيفري ليتش (g . lich) عن هذا المفهوم في تعريفه للخطاب، فهو على رأيه تواصل لساني ينظر إليه بوصفه إجراء بين المتكلم والمخاطب، أي فاعلية تواصلية هدفها تحقيق غاية اجتماعية³. فالهدف الأساسي من استعمال الكلام هو إيصال رسالة ما إلى شخص معين أو مجموعة من الأشخاص ، ولا تتوقف ماهية الخطاب عند المتكلم أو المخاطب ، فلا بد لحدوثه من توفر الظروف الداخلية والخارجية المتعلقة بكل خطاب ، فبالرغم من أن الخطاب يتوسل اللغة في غاياته ، فإن جوهره في حقيقة الأمر ليس لغويا إنه مجموعة من النوايا التي تتحقق بوساطة اللغة⁴.

هـ- بين النص والخطاب :

لطالما انشغل الدارسون بمحاولة التمييز بين مصطلحي "النص" و "الخطاب" و رفع اللبس والغموض بين مفهوميهما إذ « يكاد يجمع أغلب اللغويين أن النص يمثل المظهر الشكلي المجرد للخطاب ، بينما يعني هذا الأخير الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص»⁵، فالنص مجرد من الظروف المحيطة بعملية الإنتاج اللغوي التي تسهم في تحديد المعنى الكامن وراء اللغة ، بينما الخطاب تتحكم في تحديد المعنى فيه ظروف الاستعمال اللغوي و العوامل غير اللغوية ،ويقول الأزهر الزناد في هذا : « وبعضهم يفرق بين "نص" هو كائن فيزيائي

¹ -ينظر: "المرجع نفسه" ، ص 37

² -ينظر : " المرجع السابق" ، ص ص 37 ، 38

³ -ينظر: نعمان بوقرة ،"المصطلحات الأساسية في لسانية النص وتحليل الخطاب" ، ص 15

⁴ -ينظر : المرجع نفسه ، ص 15

⁵ -محمد الأخضر الصبيحي ، "مدخل الى علم النص" ، ص 73

منجز، و"خطاب" هو موطن التفاعل والوجه المتحرك منه، ويتمثل في التعبير والتأويل»¹، بينما يولي (بول ريكور p. recoeur) أهمية كبيرة للكتابة حيث يرى أن النص هو كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة²، وهو نفس رأي "ليتش و شورت" إذ يصنفان النص على المستوى الخطي (graphique) فهو ما نقرأ وهو تلك البنية السطحية الخطية³. ومن الذين عرفوا الخطاب على أنه النص جوليا كريستيفا (julia kristeva) حيث تجمع بينهما قائلة: «فالنص الأدبي خطاب يخترق حالياً وجه العلم والايديولوجيا والسياسة لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها ، ومن حيث هو خطاب متعدد و متعدد اللسان أحيانا و متعدد الأصوات غالبا ... »⁴ ، ثم تعود فتحاول الفصل بينهما من خلال قولها : «هناك حقيقة معينة تحكم وتؤسس كل ما هو ملفوظ ، وهي أن اللغة دائماً علم ، والخطاب دائماً معرفة بالنسبة لمن يتلفظ بالكلام أو ينصت له داخل السلسلة التواصلية »⁵.

وقد يتضح الفرق أكثر بين المفهومين بإجراء مقارنة بين علم النص وتحليل الخطاب حيث يعرف الأول بأنه الدراسة اللغوية الهادفة إلى الكشف عن القواعد والمعايير التي تميز النص عن اللا نص ، ويعرف أنه العلم الذي يصف النظام الداخلي للنص ، بينما يعرف الثاني بأنه دراسة النص في علاقته مع ظروف إنتاجه⁶ ، وعليه فتحليل الخطاب يتجاوز تحليل النص ، كما أن النص قد نجده طويلا أو قصيرا بينما يوصف الخطاب بالطول . ومن المفارقات أن أكبر علماء النص وتحليل الخطاب لا يفرقون إلا في النادر بين المصطلحين حيث يلحون في أبحاثهم على ضرورة أن تشمل الدراسة الجانبين معا (النص و السياق)

¹ -الأزهر الزناد ، "تسيح النص" ، ص 15

² -ينظر : محمود عكاشة ، "لغة الخطاب السياسي" ، ص 44

³ -ينظر : سعيد يقطين ، "انفتاح النص الروائي" ، المركز الثقافي العربي ، دط ، 1988 ، ص 12

⁴ -جوليا كريستيفا ، "علم النص" ، تر : فريد الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط2 ،

1997 ، ص ص 13 ، 14

⁵ -المرجع نفسه ، ص 44

⁶ -ينظر : محمد الأخضر الصبيحي ، "مدخل الى علم النص" ، ص 73

وعلى رأس هؤلاء "فان ديك" و "روبرت دي بوغراند" (علم النص) و "هاليداي" و "حسن رقية" (تحليل الخطاب) اللذان يريان بأن النص ليس فقط تسلسل الجمل ولا وحدة لغوية تتعدى الجملة ، وإنما يعرف بأنه (وحدة لغوية في الاستعمال) ، وهو ما يقتضي في نظرهما الأخذ بعين الاعتبار ارتباط الخطاب بسياقه¹. إن الفرق الوحيد بين علم النص وتحليل الخطاب حسب "فان ديك" هو أن ما يطلق عليه العالم الأنجلو ساكسوني "تحليل الخطاب" يقابله في بعض الدول الأوروبية وفي فرنسا خاصة مصطلح "علم النص"².

¹ -ينظر : المرجع السابق ، ص ص 74 ، 75

² -ينظر : المرجع نفسه ، ص 76

الفصل الأول

الخطابة (المفاهيم، النشأة والتطور)

الفصل الأول:الخطابة (دراسة نظرية في المفاهيم والنشأة والتطور)

المبحث الأول: الخطابة

- 1-الخطابة لغة واصطلاحاً
- 2-الخطابة (نظرة تاريخية)
- 3-أجزاء الخطبة: (ترتيب أجزاء القول) (TAXIS)
- 4-أجناس الخطابة (أنواعها)
- 5-عناصر بناء الخطابة (أصولها)
- 6-مقومات الخطابة(عدة الخطيب و صفاته)
- 7-أهمية الخطابة وفائدتها وغايتها
- 8-علاقة الخطابة بغيرها من العلوم

المبحث الثاني: الاتصال و الخطاب السياسي

- 1-مفهوم التواصل بين التأصيل و التأسيس و التنظير
- أ-مفهوم التواصل في التراث العربي (التأصيل)
- ب-مفهوم التواصل عند المحدثين: 1-مرحلة التأسيس "دي سوسير"
- 2-مرحلة التنظير"رومان جاكسون"
- 2-نظرية الاتصال
- 3-الاتصال السياسي

4- مفهوم الخطاب السياسي

5- الخطاب السياسي في التراث العربي

المبحث الثالث: الخطابة السياسية في القرنين الأول و الثاني الهجريين

1- مفهومها

2- تطورها: أ- الخطابة السياسية في صدر الإسلام

ب- الخطابة السياسية في العصر الأموي

ج- الخطابة السياسية في العصر العباسي

3- خصائص أسلوبها

4- الخطابة والتداولية

- خاتمة الفصل

المبحث الأول: الخطابة

يرجع الاهتمام المتزايد منذ القدم بصناعة الخطابة وممارستها لدى الأفراد، في إطار البحث عن الكيفية المناسبة لتوصيل الأفكار إلى الآخر والبحث عن مختلف الوسائل المساعدة في التبليغ التي تحقق المقاصد والأهداف الكلامية وسنسى إلى فهم هذه المقاصد وقرائها من خلال استثمار بعض الآليات التداولية، وإذا كانت الخطابة من البحوث التي تتناولها ميادين معرفية أخرى كعلاقتها بالمنطق والفلسفة واللسانيات، فإنه ينبغي لنا توضيح بعض المفاهيم التي تعيننا في تناول مواضيع البحث بدء بمفهوم الخطابة ونشأتها وأجناسها وأقسامها وهيكلها وأهميتها.

1- الخطابة لغة واصطلاحاً:

اشتق لفظ (الخطابة) من المادة اللغوية (خ ط ب) التي تدل على معان كثيرة في المعاجم العربية. فقد ورد في لسان العرب عند ابن منظور (ت 711هـ): «الخطب: الشأن أو الأمر» وقال أيضاً: «وخطب المرأة يخطبها خطبا وخطبة بالكسر...»¹. و قال: «والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان». وورد في اللسان: «والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخطب على المنبر، و اختطب يخطب خطابة، واسم الكلام الخطبة...». وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجع، ونحوه. التهذيب: «والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر». كما ورد أيضاً عند ابن منظور: «ورجل خطيب: حسن الخطبة، وجمع الخطيب خُطباء»². ووردت في أساس البلاغة: «خطب: خاطب أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة...»³. وورد في نقد النثر لقدامية بن جعفر: «إن الخطابة مأخوذة من خطبت أخطب خطابة، كما يقال: كتبت أكتب كتابة، واشتق ذلك من الخطب وهو الأمر الجليل لأنه إنما يقام بالخطب في الأمور التي تجل و تعظم، والاسم منها خاطب مثل راحم، وإذا جعل وصفا لازماً قيل: خطيب، كما قيل في راحم رحيم. وجعل رحيم أبلغ في الوصف و أبين في الرحمة، وكذلك لا يسمى خطيباً إلا من غلب ذلك عليه وعلى وصفه و صار صناعة له. والخطبة الواحدة من المصدر كالقومة من القيام و الضربة من الضرب، وإذا جمعتها قلت: «خطب» مثل: «جمعة» و «جمع» والخطبة اسم

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص 360.

² - المرجع نفسه، ص 361.

³ - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 255.

المخطوب بها مثل: كسرة وكسر . فأما المخاطبة فيقال منها : خاطبت أخاطب مخاطبة، والاسم الخطاب ، مثل قاتلته مقاتلة والاسم القتال¹ .

أما في الاصطلاح فقد حظيت الخطابة باهتمام الفلاسفة و المناطقة والأدباء منذ القديم، ولعل أقدم تعريف لها يعزى إلى الفلاسفة اليونانيين، فقد كانت أول أمرها تلتبس بالشعر، فسعى أرسطو (384، 385-322 ق.م) إلى التمييز بينهما فوضع كتابا في الشعر وآخر في الخطابة "فن الخطابة" حيث يعرفها بقوله: «فالريطورية* قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة»². ويعني بالقوة "الصناعة"، وبهذا فهي صناعة تتفضل على سائر الصنائع؛ وذلك أن كل صناعة إنما هي معلمة أي مبرهنة ومقنعة في الجنس الذي تنظر فيه، لا في جميع الأجناس، مثال ذلك: أن الطب إنما يُعلم عن طريق البرهان ويمنع في الصحة والمرض وفي أنواعها، وأما الخطابة فهي تتكلف الإقناع في جميع الأشياء في أي مقولة كانت وأي جنس كان، ولذلك ليست تنسب إلى جنس خاص³.

ويرى محمد العمري أنه بهذا التعريف وما استنتجه من بحث في وسائل الإقناع والتأثير صار "أرسطو" أستاذا لمن بحث بعده في موضوع الخطابة من القدماء واكتست نظريته في التأثير حسب الاحتمال، وما يقبله الجمهور أو يرفضه أهمية كبيرة عند المحدثين، وهو بذلك

1 قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، تحقيق و تعليق : طه حسين و عبد الحميد العبادي ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، القاهرة ، 1941 ، ص 106 ، 107

* -«فقولنا "قوة" نعني به ملكة نفسانية تصدر عنها أفعال إرادية وهي أوكد من القدرة ... وقولنا "تتكلف" يفهم منه معنيان: أحدهما أنها تتعاطى فعلاً لا عن إرادة مؤثرة بل عن إرادة مستكرهة؛ وليس هذا هو الغرض في هذا المعنى. ويقال "تتكلف" ويراد به أنها تتعاطى فعلاً بأبلغ قصد لاتمامه؛ وهذا هو الغرض. وقولنا " الإقناع الممكن " هو تفسير الفعل الذي تتكلفه، ومعناه ما يمكن من الإقناع. ولا يلتفت إلى تفسير آخر».ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص 28.

²- أرسطو طاليس، "الخطابة"، الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص 09.

³- ينظر: أبو الوليد بن رشد (520-595هـ)، تلخيص الخطابة، تحقيق وشرح: د. محمد سليم سالم، الكتاب الرابع عشر، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، القاهرة، 1967، ص 29.

يقيم الخطابة على الأسس التي حاربها أفلاطون، أي على أسس الاحتمال والإمكان حسب الأحوال¹. كما اجتهد محمد العمري في رفع اللبس بين الخطابة و الريطوريا موضحا ذلك بقوله: فالخطابة تعني كل خطاب يلقيه الخطيب قصد إقناع المتلقي واستمالاته بما يلزم ويناسب من الوسائل الممكنة (الخطاب الإقناعي) أما لفظ الريطوريا -rhetorique في المفهوم الأرسطي -والذي لا يعني الخطابة بقدر ما يعني العلم الذي يهتم بها -، فهو ذلك العلم الذي يشتغل على الخطابة ويستخرج مكوناتها وتقنياتها الحجاجية بهدف الإقناع، ولقد اقترح العمري أن يطلق مصطلح "الخطابية" على علم الخطابة -rhetorique². بينما عرف العرب الخطابة باسم " الخطبة" أما الخطابة - الريطوريا -rhetorique - فهي علم البلاغة التي لا تقتصر على تعليم الكلام البليغ فحسب ، و إنما غرضها عرض الأفكار بأسلوب مقنع³

ويرى أحمد محمد الحوفي أن الخطابة أشمل من أن تنحصر في الإقناع، وإنما لابد من جمهور يستمع، وإلا كان الكلام حديثا أو وصية، كما لابد من مشافهة وإلا صار فنا من فنون الكتابة، إضافة إلى توفر عوامل الاستمالة، وإلا كان الكلام الملقى مجرد محاضرة، ولابد من إقناع وذلك بتوضيح الخطيب رأيه للسامعين وتأييده بالبراهين وعليه يمكن القول إن الخطابة فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالاته⁴. وبهذا يكون أحمد محمد الحوفي قد حرص على أن يجمع شروط الخطابة في تعريفه، ففقدان أي شرط منها يؤدي إلى عدم اكتمال فهم الخطبة والوصول إلى المعنى، فقراءة خطبة ما مثلا لا يغني عن حضورها والاستماع

¹ينظر: محمد العمري، "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا"، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص 19.

² ينظر: إدريس جبيري، "سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري نحو بلاغة عامة"، ضمن كتاب "البلاغة والخطاب"، إعداد: محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص ص 259-260.

³ ينظر:رامي منير ، الخطابة عند العرب ، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005 ، ص 8

⁴ ينظر: أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص ص 5-6.

للخطيب ومشاهدته لأن كثير من المشاهد المؤثرة في الإقناع قد تغيب عن القارئ سواء الخاصة بالخطيب كشكله وتعابير وجهه و حركات يديه وانفعالاته ، أو الخاصة بالجمهور كردود فعلهم و تجاوبهم .

2-الخطابة (نظرة تاريخية):

يكاد يكون تاريخ الخطابة مقارنا لتاريخ الإنسان نشأ بنشأته، وارتقى برقيه، فاختلاف الناس في آرائهم ومعتقداتهم يدفعهم إلى الجدل ومحاولة بعضهم إقناع البعض الآخر واستمالتهم، فإذا حدث هذا فهذه خطبة، والتسلح لا يشمل الوسائل المادية بل يتعداه إلى الوسائل السليمة كالإقناع والاستمالة.

وقد رويت لنا الخطب منذ بدء التاريخ، ففي آثار المصريين خطب مدونة بالهيروغليفية للملوك ورجال الدين، ولأشوريين خطب كتبت باللغة المسمارية، والكتب السماوية تروي لنا خطبا للأنبياء في دعوتهم.

والمتتبع لتاريخ الخطابة يرى أن من أهم عوامل رقيها وازدهارها أن يكون للأمة حظ من الحرية في الفكر والقول، واليونان خير شاهد على ذلك¹.

أ-الخطابة في الثقافة الغربية (عند اليونان والرومان):

أول من كتب في علم الخطابة اليونان، بل هم مستنبطو قواعده ومشيدو أركانه و مقيموا بنيانه فقد قويت فيهم رغبة القول في عصر (بيركليس Pericles) * (ق 5 ق.م) إذ صار

¹ - ينظر: طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام ومحمد عوض، التوجيه الأدبي، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1948، ص ص 27- 28.

* - بيركليس (490 ق.م-429 ق.م) سياسي وحاكم وخطيب يوناني أثيني عمل على إعلاء شأن أثينا وجعلها عاصمة لليونان.

يأسرهم القول البليغ دون سواه، وقد وصل التسابق البياني أوج نشاطه فاتجه الناس إلى تعلم الخطابة والدربة عليها والتمرين على الإلقاء، لذلك أخذ العلماء يستنبطون قواعد الخطابة وقوانينها بملاحظة الخطباء وطرق تأثيرهم وأسباب فشل بعضهم¹.

وجاء بعد أرسطو بمدة طويلة عصر اشتهرت فيه الخطابة عند الرومان وقد بدأت عندهم ضعيفة محدودة لضعف الحرية، فلما أخذت الآداب اليونانية تنتشر عندهم، وأخذ الصراع يشتد بين الشعب والطبقة الارستقراطية لنيل الحرية، بدأت الخطابة الرومانية في النهوض، وقد نبغ خطباء منهم "كاتون" المعروف بالنقاد (174-232 ق.م) ثم "يوليوس قيصر" (100-44 ق.م) القائد الروماني الشهير، ثم إمام الخطابة اللاتينية "شيشرون" (106-43 ق.م)².

وفي القرن الثاني الميلادي تحولت أهمية الخطابة إلى الناحية الدينية، وذلك للصراع الشديد بين الوثنية والعقيدة المسيحية، فظهر خطباء يدافعون عن الدين الجديد ويدعون إليه، حتى إذا انتشرت النصرانية على الوثنية وال صراع بينهما، وعادت الديكتاتورية إلى سطوتها، عادت الخطابة في العهد الروماني إلى الخمود كما بدأت وانحصرت موضوعاتها³.

¹ - ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، د ت، ص ص 9-10.

² - ينظر: لويس شيخو، كتاب علم الأدب، ج2، في علم الخطابة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، ط3، 1926، ص 229.

³ - ينظر: طه حسين وأحمد أمين وغيرهم، التوجيه الأدبي، ص ص 50-51.

وقد خلف الخطباء الرومان بعض الآثار في علم الخطابة يرجع بعضها ل "شيشرون" كما ألف "كونتليان" (42-95م) كتابا سماه "تهذيب الخطيب"، وألف "لنجينوس الحمصي" (240-273م) كتابا سماه "المفلق"¹.

ب- الخطابة عند العرب:

كان للعرب في الخطابة نصيب وافر أتاحه جوههم وأحوال معاشهم وأخلاقهم وآدابهم، فكانت فيهم فطرية ولهم ضرورة وكان لهم بها غاية الاعتناء حتى قال صاحب ربحان الألباب وريحان الشباب: «أن ما تكلمت به العرب من أهل المدر والوبر من جيد المنثور ومزدوج الكلام أكثر مما تكلمت به من الموزون إلا أنه لم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره، لأن الخطيب إنما كان يخطب في المقام الذي يقوم فيه... فإذا انقضى المقام حفظه من حفظه ونسيه من نسيه بخلاف الشعر فإنه لا يضيع منه بيت واحد»².

وأكثر استعمال الخطابة عندهم في مواضع التحريض على القتال والتحكم في الخصومات، وتحمل الديات، وإصلاح ذات البين والمنافرات، والوصايا، والوفادة على الملوك والأمراء، وهي عندهم ضربان: طوال وافية وقصار كافية، فلكل مقام مقال، قيل لعمر بن العلاء، هل كانت العرب تطيل؟ فقال نعم؛ ليسمع منهم فليل له وهل كانت توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنهم. أما صفة الخطيب عند التأدية فكان من عاداتهم في غير خطب التزويج أن يخطب قائما على منبر أو ربوة أو ظهر راحلة لإبعاد صوته والتأثير بشخصه وإظهار ملامح وجهه وحركات جوارحه، ومن عادة الخطيب أن يقوم متعصبا عمامة معتمدا على عصا أو قناة أو قوس، وكانوا يستحسنون من الخطيب رباطة الجأش وأن يكون جهير

¹ - ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص 11.

² - نقولا فياض، الخطابة، دار الهلال، مصر، ط2، ص ص 121 - 122.

الصوت متخير اللفظ قوي الحجة نظيف الثياب كريم الأصل، صادق اللهجة أسرع الناس عملا بما يقول. ومن أشهر خطبائهم: كعب بن لؤي، وذو الأصبع العدواني، وقيس بن خارجة بن سنان، وخويلد بن عمرو القطفاني، وعمرو بن بن كلثوم الثعلبي، وسحبان وائل، وقس بن ساعدة الأيادي، وأكثم بن صيفي¹، وهاشم بن عبد مناف وأبو طالب عم النبي ﷺ وغيرهم.

ويرجع سبب انتشار الخطابة في ذلك العصر إلى:

- 1- الحرية التي كان يتمتع بها العربي.
- 2- المقدرة القوية في استعمال مفردات اللغة وأساليبها.
- 3- مقدرتهم على الارتجال في المواقف الصعبة التي كانوا يتعرضون لها فتأتي على ألسنتهم العبارات البليغة، والحكم الصائبة²، قال الجاحظ في البيان والتبيين: «فما هو إلا أن يصرف همه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي يقصد فتأتيه إرسالا، و تتثال عليه الألفاظ انثيالا»³.

وعن مكانة العرب الخطابية بين الأمم فإن كثير من الأدباء والعلماء يرون أن العرب يأتون في المرتبة الأولى من البيان والمنزلة السامية في الخطابة كما ذكر الجاحظ حيث أثبت للعرب أن الحكمة كانت تجري على ألسنتهم، بينما الفرس والعجم لم تكن تنقاد لهم إلا

¹ - ينظر: الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة، وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، ص ص 22- 23.

² - ينظر: محمود محمد رسلان، الخطابة، نشأتها وميادينها، دار التقوى للنشر والتوزيع، ط2، 2006، ص 213،

3 - الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 ص 28. وتتثال أي تسيل وتتوالى.

عن طول فكرة واجتهاد رأي، إذ يقول: «وجملة القول، إنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس...»¹.

بينما يرى آخرون ومنهم محمد أبو زهرة أن العرب وإن كانوا في المرتبة الأولى في البيان فليس بالضرورة أن تكون الأمم اليونانية والفارسية والهندية دونهم بلاغة وفصاحة، ويرى أنه يجب أن نتصف بالحقيقة فنقول أن خطباء اليونان والرومان لم تكن أكثر خطبهم ارتجالية بل كانت تعد إعدادا، وفي الحق أن الخطيب العربي يعد في الطبقة الأولى بين خطباء الأمم، وأن الخطابة العربية في العصر الجاهلي كانت حية ناهضة لتوافر الدواعي إليها ووجود أصحاب البيان². وبقيت كذلك حتى ظهور الإسلام.

فقد كان العرب أميين مع وجود نزر يسير من التدوين والكتابة، فكانت الخطابة وسيلة لدعوة العرب إلى الدين الجديد، وإيمانهم به، وإيصال شرائعه إليهم، وارتقى الإسلام بمكانة العقل وأعلى من شأنه، لأنه يقبل الحجة والمنطق القائم على التفكير والقبول العقلي شرط في صحة العقيدة، ومع توسع قاعدة الإيمان غدت الخطابة وسيلة التشريع ورسم الحدود التي تقوم عليها دولة الإسلام، كما وجد الخلفاء والولاة فيها الوسيلة للاتصال مع الرعية وشرح سياسات الدولة كما أنها تعد رابط بين قادة الجند والجنود.

ولما أطلت الفتنة برأسها بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه وانقسام المسلمين إلى فرق كانت الخطابة وسيلة إيضاح موقف كل فئة، وقد ازدهرت بتأثير العامل الديني مثل خطبة الجمعة و العيدين³. واتخذت في صدر الإسلام صبغة غير التي كانت عليها في

¹ - المرجع السابق، ج3، ص ص 27 - 28.

² - ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص ص 184 - 185.

³ - ينظر: فاطمة تجور؛ وعبد الرحمن عبد الرحيم، الأدب في صدر الإسلام، ص ص 255 - 256.

الجاهلية فأصبحت لغتها أرقى وأصفى، وعلا شأنها لانصراف العرب عن الشعر إليها، «ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة والاشتمال بالرداء واختصار المخصرة، والخطبة من قيام»¹.

و من أشهر خطباء هذا العصر النبي محمد ﷺ، وأبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهم.

و إذا تأملنا النصوص الخطابية في عصر صدر الإسلام نرى أنها امتازت بنبل مقاصدها وسمو أغراضها، فهي قائمة على الدعوة إلى الإسلام وإتباع مبادئه، ومن مميزاتة:

- أنها لم تعد أقوال وحكم متناثرة بل أصبحت ذات موضوع واحد.
- تأثرها ببلاغة القرآن الكريم وخطب رسول الله صل الله عليه وسلم من خلال ترصيعها بالآيات القرآنية وأقوال المصطفى صلوات الله عليه وسلم وافتتاحها بحمد الله والثناء على رسوله الكريم.
- ازدهرت الخطابة الدينية التي ابتعدت عن السجع و المنافرات والمفاخرات.
- بروز الخطابة العسكرية مع كثرة الفتوحات الإسلامية.
- ظهور الخطابة السياسية خصوصا بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه².

ويمكن القول: «إن الخطابة إذا كانت قد لاقت ازدهارا في العصر الجاهلي لذلاقة اللسان وقوة البيان وحسن المنطق، وخلابة الألفاظ وصفاء القريحة في فطرة العرب، فقد

¹- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج2، مؤسسة المعارف، بيروت، ص 109.

²- ينظر: رامي منير، الخطابة عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص ص 29-30.

صقل الإسلام هذه الفطرة وجلاها وأزال ما ران عليها من غشاوة الشرك والوثنية والميل إلى الفجور والشور، وقوى ما في نفوسهم من خير ومعروف وحميد الخصال»¹.

وهكذا واصلت الخطابة سيرها في طريق الازدهار في العهد الأموي إذ كانت لا تزال للعرب فطرتهم وسليقتهم اللغوية، وكانوا من بلاغة المنطق وحسن البيان وجودة الإفصاح والإفهام، بحيث يستطيع متكلمهم أن يبلغ ما يريد من استمالة الأسماع مع الديباجة الرائعة والرونق البديع.

وعطفا على ما ذكرناه من مواهبهم البيانية هناك عوامل أخرى ساعدت على ازدهار الخطابة يمكن أن نردها إلى السياسة والمحافل والدين، فأما من حيث السياسة فقد عرف هذا العصر باضطراب سياسي تميز بصراع عنيف بين الأمويين والعلويين، كما قام الزبيريون يطالبون بالخلافة من جهة والخوارج من جهة أخرى ونهضت القبائل في عصبية متجددة تتناحر وتتفاخر، وفي هذا الصراع كانت الخطابة وسيلة وعدة.

وفي المحافل نجد الوفود المختلفة تقصد قصور الخلفاء والولاة متحدثة في شؤون قومها وانبثقت في هذه الأثناء خطب التهئة والتعزية، وبجانب السياسة والمحافل نجد العامل الديني بارزا في خطب الجمعة والعيدين وخطب المواعظ المستلهمة لهدي القرآن والسنة².

وإلى ذلك فقد واصلت الخطابة تطورها وازدهارها من خلال خطابة الفتوح التي كانت ترافق الجيوش وتبعث الحماسة في صدور المقاتلين، وفي هذا العهد ظهرت خطابة المناظرة ولاسيما عند اشتداد الخلاف بين علي ومعاوية، وبين أهل العراق والشام، ومن أشهرها خطبة

¹ - محمد عبد السميع جاد وآخرون، محاضرات في علم الخطابة النظرية والعملية، مطبعة الفجر الجديد، د ط، د ت، ص 22.

² - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط20، 2002، ص ص 405 - 407 - 408.

الإمام علي في الخوارج وقد خاصموا عبد الله بن عباس رسوله إليهم، وفيها من روعة القول وقوة الحجة ما يعجب¹، ولعبد الله بن الزبير مناظرة مع الخوارج تدل على قوة منطقته وحدّة نكائه².

ومن أبرز خطباء هذا العصر: الخلفاء الأمويون خاصة معاوية وعمر بن عبد العزيز وولاتهم مثل عتبة بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف وزياد بن أبيه ، ومن خصومهم الخطباء نجد: عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب، وقطري بن الفجاءة ونافع بن الأزرق³.

وشهدت الخطابة أواخر الدولة الأموية بعض الفترات لاستقرار الحكم وتراجع نشاط الفرق والأحزاب المعارضة لحكم بني أمية، فلما جاءت الدولة العباسية انبعثت في جسم الخطابة الواهن حركة حياة بسبب احتدام الصراع بين العباسيين وخصومهم العلويين والخوارج، ولم يكن اختلاط العرب بالعجم بعد شديد الأثر على الألسنة فتعددت موضوعاتها واحتفظت بمقومات بقائها ونموها ونشاطها، فهذا العصر هو امتداد للعصر الذي سبقه من حيث بناء الخطبة وشدة إحكامها، فضلا عن كثرة النصوص وكثرة الخطباء المصاقع المفوهين، كما عرف هذا العصر تدوين العلوم، ومنها الخطابة وكان للجاحظ نشاط بارز في البيان والتبيين، ولما فترت دواعي ازدهار الخطابة المذكورة سابقا باستقرار الدولة وكثر اختلاط العرب بالعجم وتولي كثير من الموالي قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم ضعف شأن الخطابة ولم يبق لها إلا بعض الأصداء في المساجد والجوامع⁴.

¹ - ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 359.

² - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص 417.

³ - ينظر: رامي منير، الخطابة عند العرب، ص 54.

⁴ - ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 528.

ومن أشهر خطباء هذا العصر وأقولهم بياناً وأشدّهم تأثيراً وأقدرهم على الإدلاء بالحجة أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور وهارون الرشيد وابنه المأمون ومحمد النفس الزكية وغيرهم¹.

وقد ظلت الخطابة في أول عصر النهضة على ما كانت عليه في آخر العصر العباسي ضيقة يكاد يقتصر استعمالها في الأغراض الدينية، ثم تنوعت أغراضها لما اتسعت دائرة الأفكار في عهد إسماعيل باشا وبعد قدوم جمال الدين الأفغاني إلى مصر ألتف حوله كثير من رجال الأزهر وأدباء مصر وسوريا وأخذ لهم أندية كانوا يتناوبون فيها الخطابة في الأمور الدينية والأخلاقية، ثم انتقلت إلى الشؤون السياسية وفشت بين شبان مصر مع قيام الثورة العرابية.

ومن خطباء المرحلة: السيد عبد الله النديم والإمام الشيخ محمد عبده وأديب إسحاق، ثم مرّن عليها كثير من الوعاظ والأدباء، وأقاموا المآمعة الأسبوعية للخطابة في الأخلاق والدين والاجتماع والسياسة²، ولم ترجع إلى سابق عزّها ومجدها إلا في عهد مصطفى كامل (ت 1908م) فقد كانت له أمضى سلاح في جهاده وأقوى معين في إيقاظ بلاده من أجل الاستقلال، ثم سعى المحامون إلى التدريب عليها حتى نبع منهم طائفة صالحة، ويعتبر سعد زغلول من أشهر خطباء هذه المرحلة³. وفي الجزائر برز خطباء مفوهون ينتمون إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمثال: عبد الحميد بن باديس و البشير الإبراهيمي و الطيب العقبي وغيرهم، وبالتأمل في أطوار الخطابة نرى أنها قد ارتقت بفضل ما توافر لها من عوامل ازدهار اختلفت عبر العصور الأدبية،" فحيثما نال الناس حرية القول والفكر وتنازعت

¹ - ينظر: رامي منير، الخطابة عند العرب، ص ص 89-90.

² - ينظر: الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 32.

³ - ينظر: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د ط، د ت، ص 480.

الأحزاب على الحكم وعلى النظام الذي يتبع، وشعر الناس بسوء وضعهم وتطلعوا إلى حال خير من حالهم، رقيت الخطابة، وإذا انعدم ذلك كله ضعفت، وترى مصداق ذلك في العصر الأموي والعصر العباسي"¹.

3-أجزاء الخطبة: (ترتيب أجزاء القول) (TAXIS)

للخطابة وعبر امتداد التاريخ خطة موحدة عند جميع الأمم قد تزيد أو تنقص بحسب الحاجة، وترجع أصولها التنظيرية إلى "أرسطو طاليس" الذي انقاد إلى التقسيم الرباعي لأجزاء الخطبة وهو: المقدمة والعرض والتدليل والنتيجة وتفصيل القول في هذه الأجزاء يكون كالآتي:

أ- المقدمة (الابتداء، الاستهلال):

الهدف من المقدمة إعداد السامعين إلى الإصغاء وتهيئتهم للاقتناع بما يريد الخطيب وعليها يتوقف قدر كبير من نجاحه لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام فإن كان ذلك الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده كانت الرغبة أشد على مواصلة الاستماع. وقد لا تكون ضرورية فقد يسبق الخطيب خطباء آخرون في نفس الموضوع فلا تكون هناك حاجة لمقدمة جديدة، وقد تكون ضرورية كأن يكون الخطيب مجهولا أو مغمورا وموضوعه لا يثير اهتمام السامعين فيعتمد على المقدمة لعقد الصلة بينه وبينهم ويوضح أهمية موضوعه.²

¹ - طه حسين وأحمد أمين وآخرون، التوجيه الأدبي، ص 51.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص ص 37- 38 .

ومن شروط جودتها:

- أن تكون مرتبطة بالموضوع معينة على فهمه «وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته. كأنه يقول: فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصلح... فإنه لا خير في كلام لا يدل على معنك ولا يشير إلى مغزك...»¹.
- أن تكون واضحة مناسبة لعقول السامعين موزونة المعاني دقيقة التعبير.
- أن تكون مناسبة مع الخطبة في طولها أو قصرها وفي نوعها وأن يلحظ الخطيب أن المقدمة ليست إلا مفتاحاً للموضوع فلا يجهد نفسه فيها حتى إذا أتى للموضوع كلّ وضَعَفَ واستنفد طاقته وأدرك السامعين الملل².

ب- العرض: هو الجزء الذي يلي المقدمة، وهو أهم شيء في الخطبة والجزء الأساسي منها ولا يمكن الاستغناء عنه.

ومن شروط جودته:

- وحدة الموضوع والترتيب المنطقي فكل جزء من الموضوع يسلمك إلى ما بعده وهو على علاقة بما قبله ثم الوضوح والابتعاد عن الغموض والتعقيد.
- ج- التدليل:** يحتاج الخطيب في عرض الموضوع إلى التدليل عليه في أغلب الأحيان وذلك بتأييد الخطيب دعواه بالأدلة التي يراها وهي نوعان: أدلة منطقية، وأدلة خطابية.

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 116.

² - ينظر: طه حسين وأحمد أمين وآخرون، التوجيه الأدبي، ص 39.

- أدلة منطقية: وهي المبنية على مقدمات يقينية ثابتة كالقياس مثلا وينشأ عنها اقتناع ويقين عقلي كأن نقول:كل مجتمع لابد له من عقيدة والجزائريون مجتمع فلا بد لهم من عقيدة.

- أدلة خطابية: وهي المبنية على مقدمات ظنية، أو المستندة إلى العرف الشائع أو أقوال الحكماء والأدباء وتدخل في الأدلة الخطابية بنيات جاهزة تُحيل إليها النصوص المقدسة والأقوال المأثورة والحقائق التاريخية وينشأ عن هذه الأدلة اقتناع شعوري.

وفي كثير من الأحيان يحتاج الخطيب إلى تقنيد رأي مخالفه (تكذيبهم) بنقض حججهم وبراهينهم ويعمد إلى رأيهم فيزيل أثره من نفوس السامعين وذلك من خلال وسائل التقنيد (المغالطة والإنكار)¹.

كما يمكن الاستغناء عن التقنيد، إذا كانت الخطبة نفسها تتولى ذلك، أو إذا كان الموضوع لا يقوم على أساس المخاصمة.

د- الخاتمة: لها قيمة كبيرة من حيث أن لها الأثر الأخير في نفوس السامعين وبعدها يجني الخطيب الثمرة المرجاة من خطبته ويتجلى نجاحه في قدرته على الاستمالة والإقناع، وله أن يسلك في الخطبة مسلكين: أحدهما أن يلخص الخطيب فيها آرائه السابقة، والثاني أن يحاول اجتذاب عواطف السامعين أو يجمع بينهما.

ومن شروط جودة الخاتمة:

- أن تكون إجمال لما قيل في العرض والتدليل ما يزيد الخطبة قوة وإثارة للعواطف.
- أن تكون قوية؛ لأنها الجزء المباشر للنتيجة وحتى لا تضع الخطبة بسبب فتور الخاتمة وضعفها.

¹- ينظر: عبد الكريم الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2005، ص ص 40-41.

- أن تكون قصيرة ما أمكن، فخير للخطيب أن يختم خطبته والسامعون أميل إلى الاستزادة من أن يختمها وهم أقرب إلى الملل و السآمة¹.

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن هذه الخطوات الأربعة (المقدمة، العرض، الدليل، الخاتمة) قد لقيت الذيوع على امتداد تاريخ الخطابة، وظهرت باعتبارها خطوات ثابتة، إلا أن تفرعاتها وتشقيقاتها قد ظهرت عند هذا البلاغي أو ذاك فرفعت عددها إلى خمسة وستة وسبعة، فهناك من يعتبر الاستطراد والتقنيد والتقسيم أجزاء من الخطابة، لكن التقسيم الرباعي الذي تبناه أرسطو كان الشائع كما ذكرنا².

4-أنواع الخطابة:

تتنوع الخطابة بحسب مادتها و مقامها و«قد حصر أرسطو فنون الخطابة في ثلاثة أقسام: وهي الخطب التثبينية والخطب القضائية والخطب المشورية؛ وكان تقسيمه تابعا لأوقات المعاني الخطابية. فالخطب التثبينية وهي التي تتعلق بالمدح أو التأيين أو التعزية، وغيرها من الأمور التي تتعلق بحادث ثابت أو حال قائمة. زمنها الحاضر.

و الخطب القضائية لأنها تتعلق بأمور حدثت فيما مضى ويتناقش الخصمان في بيان تبعاتها. زمنها الماضي.

وخطب الشورى وهي تتعلق بأخذ الأهبة للمستقبل وإعداد العدة لما يكون فيه كان أكثر معانيها يتعلق بالمستقبل زمن وقوعها.

¹- ينظر: طه حسين وأحمد أمين وآخرون، التوجيه الأدبي، ص 41.

²- ينظر: محمد الوالي، بناء الخطبة وترتيب الحجج عند أرسطو، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب،المغرب،العدد 04، 2014،ص 51.

والحق أن فنون الخطابة تتبع حاجات الأمة وأحوالها وشؤونها والضرورة الدافعة إلى القول الخطابي»¹. فرغم أنه قد مشى على هذا التقسيم أرباب الخطابة عشرين قرناً، لكن أحوال المعيشة المدنية والسياسية والدينية تغيرت مما دعا إلى تبديله، ولهذا نجد المحدثون يقسمون الخطابة غالباً إلى خمسة أنواع وهي: السياسية والقضائية والعسكرية والدينية والعلمية². و في اعتقادي أنه بالرغم من الاجتهاد في حصر و تحديد الخطابة في أنواع بعينها، فإن ذلك لا يكون دقيقاً دائماً مع طبيعة مضمونها و مادتها، كما أن كثيراً من الخطب ذات مضامين متعددة فنجد الخطيب يتناول في الخطبة الواحدة مواضيع دينية وسياسية و اجتماعية و غيرها.

- **الخطابة السياسية:** وهي التي تتناول موضوعات سياسية كنظام الحكم والشؤون الخارجية والداخلية للبلاد وما تعلق بأنظمة المالية والزراعة والتعليم والقانون وتلقى في المجالس النيابية وفي المجتمعات الانتخابية أو في المؤتمرات، وقد ازدهرت عند العرب بقيام العصبية بين الهاشميين والأمويين وباقي الفرق والأحزاب السياسية.

- **الخطابة القضائية:** ويقصد بها الخطب التي تلقى في دار القضاء كخطب المحامين أو أعضاء النيابة أمام القاضي في قاعات المحاكم³، وفيها يتم الفصل في الخصومات وحل القضايا العالقة ومعرفة الحق من الباطل وتحري العدالة الحقيقية.

- **الخطب العسكرية:** كثيراً ما يلجأ قادة الجيوش إلى الكلمة يشعلون بها الجنود حماسة إلى الاستبسال وهذا النوع من الخطابة قديم العهد عند العرب. ومن أبرز هذه الخطب خطبة

¹ - محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص ص 123 - 124.

² - ينظر: الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 69.

³ - ينظر: طه حسين وأحمد أمين وآخرون، التوجيه الأدبي، ص ص 31 - 33.

هانئ بن قبيصة الشيباني في موقعة ذي قار وخطبة الجهاد لعلي رضي الله عنه، وخطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس، ونجد عند الغرب خطب عديدة من أشهرها خطبة نابليون في حملة إيطاليا.

- **الخطابة الدينية:** وهي الخطب التي تلقى في دور العبادة للوعظ والإرشاد، ولم تعرف عند الغرب إلا بعد ظهور المسيح عليه السلام، وازدهرت عند العرب مع الإسلام وتشتمل على خطب الجمعة والأعياد وفيها تكون نفوس السامعين أكثر استعدادا للتأثر بالخطيب الديني لما وقر فيها من عظمة الله ومحبة الدين.

- **الخطابة الحفلية:** وتلقى في محفل التكريم أو التأبين أو التهنئة أو الإصلاح أو الزواج أو نحو ذلك، وقد عرفها العرب قديما كخطب المنافرة والمفاخرة وخطب الاستخلاف والولاية¹.

- **الخطابة العلمية (المحاضرة العلمية):** هي أقل الخطب بلاغة لا تثير العواطف إنما كلام علمي صناعة وبحثا وتركيب بسيط يقرب الحقائق العلمية من الأذهان، وأول ما ظهرت في فرنسا لعهد الكردينال "رثليو" مؤسس "مجمع الخالدين" مكون من أربعين عضوا من أرباب السيف والقلم ورجال الدنيا والدين، وهي محاضرة وما شاكلها ويسمى الانجليز قراءة أخذنا عن الروائي "دكسون" الذي كان يتلو مؤلفاته في حفل من الناس ويدخل في هذا النوع الأندية الأدبية والدروس التعليمية وغيرها².

5- عناصر بناء الخطابة (أصولها):

وتعني المراحل التي تمر بها الخطبة من مجرد كونها فكرة في الذهن إلى مرحلة إلقائها أمام المستمعين أو القاضي ونكرها أرسطو قائلا: «إن اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن

¹ - ينظر: عبد الكريم الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، ص 310 و ص 304.

² - ينظر: نقولا فياض، الخطابة، ص ص 138 - 139.

على مجرى الصناعات ثلاث (إحدهن): الإخبار من أي شيء تكون التصديقات، (والثانية) ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، و(الثالثة) كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول»¹.

ثم هناك عنصر الإلقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو ومنهم البلاغيون العرب عنصرا مستقلا ويتضمن الحركة والصوت، وهناك عنصر خامس اختلف في نسبته لأرسطو وهو "الذاكرة".*

وهذه عناصر لا يختص بها الخطاب عند اليونان و اللاتين دون العرب ولا القديم دون الحديث، وإنما الاختلاف في العنصر المهيمن فيها من حضارة لأخرى، فربما كانت للمنطق الأولوية عند اليونان فكان الاهتمام بالحجة في حين نجد أن أكثر ما عرف عند العرب هو الشعر فكانت للأسلوب والعبارة الصدارة. كما أن اختلاف الموضوعات والمخاطبين (المستمعين) يقتضي تقديم وسيلة وتأخير أخرى فما يقدم بين يدي القضاة في الخطابة القضائية يختلف عما يستعمل للتأثير على الجمهور في الخطابة الاحتفالية².

- **الإيجاد** (اكتشاف الحجج Eurisis): ينبغي في الخطابة العثور على الموضوع الأساسي والحجج التي تستخدم بغاية الإقناع، وهذه الحجج بالنسبة لأرسطو هي:

- **الحجج غير الصناعية** (الجاهزة): وهي التي لا يكون للخطيب دخل فيها فهي خارجة عن نطاق اجتهاده وتصرفه (الشاهد).

¹ - أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ص 181.

* - أضاف أرسطو إلى العناصر الثلاثة عنصرا رابعا أسماه: (الأخذ بالوجوه Hypothesis)، وأطلق عليه بارث "مسرحة القول"، فيما أسماه بدوي بالإلقاء، أما العنصر الخامس الذاكرة (الاستظهار) فيرى هشام الريفي أنه ينسب إلى اللاتين (شيشرون وكانتيان)، بينما يرى حمادي صمود عكس ذلك.

² - ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ص 20- 21.

- الحجج الصناعية (غير الجاهزة): وتكون من اختصاص الخطيب وتتوقف على مدى فطنته في استخراجها والإدلاء بها في الوقت المناسب (القياس المضمّر).
- الترتيب (ترتيب أجزاء القول Taxis): يأتي في الخطوة الثانية ترتيب المواد التي حصلت في الخطوة الأولى وهي مواد فكرية وعاطفية وحجاجية مكرسة للإقناع وترتيبها كالاتي: التمهيد، السرد، الحجاج، الخاتمة.
- الأسلوب (العبارة Lexis): أو الصياغة اللفظية للخطاب، ويمكن في اختيار الألفاظ وتركيبها، وتراعى فيه الصحة والوضوح والمناسبة للموضوع والصور والإيقاع.
- الفعل (الإلقاء Hypocrisy): وهو الانتقال إلى الانجاز وهو ما يصاحب الخطبة من حركات الجسد وتعابير الوجه وغير ذلك.
- الذاكرة (الاستظهار Memoria): وهي عبارة عن خزن الخطاب في الذاكرة وحفظه تمهيدا لإلقاءه مرتجلا¹.

6- مقومات الخطابة:

إن لهذا الفن العظيم خصائص ومواصفات لا بد من توافرها في عملية الخطابة وأهم ركن فيها هو الخطيب فهو محور الدائرة في العملية الخطابية ومن ثم يجب أن تتوفر فيه بعض الشروط:

عدة الخطيب وصفاته: للخطيب صفات وأخلاق حسنة يتحراها فيستميل بها قلوب السامعين ويجعلها تنصت لما يقول ويمكن إجمالها في الآتي:

¹- ينظر: فرانسوا مورو، البلاغة، المدخل لدراسة الصور البيانية، تر: محمد الولي وعائشة جريير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2003، ص ص 11- 12.

أ- سداد الرأي: وهو أصالة العقل وعلمه التام بالقضية وتمييزه لوجوه الأمور ومعضلات المشاكل بحيث يثق السامع بقول الخطيب وينقاد إلى كلامه.

ب- صدق اللهجة: هي صفة يتصف بها الخطيب في كلامه ليثبت للسامعين إخلاص نيته واستقامة عمله وحرصه على الحقيقة.

ج- التودد من السامعين: ويكون بالحلم والتواضع لهم والوقار والوفاء والأمانة والنزاهة، فيبين الخطيب في مقاله أنه خالٍ من الأغراض لا يسعى إلا لخير الجمهور¹.

د- قوة الملاحظة: أن تكون نظراته إلى سامعيه فاحصة يقرأ من الوجوه خطرات القلوب ليجدد من نشاطهم.

هـ- حضور البديهة: لتسغفه بالعلاج المطلوب إن وجد من القوم إعراضا والدواء الشافي إن وجد اعتراضا.

و- طلاقة اللسان: اللسان أداة الخطيب الأولى فلا بد أن تكون الأداة سليمة كاملة.

ز- رباطة الجأش: يجب أن يقف الخطيب مطمئن النفس غير مضطرب، حتى يستطيع التأثير فيهم، وإذا كان العكس صغر في نظرهم وذهب كلامه هباءً، وقد جاء في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، الحيرة والدهشة يؤثران الحُبسة والحصر وهما سبب الارتجاج والإفحام.

ح- القدرة على مراعاة مقتضى الحال: وهذا لبُّ الخطابة وروحها، فلكل مقام مقال، ولكل جماعة من الناس لسان تخاطب به².

¹- ينظر: لويس شيخو، علم الأدب، الجزء الثاني في علم الخطابة، ص ص 48-49.

²- ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص ص 44-45.

وهذه الصفات المذكورة واجبة فلا يعد الخطيب خطيبا إذا لم تكن فيه. أما الصفات الآتية فتتفاوت فيها أقدار الخطباء بمقدار ما ينالون منها وهي:

- **قوة العاطفة:** فلا بد أن تكون حماسة الخطيب أقوى من حماسة سامعيه ليغضب عليهم ويروي غلتهم، وإلا أحسوا بفتور نفسه، فضاع أثر قوله¹.

- **الاستعداد الطبيعي:** هي هبة من الله سبحانه وتعالى يهبها بعض الناس، وإذا وهبها خطيبا قاد الجماهير بفضل استعداد الفطري، فأبو الحسن الرماني يقول أصل البلاغة الطبع، وصُحار بن عياش العبدي يجيب معاوية وقد سأله ما هذه البلاغة التي فيكم؟ بقوله: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا.

- **التجمل في الهدام:** كان العرب قبل الإسلام وبعده يلبسون العمائم ويفخمون منظرهم إذا ما خطبوا، فالهدام المنسق يعزز ثقة الخطيب بنفسه ويكسبه في أعين الناس مهابة.

- **سعة الاطلاع:** فالخطابة ليس لها موضوع خاص تبحث فيه بمعزل عن غيره بل ترتبط بكل شيء من شؤون الناس في دينهم ودنياهم، فعلى الخطيب أن يكون ملما بكل صنف من صنوف المعارف.

ومن الصفات المتعلقة بروعة المنظر وجودة الإلقاء:

- الوقفة التي تزيد من الفخامة والعظمة بأن تكون معتدلة وتجنب كثرة الحركة.
- حسن الإشارة: فهي لغة منظورة أو لغة متحركة فإذا اقترنت الإشارة باللغة في موضعها الملائم أثرت تأثيرا عظيما.
- جهارة الصوت وحلاوته: فهو يبهر ويسحر بحلاوة نغماته وصفاء رناته.

¹- ينظر: المرجع السابق، ص 46.

- جمال الخلقة: أن يكون مقبول الصورة غير منفر، فالناس مولعون بالقوة والسلامة، رغم أن التاريخ عرف من هم غير ذلك واستطاعوا أن يكون خطباء كالأحنف بن قيس.

- سمو الخلق: فإذا ما كان حسن السمعة أثر في سامعيه لأن حسن السمعة كالمقدمة للاقتناع بقوله¹.

7- أهمية الخطابة وفائدتها وغايتها:

تعد الخطابة حاجة نفسية وظاهرة اجتماعية، فالإنسان يولد وهو يستقبل الحياة بما فيها ومن فيها، وميلاده بداية لمرحلة من مراحل الصراع مع نفسه وبيئته في محاولة إثبات ذاته وفي دوامة هذه المعاناة يحاول التعبير في دوافعه وآلامه وآماله بمختلف الصور بالفلسفة أو الشعر، بالصورة أو بالحركة وبالخطابة التي هي أبرز أدوات التعبير جميعا.

والإنسان مدني بطبعه ولا بد له من جماعة ينتسب إليها ومن سنن الله في هذا الاجتماع البشري: الاختلاف². قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأُمَّلَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾³.

ويرى الدكتور أحمد الحوفي أن اجتماع الناس في مكان واحد وكلامهم بلسان واحد أدى إلى معرفة الخطابة.

¹- ينظر: عبد الكريم الجنابي، تاريخ الخطابة العربية، ص 45 وما بعدها.

²- ينظر: محمود محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، ص ص 12- 13.

³- سورة هود: الآية 118، 119.

فمن الطبيعي أن يختلفوا في رأي وعقيدة، وأن يتنافسوا على غنيمة أو متاع أو سلطة وأن تنشب أمور تستدعي تعاون المجتمع فيتصدى لذلك أحد القادة وكل هذا يحتاج إلى إقناع الناس واستمالتهم بالخطابة، ويذهب ابن رشد إلى جعل الخطابة قاسما مشتركا وجاريا على كل لسان مهما كان مستواه الثقافي ضئيلا، فكل واحد من الناس يوجد مستعملا لنحو من أنحاء البلاغة كالتاجر وهو ينادي لسعته بشيء من البيان بلغته، وكل ذي رغبة في أمر يجتهد في استعمال ما أمكن من وسائل الإقناع، إنها إذن مظهر من مظاهر الاجتماع ومقياس تقدم الجماعة وعلامة رقيها¹.

وفوائد الخطابة جمة فهي التي تفض المشاكل وتقطع الخصومات وتهدئ النفوس الثائرة وترفع الحق وتخفف الباطل وتقيم العدل وترد المظالم، وهي صوت المظلومين وهي لسان الهداية، ولأمر ما قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، الخطابة الدعامة التي قامت عليها الثورات الكبيرة كالثورة الفرنسية وهي قوة تثير حمية الجيوش قديما وحديثا ومن الخطباء القواد: يوليوس قيصر، نابليون، علي بن أبي طالب، خالد بن الوليد، طارق بن زياد وغيرهم.

والخطباء هم المسيطرون على الجماعات تصدع الأمة بإشاراتهم وتخضع لسلطانهم وبالجملة فالخطابة طريق إلى التأثير والإقناع حيث لا يفيد البرهان، قال العلامة ابن رشد نقلا عن أرسطو: «ليس كل صنف من أصناف الناس ينبغي أن يستعمل معه البرهان في الأشياء النظرية التي يراد منهم اعتقادها -وذلك إما لأن الإنسان قد نشأ على مشهورات تخالف الحق، فإذا سلك به نحو الأشياء التي نشأ عليها سهل إقناعه- وإما لأن فطرته ليست معدة لقبول البرهان أصلا وإنما لأنه لا يمكن بيانه له، في ذلك الزمان اليسير الذي يراد منه وقوع التصديق فيه، فهذا الصنف الذي لا يجدي معه الاستدلال المنطقي؛ تهديه الخطابة

¹- ينظر: محمود محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، ص 14.

إلى الحق الذي يراد اعتناقه؛ لأنها تسلك من المناهج، ما لا يسلك المنطق». وهذه مزية عظيمة لا يستهان بها، ويرى ابن سينا في فائدتها: «إن صناعة الخطابة عظيمة النفع جدًّا؛ وذلك لأن الأحكام الصادقة فيما هو عدل وحسن أفضل نفعًا وأعم على الناس من أضرارها فائدة؛ لأن نوع الإنسان يعيش بالتشارك والتشارك محوج إلى التعامل والتحاور، وهما محوجان إلى أحكام صادقة، وهذه الأحكام الصادقة تحتاج إلى أن تكون مقررة في النفوس ممكنة في العقائد، والبرهان قليل الجدوى في حمل الجمهور على الحق، فالخطابة هي المعينة بذلك» انتهى بتصريف¹.

وغاية الخطابة عند الحكماء: الحصول على قوة التمكن من الإقناع، وفضلها عظيم، وشرفها جسيم، إذ تفضل العلوم، والصناعات، و تشرف بشرف غاياتها، وللخطابة غاية ذات شأن خطير، وهي إرشاد الناس إلى الحقائق، وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل، والخطابة معدودة من وسائل السيادة والزعامة، وكانوا يعدونها شرطًا للإمارة، فهي تكمل الإنسان وترفعه إلى ذرى المجد والشرف، قال العلامة ابن سينا في "الشفاء": «إن الخطيب يرشد السامع إلى ما يحتاج إليه من أمور دينه ودنياه، ويقوم له مراسيم لتقويم عيشه والاستعداد إلى معاده، وحسبها شرفًا أنها وظيفة قادة الأمم من الأنبياء والمرسلين -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- ومن على شاكلتهم من العلماء العاملين وعظماء الملوك وكبار الساسة»².

¹ - ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص ص 17- 18.

² - ينظر: علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 15.

8- علاقة الخطابة بغيرها من العلوم:

كان لتتوع موضوعات الخطابة وتشعبها ارتباط قوي بغيرها من العلوم ومنها العلوم الإنسانية التي لها علاقة مباشرة بهذا الموضوع، لأنها تهدف إلى استمالة وإقناع النفس الإنسانية، ومعرفة مقامات المجتمع ولا يتأتى هذا إلا بدراسة العلوم، قال ابن رشد: «إن كل صناعة إنما هي معلمة، أي مبرهنة، ومقنعة، في الجنس الذي تنظر فيه، لا في جميع الأجناس. وأما الخطابة فهي تتكلف الإقناع في جميع الأشياء: في أي مقولة كانت وأي جنس كان. ولذلك ليس تنسب إلى جنس خاص»¹.

أ- علاقة الخطابة بالمنطق:

لم يجانب الفلاسفة القدامى الصواب كثيرا حينما اعتبروا كتاب الخطابة لأرسطو المترجم للعربية آنذاك أنه جزء متمم لعلم المنطق، فابن سينا في الشفاء يجعل الخطابة من أقسام المنطق، وحقيقة أن كتاب الخطابة لأرسطو يبرز فيه المنطق بوضوح تام، ترى الكلام على الحد والرسم والدليل وكيف يتكون القياس الخطابي، ثم ترى فيه الكلام على التصديق الذي يكتفي به في الخطابة، وغير ذلك مما يعد من المنطق، وهو خادم لعلم الخطابة، إذ أن كثير من قوانين الخطابة تعتمد عليه في مبادئه، علاوة على هذا فإن لم يعد المنطق يبحث عن القوانين التي تعصم الذهن عن الخطأ فقط، بل يستنبط أيضا ما يرشد الذهن إلى الأخذ بالقوانين السابقة، فهو يبحث أيضا عن أهواء النفس وخواطرها وأسباب الغلط، وتسلسل الخواطر وكلها أمور تساعد الخطيب على أداء مهمته، وتمد قوانين الخطابة بمناحي التأثير، وطرق الإقناع. فالخطيب يتعامل مع العقل الإنساني إلى جانب مخاطبته القلب فهو يحتاج

¹ - أبو الوليد بن رشد، تلخيص الخطابة، ص 29.

إلى المنطق حصولا على البرهان ينصر به قضيته ووصولاً إلى فكر متسلسل متماسك، يسلك المستمع معه في أفقه فلا يتخلف عنه.

ب- علاقة الخطابة بعلم النفس:

لا يمكن للخطيب الوصول إلى غايته المتمثلة في إقناع السامعين واستمالتهم إلا إذا استطاع مخاطبة إحساسهم وأن يتصل كلامه بشفاف قلوبهم، وهذا مرهون بضرورة علمه بما يثير شوقهم ويسترعي انتباههم ومعرفته بطبائع نفوسهم وأحوالها وغرائزها ولا يكون هذا إلا بعلم النفس فهو دعامة لعلم الخطابة فهو يرشد إلى وسائل الإقناع والتأثير.

والخطيب الذي لا يعرف غرائز النفس واتجاهاتها ورغباتها لا ينجح في امتلاك زمامها ولا تجدي الخطب الرنانة فتيلاً إذا ظل باطن الإنسان مجهولاً¹.

ج- علاقة الخطابة بعلم الاجتماع:

الخطابة موجهة إلى جمهور متنوع و مختلف يراعي فيه الخطيب طبقات الناس و منازلهم وطباعهم حتى يكون لكل فئة ما يناسبها من المقال، قال الفارابي: «إن الخطيب إذا أراد بلوغ غايته، وحسن سياسة نفسه في أمور فليتوخ طباع الناس وتلون أخلاقهم وتباين أحوالهم»². وقال أفلاطون: «لكل أمر حقيقة ولكل زمان طريقة، ولكل إنسان خليفة، فعامل الناس على خلائقهم والتمس من الأمور حقائقها، واجر مع الزمان على طرائقه»³. فيرى محمد أبو زهرة أن هذه قوانين تنفع الخطيب في متصرفاته مع كل طائفة من أهل طبقتهم ومن دونه ومن فوقه، فعلى الخطيب إذا أراد الانتصار لدعوته الإمام بأحوال المجتمع وما يلزم لكل فئة

1 -ينظر: محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها، ص ص 7- 8.

2 - محمد أبو زهرة، المرجع نفسه، ص 8

3- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

أو طبقة اجتماعية من خطاب وهذا أمر جد لازم لكل خطيب، وعليه فمن الواجب أن تكون قوانين الخطابة متصلة بقوانين الجماعات مستمدة منها القوة.

وخلاصة القول أن هذه العلوم الثلاثة (علم المنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع) ينابيع صافية استمد علم الخطابة منها قوانينه وعلى ضوءها شق طريقه¹.

المبحث الثاني: الاتصال و الخطاب السياسي

1- مفهوم التواصل بين التأصيل والتأسيس والتنظير :

أ- مفهوم التواصل في التراث العربي :

ركز العلماء العرب في معرض تعريفهم للغة والبلاغة والبيان على خاصية التواصل، ومن هولاء ابن جني (ت 392هـ) في تعريفه للغة: «أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»²، فالمرسل يعبر عن غرضه بتوجيه رسالة إلى المرسل إليه وهذا ما يبين الطابع الاجتماعي للغة، ويظهر هذا المفهوم عند الجاحظ في تعريفه للبيان: « والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»³. فالجاحظ يهدف من خلال تعريفه للبيان إلى التركيز على إيضاح المعنى بأي وسيلة كانت سواء كانت الوسيلة

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص ص 8-9.

² - أبو الفتح عثمان بن جني، "الخصائص"، ج1، تح: محمدعلي النجار، المكتبة العلمية، ط2، دت، ص 33.

³ - الجاحظ، "البيان والتبيين" ج1، ص 76.

منطوقة أو مكتوبة أو إشارة أو رمزا أو غيرها، وعناصر التواصل عنده: القائل و السامع والقناة (وسيلة بلوغ الفهم) والشفرة(كشف قناع المعنى و هتك الحجاب)،و يرى حمادي صمود أن الجاحظ انتبه إلى أن الفعل اللغوي يقوم على ثلاثة عناصر رئيسية تمثل الحد الأدنى للبيان اللغوي هي(المتكلم والسامع و الكلام) و إن لم تكن هناك صياغة نظرية مباشرة لهذا الاعتبار كما عند أرسطو مثلا¹، كما يتضح معنى التواصل عند الجاحظ في شرحه للبلاغة التي من معانيها عنده التبليغ والتوصيل وذلك في قوله: «ويكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع»² فهو يعتبر التواصل رسالة تبلغ إلى المخاطب ينبغي أن تخضع لشروط و عوامل نجاحها، ما جعله يغوص بعيدا في قضايا التوصيل وشروط التأدية،ويعد ما قدمه في هذا المجال قريب من اللسانيات الحديثة³.و قد أفاد علماء اللغة والنقد في العصر الحديث من التراث القديم واستطاعوا بتطبيق ما ورد فيه في مجال اختصاصهم من التقدم في ميدان التواصل اللغوي.

ب- مفهوم التواصل عند المحدثين :

1-مرحلة التأسيس: رغم أن "دي سوسير" لم يتناول التواصل اللغوي كمبحث خاص، وإنما من خلال حديثه عن ثنائية اللغة والكلام و عما أسماه بمدار الكلام، فإنه يعد مؤسس التواصل اللساني من خلال ما جاء به من آراء وأفكار حول التواصل انطلاقا من تصوره لشخصين(أ) و(ب) يتواصلان ويتحاوران فيما بينهما، فتبدأ عملية التواصل من دماغ المتكلم(أ) على شكل تصورات مشكلة من متواليات من الأصوات (الصورة السمعية) لتصل إلى أذن

1 -ينظر: حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص182

² -الجاحظ، "البيان والتبيين"، ج1، ص 2/87 .

³ -ينظر : محمد الصغير بناني، "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين"، ص 9.

المخاطب (ب) عبارة عن رموز وأصوات غير مفهومة، ثم يبدأ المتلقي بتأويلها في ذهنه، فيحولها من دال إلى مفهوم مؤول ذهنيا ومتفق عليه جماعيا وهنا نكون ازاء مدلول دال عن وظيفة تواصلية، وبذلك يكون دي سوسير أول بنيوي يؤسس لنظرية التواصل.

2-مرحلة التنظير : لقد كان البحث الذي نشره "رومان جاكبسون" في حلقة براغ 1929 والذي تناول فيه الوظائف المتعددة للغة بداية لاحتلاله مصاف المنظرين الكبار لمفهوم التواصل مستفيدا من التطور الحاصل في المجال العلمي عامة ومن أبحاث مهندسي التواصل السلبي واللاسلكي لاسيما "ماكاي Mackay وشانون Chanoun" فلم يجد صعوبة في التأقلم مع مفاهيمهم العلمية كالشفرة والرسالة والقناة والتشويش لأنها كانت متداولة في اللسانيات وقد أوضح " جاكبسون" عناصر التواصل اللغوي من خلال الخطابة التالية:

سياق

مرسل.....رسالة.....مرسل إليه

اتصال

سنن

ويربط "جاكبسون" وظائف اللغة بالعوامل المكونة للتواصل اللغوي، وفي حالة التركيز على عنصر معين من عناصر الخطابة اللسانية المذكورة يلاحظ هيمنة وظيفة ملازمة لهذا الطرف أو ذاك . فالوظيفة التعبيرية تتمحور حول المرسل باعتباره الطرف الذي يسعى إلى إيصال الخبر إلى الطرف الثاني، وترتبط الوظيفة الشعرية بالرسالة حاملة المعنى، أما الوظيفة المرجعية فتتصل بالسياق (المرجع) لذلك أسماها جاكبسون المرجعية، وترتبط الوظيفة الانتباهية بالصلة (القناة)، والوظيفة الافهامية مرتبطة بالمرسل إليه بغرض لفت

انتباهه والتأثير عليه، ووظيفة اللغة الواصفة مرتبطة بالسنن (الشفرة) وهي لغة مفسرة وواصفة للغة ذاتها¹.

وإذا أردنا تعريفا للتواصل فإننا سنجد مفاهيم متعددة بتعدد العلوم ويمكن أن نأتي بهذا التعريف لعمر أوكان: "التواصل هو تبادل أدلة بين ذات مرسله وذات مستقبله حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الأخرى وتقتضي العملية جوابا ضمنيا أو صريحا عما نتحدث عنه، ولنجاح العملية يتطلب إشراك المرسل والمرسل إليه في السنن، كما تقتضي العملية قناة تنقل الرسالة من الباث إلى المتلقي، ويمكن تلخيص التعريف بطريقة رياضية :

من (أ) إلى (ب) ترسل (ج) التي تتحدث عن (د) وتخضع لقوانين (هـ) وتنتقل من (أ) إلى (ب) عبر (و) حيث أن (أ)=المرسل و(ب)=المرسل إليه و(ج)=الرسالة و(د)=المرجع و(هـ)=السنن و(و)=القناة².

وبعد أن رأينا مفهوم التواصل عبر المحطات الثلاثة (التأسيس، التأسيس، التنظير) يمكن القول أن اللغة وظيفة تواصلية ذات بعد تداولي باعتبار المتكلم يتوجه إلى المخاطب لتبليغه و التأثير فيه و ذلك بمراعاة ظروف الاستعمال اللغوي وعناصر السياق وهي عوامل أساسية في نجاح عملية الاتصال .

¹ -ينظر: محند الركيك، " نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة"، عدد خاص بالتواصل الإنساني وأشكاله، مجلة علامات، العدد 24، 2005، موقع سعيد بنكراد، ص 65 وما بعدها:

2-نظرية الاتصال:

وهي نظرية رغم حداثها إلا أنها ذات أبعاد قديمة تتعلق بالبلاغة والمنطق والمجادلة والمناظرة، وقد نشأت في المحاورات السياسية والقضائية عند اليونان، وتمثلت عند العرب في البلاغة، ولها ارتباط وثيق بالمجتمع وبحقل السياسة في التاريخ القديم والحديث، لأنها ذات أبعاد سياسية، فالإتصال بث معلومات وتحقيق مقاصد، وهدفه البحث عن وسائل الإقناع الممكنة والإقناع أهم مقاصد الخطاب السياسي ورجال السياسة هم أحرص الناس على نجاح اتصالهم بال جماهير وإقناعهم بمقاصدهم¹.

3-الاتصال السياسي:

يعرف الإتصال السياسي في معجم المصطلحات السياسية بأنه:"عملية نقل المعاني ذات الدلالة السياسية المرتبطة بعمل النظام السياسي، وفي موسوعة السياسة يعرف على أنه "تفاعل بين طرفين من خلال قناة معينة حول قضية معينة". إذا نظرنا إلى التعريف الأول نتبين أن لفظ "عملية" يعني تتّم عن قصد وتوحي بالتخطيط والتفاعل والحركة، أما التعريف الثاني فإنه اهتم بعملية التفاعل وقناة الإتصال وموضوع الرسالة، ويتكون الإتصال السياسي من رسالة ومرسل ومُتلَق وقناة و مقصد².

4-مفهوم الخطاب السياسي:

وهو الخطاب الموجه عن قصد إلى متلق مقصود بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب الذي يتضمن أفكارا أساسية،فالملاحظ أن المرسل يعتني بالفكرة التي هي مقصده

¹ - ينظر: محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي (دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الإتصال) دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2005، ص8 .

² - ينظر: المرجع نفسه، ص ص 23 - 24.

أكثر من عنايته بالألفاظ¹ «والخطاب السياسي كما يقول "غجليون" Ghiglione في 1989 هو خطاب التأثير، حيث أن الهدف هو التأثير على الآخر وجعله يبادر إلى العمل ويفكر ويعتقد...»² وقد عرف الغرب قديما الخطبة السياسية (المشورية) كما عرف العرب أيضا هذا النوع من الخطب في صدر الإسلام وبعده.

5- الخطاب السياسي في التراث العربي :

رغم قلة المعلومات عن الخطاب السياسي العربي قبل الإسلام إلا أنه من المؤكد أن العرب عرفوا الخطابة السياسية. «وهي التي قيلت في شرح المسائل السياسية وعلاقة المسلمين بالأقوام المجاورة من روم وفرنس وأحباش ويهود ونصارى، وكاستحقاق الخلافة وولاية العهد»³، وقد استخدم رسول الله ﷺ إلى جانب الخطبة أنواعا أخرى من الخطاب كالمناظرة والرسالة والتعليم ويمكن النظر إلى بعض آيات القرآن الكريم بوصفها خطابا شبه سياسي خاصة ما تعلق ببعض مسائل الحكم والعلاقة مع ولي الأمر وأخلاقيات الحرب وقوانينها والعلاقة مع الأقليات، كما عرف المسلمون في صدر الإسلام أشكالاً من التفاوض السياسي كما يظهر في حادثة سقيفة بني ساعدة التي أعقبت وفاة النبي ﷺ وشهدت جدلاً بين المهاجرين والأنصار حول أحقية كل منهما في تولي الخلافة⁴.

¹ - ينظر: المرجع السابق ، ص ص 45 - 46.

² - ذهبية حمو الحاج، التحليل التداولي للخطاب السياسي، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، العدد، 2 ، ص 239.

³ - عبد الكريم إبراهيم الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، ص 100.

⁴ - ينظر: عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي، التاريخ والمناهج والآفاق، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب ، عدد6، 2015، المغرب، ص ص 112 - 113.

المبحث الثالث: الخطابة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجريين:

1- مفهوم الخطابة السياسية: تناولنا مفهوم الخطابة السياسية سابقا ضمن أنواع الخطابة ، وهي لا تخرج عن مواضيع الحكم و السلطة وتسيير شئون الرعية في جميع مجالات الحياة باعتماد أساليب الإقناع و التأثير في المخاطبين ، ويعرفها أحمد محمد الحوفي بقوله: " هي التي تدور حول الشئون العامة للدولة ، فتشمل الخطب التي تلقى في البرلمان ، وفي المجتمعات الانتخابية ، و الأندية الحزبية ، و المؤتمرات الدولية السياسية ، سواء تعلقت بأمر خارجي كالمعاهدات والحرب و السلام . أو بأمر داخلي كالتعليم والاقتصاد والزراعة والتشريع و نظام الحكم"¹.

2- تطورها: لعل أكبر عامل في تطور الخطابة السياسية وازدهارها يرجع إلى الحرية في التعبير وهذا ما كان سائدا عند اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد ، إذ كان الحكم جمهوريا يعتمد فيه رجال السياسة للوصول إلى طموحاتهم على استرضاء الشعب و إقناعه من خلال الخطابة السياسية . و تطورت الديمقراطية عند الرومان ، فكانت شئون الدولة تناقش بحرية في مجلس الشيوخ وبالمجتمعات الشعبية² وكان ازدهارها عند العرب في العصر الأموي لكثرة الأحزاب السياسية وصراعهم حول الحكم مما استدعى الاستعانة بالخطابة السياسية . و ما يلاحظ الاختلاف البين بين عوامل ازدهارها عند الغرب والعرب الذين امتزجت عندهم بين اللين والتهديد ، فكان يتم الحسم غالبا بالسيف والقوة، لا بالإقناع و الحوار الهادئ ، باستثناء بعض الحالات النادرة مثل خطب السقيفة التي اتسمت بالإقناع والحجاج ، و خطب يوم الشورى التي سادها التشاور في الرأي ، وهذا في صدر الإسلام.

1 أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 5 ، ص 64

2 ينظر: المرجع نفسه، ص 64

أ-الخطابة السياسية في صدر الإسلام:

شهد هذا العصر نمو هذا الفن الخطابي لا سيما مع تأسيس الدولة الإسلامية الجديدة و أول نماذجه نجدها في خطب النبي ﷺ مثل خطبة حجة الوداع ، و خطب صحابته الأبرار رضوان الله عليهم في تصريف شئون الدولة الفتية ورسم سياستها في الداخل والخارج مع توسع رقعتها المتزايد ، و لأنهم كانوا يستمدون سياستهم من الشريعة الغراء فقد امتزجت خطبهم السياسية بالمعاني الدينية كما امتزجت بالمعاني الحربية مثلما هو الحال في حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق¹ وقد برزت معالم الخطابة السياسية أكثر بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة في ما يعرف بخطب يوم السقيفة التي كان موضوعها الصراع حول الحكم واحتجاج الفريقين في أحقية كل منهما بالخلافة وانتهى ذلك الجدل بمبايعة أبي بكر الصديق ، ثم خطب الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب بين ستة من الصحابة يكون منهم الخليفة وبعد الاستماع إلى بعضهم توصلوا على ترشيح عثمان وعلي فخطب كلا منهما محتجا لنفسه، ثم بعد قتل عثمان بن عفان كان الصراع بين بني هاشم وبني أمية حول الحكم فخطب كلا منهما محتجا لنفسه². إضافة إلى خطب البيعة التي كانت مناسبة لشرح السياسة العامة لكل خليفة في مستهل حكمه.

ب-الخطابة السياسية في العصر الأموي:

يعد هذا العصر من أزهى العصور في فن الخطابة و أكثر أنواعها ازدهارا هي الخطابة السياسية بسبب الظروف السياسية العامة حيث كان الخلاف شديدا في شأن الخلافة و انقسام الناس فرقا و أحزابا ، فسادت الاضطرابات و الفتن ، فكانت الخطابة السلاح الأبرز في هذا الكفاح .

¹ ينظر: نبيل خالد رباح أبو علي، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي 656 هـ ، ص 215

² ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 50، 52، 53

ب1. عوامل ازدهارها:

لنقل أولاً إنها امتداد للخطابة المزدهرة في صدر الإسلام حيث الحرية متوفرة و اللغة حية سليمة طيبة في السنة المتكلمين، إضافة إلى أن المستمعين عربا احتفظوا بسليقتهم اللغوية يفهمون اللغة ويتذوقونها ويقدرّون الكلام الجيد البليغ¹، ثم إنها نتيجة لأحوال البيئة الجديدة المضطربة سياسيا واجتماعيا بعد مقتل عثمان بن عفان، والصراع العنيف بين الأمويين و العلويين ، فكان للحزب الأموي خطبؤه يدعون إلى الطاعة و يحتجون على حقهم في الخلافة و يناهضون خصومهم و يهددون الخارجين عليهم ومن أشهر خطبائهم : معاوية بن أبي سفيان و زياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف ، وكان على رأس خطباء العلويين الإمام علي بن أبي طالب يحتج في سبيل إظهار دعواه القائلة بأن الخلافة حق شرعي لهم و أن معاوية مغتصب لها ، وظهرت فرقة الخوارج في هذا الصراع أيضا و في مقدمة خطبائهم قطري بن الفجاءة . ويقوم منهجهم على أن الإمامة غير محصورة في قريش و هي شورى بين المسلمين². "وبرزت أيضا فجأة موقعة الجمل ثم ظهر حزب الشيعة بعد مقتل الحسين كما ظهر حزب الزبيريين ثم حزب ابن الأشعث ثم المختار الثقفي واعتمدت كلها على الخطابة"³ و كان في طليعة خطباء الزبيريين: عبد الله و مصعب ابنا الزبير اللذين اعتمدا على الآيات لتكفير الأمويين و إظهار مروقهم⁴، ويقوم منهجهم على عودة الخلافة إلى الحجاز و أن يتولاها أحد أبناء كبار الصحابة⁵، كما برزت العصيبة القبلية من جديد في تناحر و تجاليد ، وفي هذا الصراع المحموم كانت الخطابة السياسية وسيلة وعدة وكان

1 ينظر: عبد الجليل شلبي: الخطابة و إعداد الخطيب، ص 210

² ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل ، بيروت، ط 1 ، 1986 ، ص 358 ، 359

3 عبد الجليل شلبي: الخطابة و إعداد الخطيب، ص 210

⁴ ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم ، ص 358 ، 359

5 ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، ط 20 ، 2002 ، ص 406

الخطباء هم الطليعة في أصل كل حركة و في قمة كل فتنة . وإلى جانب ما ذكرنا ظهرت فرق فكرية و مذاهب دينية عانت التجربة السياسية و كان لكل فرقة دعاة و مبشرون يستعينون بالخطابة لنشر الدعوة و الدفاع عنها¹.

ج-الخطابة السياسية في العصر العباسي:

رغم أن العصر الأموي هو العصر الذهبي للخطابة السياسية، إلا أنها لم تزل و تضعف بل واصلت استمراريتها ونشاطها أوائل العصر العباسي إذ اتخذتها الثورة العباسية عدة و وسيلة لإثبات أحقية العباسيين في الحكم -في ظل معارضة أبناء عمومتهم العلويين لحكمهم و محاولات الخروج عليهم -على نحو ما نجده في خطبة أبي العباس السفاح حين بويج بالخلافة في الكوفة متحدثا عن رحمهم و قرابتهم لرسول الله ﷺ مستشهدا بالآيات القرآنية مذكرا بإنقاذ الناس من ظلم بني أمية و جمع الناس بعد تفرقهم ، و يخطب بعده عمه داوود بن علي منتهجا نفس النهج الذي سلكه السفاح ، ويعد من الخطباء المفوهين الذين يستحسن الناس خطبهم و قد أشاد الجاحظ بفصاحته وبيانه ، وفي عهد أبي جعفر المنصور تتدلج ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي الملقب بالنفس الزكية فكان موضوع خطبهما تأكيد الحق في الخلافة و إرثها عن رسول الله ﷺ و كلاهما من أبين الخطباء لسنا و فصاحة ، وتم القضاء على هذه الثورة و غيرها قضاء مبرما فاتجه المعارضون إلى السرية خوفا من البطش فلم يعد إلا السيف أو الإذعان فضعفت الخطابة السياسية ضعفا شديدا ، وفي فتنة الأمين والمأمون عادت من جديد لكن لم تكن بنفس القوة الفنية في العهد الأموي².

1 ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 358 ، 359

2 ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط 16 ، 2004 ، ص 448 ، 449

3- خصائص أسلوبها:

شهدت الخطابة عامة والسياسية منها خاصة تطورا بينا ، فمنذ عهد رسول الله ﷺ أصبحت لها مقدمة معروفة تتمثل في الحمد والثناء على الله عز و جل و ذكر الشهادتين ، ولهذا وصفت العرب بعض الخطب التي لم تبدأ بالحمد بالبراء ، و التي لا تذكر فيها الشهادة جذماء ، و التي لا تزين بالصلاة على النبي شوهاء ، وفي الخاتمة كان السامعون يعرفون نهاية الخطبة من خلال بعض العبارات التي كان يكررها الخطباء مثل الاستغفار (أقول قولي هذا و استغفر الله لي و لكم) أو أدعية مأثورة عن رسول الله ﷺ أو آية قرآنية . وما ذكرناه يدل على أن الخطابة استقادت من القرآن والحديث من حيث المعاني و الأساليب ، مثل الاقتباس و الاستشهاد بالقرآن الكريم كما في خطبة السقيفة لأبي بكر الصديق و خطبة البيعة للخليفة أبي العباس السفاح و خطبة عمه داوود بن علي، حتى أصبح الناس يعتبرون الخطبة الخالية من القرآن الكريم ناقصة كما شاع الاستشهاد بأبيات الشعر كما في خطبة الولاية للحجاج بن يوسف بالكوفة ، و لازالت الخطابة محتفظة ببعض خصائص الخطبة الجاهلية من الألفاظ الجزلة مع التقليل من غريبها، إضافة إلى محافظتها على قصرها باستثناء بعض الخطب الطويلة المتناسبة مع متطلبات المقام في ظروف خاصة . ومن أسباب استحسانهم للخطب الموجزة حتى لا تنسى لأنهم يعتمدون على الحفظ و المشافهة .¹ ومن المميزات الأخرى قوة العاطفة ، فالصدق النفسي أو الشعوري من أهم وسائل الإقناع فقد يكون ما يقوله الخطيب بجانب للواقع إلا أنه بسبب إيمانه به وصدق تعبيره عنه يستميل السامعين مصدقين ومقتنعين فلا يطلب منه إيقاع اليقين في نفوس المخاطبين بل المطلوب منه تقوية الظن ، ومن خطباء السياسة المشهود لهم بهذا الحجاج بن يوسف الذي يقول فيه مالك بن دينار: "ما رأيت أحدا أبين من الحجاج ، إنه كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق و صفحه عنهم و إساءتهم إليه ، حتى أقول في نفسي : إني لأحتسبه صادقا ،

1 ينظر: عبد الجليل شلبي: الخطابة و إعداد الخطيب،ص 177 ، 178 179

و إني لأظنهم ظالمين له" ، وقد اشتهر كذلك خطباء الخوارج بصدق العاطفة وقوة الشعور في الإيهام والإقناع بصدق دعواهم ، فقد ذكر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بعد استماعه لخطبة أحد الخوارج عن مذهبه:" لقد كان يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم ، و أنا أولى بالجهاد منهم" معترفاً أنه كاد يستهويه مع أنه ألد خصومه لولا عصمة الله له.و قد أجاز النقاد للخطباء الاستعانة بالخيال و التصوير للتأثير في السامعين رغم أنهما من خصائص الشعر.¹ و قد وظفت الخطابة السياسية العربية القياس الخطابي العقلي المستند إلى طبيعة العقل الإنساني و القائم على الترجيح والاحتمال حتى قبل اتصال العرب بالفلسفة اليونانية ، وأمثله كثيرة في الخطب الأموية ، منها قول الحجاج:" زعمتم أنني ساحر، وقد قال الله تعالى:" ولا يفلق الساحر"، و قد أفلحت" ، وتخريجه:

لا يفلق الساحر

أفلق الحجاج

إذن الحجاج ليس بساحر²

4-الخطابة والتداولية:

إذا كان الكلام جوهر الإنسان تكون الخطابة بما هي صناعة كلامية، وسيلة من وسائل الدفاع عن إنسانية للإنسان باعتبارها صناعة كلامية نافعة تدافع عن الحق والعدل والفضيلة، وتسعى إلى الإقناع وتضمن حصانة المدينة ومؤسساتها³.

1 ينظر: نبيل خالد رباح أبو علي، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي 656 هـ، ص 218 ، 219

2 ينظر : محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص 73 ، 79 ، 80

³ - ينظر: إدريس جبيري، حكايات من أجل الإقناع في كتاب "بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية" للحسين بنو هاشم، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 06، 2015، المغرب، ص 60.

إن الخطابة حسب أرسطو: "قدرة أو كفاءة أو ملكة" مهمتها البحث والكشف عن وسائل الإقناع الكامنة في كل موضوع والتنظير لها، ومن هذه الوسائل: الايتوس، و الباتوس، و اللوغوس، والضمير والمثال والمواضع الخاصة والمشاركة¹. وقد كشف الدكتور محمد العمري الأصول التداولية للبلاغة العربية في القراءة التي أنجزها الفلاسفة المسلمون للتراث الأرسطي، خاصة كتاب "فن الخطابة" الذي فرض هيمنته على البلاغيين والمحدثين والذي يبنى على أسس تداولية أساسها: تقسيم أنواع الخطابة حسب مقامات المخاطبين ومراعاة أحوالهم النفسية وبيان الأقيسة الخطابية فضلا عن الأسلوب وترتيب أجزاء القول، وقد رسخ الفلاسفة بهذا الكتاب الطابع التداولي المميز للخطابة وهو الوضوح والاعتدال². «إن المظهر الجديد البارز لخطابة أرسطو، كما عبر عن ذلك هو نفسه هو بناء نظرية الخطابة التي تتشكل نواتها الصلبة من تحليل الحجاج الخطابي بمعناه المحصور: "إن جسد البرهان الخطابي هو القياس المضمر، والمضمر هو صورة من البرهنة"، يمثل الحجاج اذن النواة المركزية في أي جنس من الخطابة»³.

ومن بين البلاغيين العرب القدماء يظل الجاحظ أحد أبرز من عالجوا الخطابة العربية القديمة خاصة في كتابه "البيان والتبيين" حتى وإن وصفها بعض النقاد بأنها كانت في شكل ملاحظات جزئية متناثرة⁴، ومن أبرز الموضوعات التي رصدها الجاحظ وعالجها في مقاربتة الأصلية للخطابة العربية نذكر منها ما يلامس البعد التداولي مثل: ما جاء في صحيفة بشر

¹ - ينظر المرجع السابق ، ص 61.

² - ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص ص 272-276.

³ - محمد الولي ، "بناء الخطبة وترتيب الحجج عند أرسطو"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 04، 2014، ص 60، 61.

⁴ - ينظر: عماد عبد اللطيف، بلاغة النص التراثي مقاربات بلاغية حجاجية، إشراف: د. محمد مشبال، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2013، ص 20.

بن المعتمر في تعليم الخطابة التي أوردتها الجاحظ وفيها: «وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال...»¹. بحيث يرمي إلى أن المعنى لا يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ولا يتضح أن يكون من معاني العامة وإنما ما وافق الصواب وأحرز منفعة وفائدة مع مراعاة المخاطب لحال السامع ومراعاة ظروف وملابسات الخطاب فكل مقام مقال، فنظرة الجاحظ إلى اللغة تتأسس على المنفعة، ومما أوردته أيضا ، مناقشة العلاقة بين مناسبة الخطبة وموضوعها من ناحية أخرى وطولها من ناحية أخرى². ومراعاة المقام ودواعي الاستشهاد و مواضعه³، وتخير الألفاظ⁴.

كما تناول الجاحظ أبعادا مختلفة لقضية مراعاة حال المخاطب مشيرا إلى ضرورة مراعاة الخطيب لحال السامع كمكانته الاجتماعية و العلمية⁵.

وقد ذكر بيرلمان في كتابه *L'empire rhétorique* أنه ونظرا للدور الذي تلعبه بلاغة الخطابة في التأثير في الرأي العام الوطني والدولي وتوجيهه بادرت الولايات المتحدة منذ عقود إلى إعادة الاعتبار لها بجعلها مادة مستقلة في شعبة خاصة بفن التواصل وخطاب الإقناع⁶. وبالنظر لكل ما سبق ذكره وإذا ربطنا هذه المقولة ل"بيرلمان" وتاريخ الخطابة عند اليونان قديما والمكانة التي تبوأتها بفضل دورها الإقناعي الذي يتلائم مع الحياة اليونانية القائمة على نظام ديمقراطي يؤدي فيه الإقناع دورا مهما سواء في المجالس الاستشارية أو

¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، ج1، ص 136.

² -ينظر : المرجع نفسه ، ص 116.

³ -ينظر: المرجع نفسه ، ص 118.

⁴ -ينظر : المرجع نفسه ، ص 44.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه ، ص 100.

⁶ -ينظر: محمد العمري،" في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا"، ص 14.

المحاكم أو المحافل، فإننا نستنتج أن الخطابة تداولية بطبيعتها ولا يمكن للمجتمع أن يستغني عنها قديما أو حديثا لحاجة الخطاب إلى الإقناع والتأثير وهذا من صميم الخطابة.

-خاتمة الفصل:

و يمكن القول إن الخطابة فن نثري قولي نشأت مع نشأة الإنسان ، لكن علم الخطابة عرف عند اليونان بدء بالسوفسطائيين الذين كانوا يعلمون الناس كيف يطالبون بحقوقهم في المرافعات القضائية ثم من خلال ما جاء به أرسطو حيث اعتبر الخطابة صناعة لها تقنيات و آليات يجب معرفتها و التحكم بها للوصول إلى درجة من الإقناع ، وكذلك الشأن عند العرب فقد مارسوها واشتهروا بها منذ القديم لكن العلم الذي يهتم بأفانين القول وطرق الإقناع عرف في العصر العباسي من خلال ما ورد عند الجاحظ ، و ما جاء في رواية صحيفة بشر بن المعتمر مع إبراهيم بن جبلة في تعليم الناشئين الخطابة.

ولم تكن الخطابة عامة و لا سيما السياسية منها ازدهرت عند اليونان و الرومان بسبب هامش الحرية في التعبير فقط ، بل يجب علينا أن لا نغفل السبب الآخر المتعلق بالنزاع و الصراع العامل الأساسي في بروز "علم الخطابة عند السوفسطائيين" ثم ما شهده الرومان من صراع بين الشعب و الطبقة الارستقراطية، و بين الوثنية والمسيحية. كذلك لم يكن ازدهارها عند العرب فقط في جو من الاضطراب السياسي و النزاع الدموي ، وكثرة الأحزاب السياسية وصراعهم حول الحكم مما استدعى الاستعانة بها لحشد الجماهير لهذا الطرف أو ذاك، بل إن هناك خطب نشأت في جو من حرية التعبير في صدر الإسلام كخطب السقيفة وخطب الشورى ما يجعلنا نقول أن اجتماع العاملين معا (حرية التعبير و الصراع و النزاع) أسهم في رقي الخطابة عامة و لا سيما السياسية منها سواء في الغرب أو عند العرب.

و لقد تميزت الخطابة السياسية العربية بتوظيفها للقياس الخطابى المستند للعقل و القائم على الترجيح والاحتمال مما جعلها توصف بأنها خطابة إقناع ، إلا أنه أجاز النقاد للخطباء

الاستعانة بخصائص الشعر من خيال و تصوير للتأثير في السامعين مما أسبها نوعا من الإمتاع . وعموما فإن الخطابة ذات حمولة إقناعية و خصائص تداولية ما يجعل المقاربة التداولية أنسب و أليق لتحليل الخطابة وسبر أغوارها.

الفصل الثاني

التداولية

الفصل الثاني: التداولية

المبحث الأول: مبحث لساني من البنيوية إلى التداولية

1-المبادئ العامة للسانيات عند دي سوسير و تشومسكي:

أ- لسانيات دي سوسير

ب-نظرية تشومسكي التوليدية و التحويلية

2-نقد الاتجاهين البنيوي و التوليدي التحويلي

المبحث الثاني: التداولية

1- المصطلح و المفهوم

2-نشأة التداولية

3-قضايا التداولية

4-علاقة التداولية بتخصصات أخرى

المبحث الثالث: التفكير التداولي عند العرب

1-مفهوم البلاغة:

أ-مفهوم البلاغة المرتبط بالاتصال

ب-مفهوم البلاغة والوصول إلى المخاطب

2-الأبعاد التداولية في البلاغة العربية:

أ-تداولية المتكلم في البلاغة العربية

ب-تداولية المخاطب في البلاغة العربية

ج-تداولية الخطاب في البلاغة العربية

3-البعد التداولي في الخبر والإنشاء

4- مفهوم اللغة والفعل

5-البعد التداولي في النحو

6-البعد التداولي المرتبط بالشعر ونقده

-خاتمة الفصل

التداولية : دراسة نظرية

المبحث الأول: من البنيوية إلى التداولية:

بعد أن وضع فرديناند دي سوسير (1913-1957) أسس اللسانيات في بداية القرن العشرين ثم الانتشار الواسع لمفاهيمها الأساسية، باتت البنيوية اللسانية المرجع الأساسي في كل الدراسات اللغوية، وأصبح النقد الأدبي مدينا لها بالشيء الكثير، لكن إذا كانت اللسانيات علما حدد مفاهيمه، ووضع أطرا ثابتة يقتدى بها، فإن الفكر البشري لا يتوقف عند حدود معرفية مهما بلغت من الكمال¹. فقد شهدت دراسة اللغة تطورا في ظل المناهج المختلفة حيث انتقلت من علم اللغة الذي يكاد يخلص للنظام اللغوي (من سوسير إلى تشومسكي) إلى علم لغة يركز على الاتجاه الاتصالي والوظيفي والتداولي الذي يعد من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، وتقوم التداولية في جوهرها على رفض ثنائية: اللغة/الكلام (Langue/Parole) التي نادى بها رائد اللسانيات الحديثة دي سوسير (F. de Saussure) القائلة بأن اللغة وحدها دون الكلام هي الجديرة بالدراسة العلمية حيث نجده يقول في هذا الإطار: «سيكون موضوع اهتمامي علم اللغة فقط (دون علم الكلام) وإذا استخدمت مادة تدخل في موضوع الكلام من أجل توضيح مسألة ما، فسأحاول أن أبقى على الخطوط التي تميز هذين الفرعين»². كما

¹ - ينظر: سيلفان أورو وجاك ديشان وجمال كولوعي، "فلسفة اللغة"، تر: د. بسام كوسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 7-8.

² - فردينان دي سوسير، "علم اللغة العام"، تر: د. يوثيل يوسف عزيز، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، بغداد العراق، د.ط، 1985، ص 38.

تأتي التداولية ك«ردة فعل على معالجة تشومسكي» للغة بوصفها شيئاً تجريدياً أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة»¹.

وعلى ذلك فإنها تعنى بالبحث في العلاقات القائمة بين اللغة و متداوليها من الناطقين بها فتأخذ على عاتقها تحليل عمليات الكلام ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها لدى التواصل اللغوي.

1-المبادئ العامة للسانيات عند دي سوسير و تشومسكي:

أ- لسانيات دي سوسير:

يكاد يكون هناك إجماع من قبل اللغويين على أن اللسانيات -كدراسة علمية للغة- لم ترسخ وتستقر إلا بعد ظهور كتاب دي سوسير "دروس في اللسانيات العامة". وهو في نظرهم بعد مؤسس اللسانيات في الثقافة الإنسانية المعاصرة دون سواه.

وقد كان لهذا العالم السويسري الفضل في كونه أول من دعا إلى دراسة المنهج الوصفي في اللسانيات من حيث هو بديل عن المنهج التاريخي في رصد الظاهرة اللسانية والكشف عن أنظمتها ووظيفتها، وتطور هذا التفكير المنهجي على يد تلاميذ دي سوسير والمتأثرين بأرائه العامة في نقد الدراسات السالفة ليخرج في شكل جديد اصطلح على تسميته بالبنوية (Structuralisme) وتعني في أصلها اللغوي البناء، ولها دلالات مختلفة في الفرنسية منها: النظام، والتركيب، والهيكل والشكل والواقع أن المعنى الدقيق لكلمة (Structure) لم يتم تحديده إلا في 1926 على يد مدرسة "براغ" اللسانية، ويفيد المصطلح معنى الترتيب الداخلي للوحدات التي تكون النظام اللساني، ولقد تعرض عدد من الباحثين

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية" ، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004، ص 21.

اللسانيين لهذا المصطلح، منهم جورج مونان (George Monane) الذي يرى أن كلمة بنية ليست لها أية رواسب أو أعماق ميتافيزيقية فهي تدل عنده على البناء بمعناه العادي¹.

«وقد تفرع عن المنهج البنيوي الذي أرسى قواعده سوسير مدارس عديدة في أوروبا وأمريكا تختلف في الاتجاه أحيانا، ولكنها تلتقي -عموما- في حدود الفهم العام لمنهج سوسير ومن أشهرها: مدرسة براغ، ومدرسة كوبنهاغن، والمدرسة البنيوية الأمريكية»².

إن الهدف الأساسي للنظرية اللسانية البنيوية هو دراسة اللغة موضوع اللسانيات في ذاتها ولذاتها، أي دراستها دراسة وصفية آنية، وسنعرض الآن أهم المبادئ التي استخلصها دي سوسير من دراساته للغة والتي ساهمت في نشأة هذا الاتجاه البنيوي.

- اللغة نظام؛ حيث لا يمكن تحليل الظواهر اللغوية بعزلها عن غيرها، فهي أجزاء في نسق أكبر

- اللغة ظاهرة اجتماعية؛ وينبغي دراستها وفق هذا المبدأ، دون اللجوء إلى معايير أخرى خارجة عن مادتها البنيوية.

- التمييز بين "اللغة والكلام"؛ وهو تميز لما هو اجتماعي في اللغة وخاضع إلى نظام عام، عما هو فردي ذاتي لا تحكمه قواعد مشتركة³. ويقول دي سوسير: «سيكون موضوع

¹ ينظر، نعمان بوقرة، "المدارس اللسانية المعاصرة"، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، د ت، ص 75.

² - محمد الأخضر الصبيحي، "مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 41.

³ - ينظر، خليفة بوجادي، "في اللسانيات التداولية"، ص 18، 19.

اهتمامي اللغة فقط وإذا استخدمت مادة تدخل في موضوع الكلام من أجل توضيح مسألة ما فسأحاول أن أبقى على الخطوط التي تميز بين هذين الفرعين»¹.

- لا تحمل أية علامة معنى مستقلا بذاتها، ما لم تكن داخل نظام، بل تستمد معناها من النظام ككل، شأنها في ذلك شأن قطعة الشطرنج.

- إن دراسة اللغة؛ يجب أن تكون أولا وقبل كل شيء دراسة آنية (Synchronique) وتأتي الدراسة التاريخية في الدرجة الثانية، ويقرر دي سوسير أنه لا يمكن أن تدرس اللغة دراسة علمية في مرحلة معينة، ذلك أن الإنسان يستطيع أن يضع قواعد لغته ويستخرج قوانينها دون الحاجة إلى معرفة تاريخها.

- يتميز وجود اللغة بمحورين؛ الاستبدال، وهو المجموعات اللغوية الحاضرة في الذهن، وهي كيانات منفصلة تمثل القدرة على تبادل الظاهرة اللغوية. والمحور التوزيعي: هو العلاقات التي تربط بين وحدات اللغة أثناء التعبير بها.

- موضوع اللسانيات هو دراسة اللغة ذاتها فالهدف الحقيقي الوحيد لعلم اللغة هو أن اللغة تدرس في حد ذاتها ومن أجل ذاتها.

- الكلمة وحدة أساسية للتحليل اللساني، لا الجملة².

- الطبيعة الاعتبائية للإشارة اللغوية (فالعلاقة بين الدال والمدلول اعتبائية)، والطبيعة الخطية للدال³.

¹- ف. دي سوسير، "علم اللغة العام"، ص 38.

²- ينظر، خليفة بوجادي، "في اللسانيات التداولية"، ص ص 19 ، 20.

³- ينظر: ف. دي سوسير، "علم اللغة العام" ، ص ص 86 ، 89

ب- نظرية تشومسكي التحويلية والتوليدية:

بعد أن سيطرت المدرسة الوصفية البنيوية على درس اللساني في الغرب وبعد إيغالها في الشكالية جعل بعض اللغويين الأمريكيين يضيقون ذراعا بها، وبدا لهم درس اللغوي على هذا النحو سطحيا جدا وقاصرا عن الوصول إلى حقيقة الظاهرة اللغوية وهذا ما جعل تشومسكي يوجه انتقادات عنيفة للسانيات البنيوية ممهدا بذلك لظهور منهج جديد وهو ما يسمى بـ "المنهج التوليدي التحويلي" الذي تدعم بظهور كتاب تشومسكي (البنى التركيبية) سنة 1957م، وبداية من هذا التاريخ أخذت ريح هذا المنهج تهب على أوروبا وكل أنحاء المعمورة¹، وأصبح التاريخ الألسني يتكلم عن الألسنية ما قبل النظرية التوليدية التحويلية والألسنية ما بعد النظرية التوليدية التحويلية، ويختلف تشومسكي عن غيره من البنيويين الأمريكيين في أنه محسوب على التيار العقلاني في دراسة اللغة، فالمادة اللسانية عند وسيلة لا غاية في ذاتها فهو منطقي عقلاني وهم وصافون تجريبيون، فاللغة في نظره إبداع وليست قوانين ثابتة وبنى جامدة كما عرضها الاتجاه السابق فهي تصنيف لعدد لا متناه من الجمل انطلاقا من عدد متناه من الكلمات ومثال ذلك الطفل الذي يستطيع تكوين عدد لا محدود من الجمل بفضل عدد من الجمل المسموعة ويرجع سبب ذلك إلى الاستعداد الفطري والكفاءة اللغوية فرض أكثر على الاهتمام بالجوانب الباطنية الذاتية التي أهملها التوزيعيون، ومن أهم المفاهيم التي يعرض في نظريته:

- ينبغي الربط بين النحو والمعنى خلافا للاتجاهات التي تفصل بينهما.

- يعتمد في دراسته للغة على شطر من الموروث التوزيعي وعلى المفاهيم المنطقية الرياضية في النحو، واستعمل الرموز توخيا للدقة.

¹- ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، "مدخل إلى علم النص"، ص 43.

- يميز بين الكفاءة والأداء؛ فالكفاءة هي المعرفة الضمنية التي يملكها مستخدم اللغة، وتستخدم بالفطرة، أما الأداء فهو تحقيق هذه الملكة وإنجازها.

- ينبني على هذا المفهوم السابق نوعان للبنية في نظره؛ البنية العميقة: وهو أصل الجملة الذي يحمل دلالة المتكلم، والبنية السطحية: وهي ما يظهر أثناء التعبير، وتكتنفها الإضافة والحذف والتقديم والتأخير، ويقوم السامع بتحويلات عدة للوصول إلى قصد المتكلم الذي تحمله البنية العميقة، ومهمة اللساني هي كشف هذه التحويلات ومدى قدرة كل من المتكلم والسامع على ممارستها.

- يرى أن للغات خواص مشتركة؛ كأن تحتوي على جمل نموذجية تتفرع عنها جمل أخرى يشترط فيها السلامة النحوية، والاستحسان أي استيفاء قواعد اللغة وتماشيها مع المدلولات المستخدمة، وهنا تكمن إبداعية اللغة موضوع النحو التوليدي¹.

2- نقد الاتجاهين البنيوي والتوليدي التحليلي:

أ- نقد الاتجاه البنيوي:

إن تمسك البنيوية بالعناصر الداخلية في النص الأدبي جعل المناهج تتجاوزها فيما بعد ووجهت إليها انتقادات عدة، حتى من روادها أنفسهم نحو (رولان بارط)، (جوناثان)، وغيرها، ومن ذلك أنها:

- تنظر إلى النص والجملة بعدهما بنيتين ثابتتين، خلافا للنظرة الوظيفية لجملة مثل (حضر زيد مبتسما) تختلف دلالاتها بحسب أحوال عدة: كالتقديم والتأخير، والحذف ...

¹-ينظر: خليفة بوجادي، "في اللسانيات التداولية"، ص 36 وما بعدها

- جعلت دراسة النص الأدبي داخلية مغلقة مما لم يسمح بتحليل قضايا عديدة بقيت عالقة، فجملة مثل (فلان كثير الرماد) أو مثل (هل عندك ساعة؟) تلقى بعض الحرج في التحليل البنيوي ... وهذا ما تعالجه اللسانيات التداولية فيما بعد.

- لم تستطع إنارة النص الأدبي وبحث مقولاته، ويرجع ذلك في نظر الدارسين إلى انشغالها بآليات الدلالة ونظمها عن ماهيتها، وانحباسها في اللغة، لأن النموذج اللغوي ليس بالضرورة موافقا للأنظمة غير اللغوية.

- تمثل قطيعة بين البنية النحوية وبين استعمالها في الواقع أو في النص الأدبي ولا تهتم بالعلاقة بينهما، وهي المهمة التي ستضطلع بها التداولية وتسمح بملاحظتها¹.

ب- نقد الاتجاه التوليدي التحويلي:

لم تسلم هذه المدرسة من الانتقادات حيث تعاملت في نموذجها التحليلي للغة مع لغة مثالية، وأبنية مثالية في مواقف مثالية وهو النقد الذي توجهه الاتجاهات الوظيفية والاجتماعية في دراسة اللغة حيث نجد اللسانيات الوظيفية تهتم أكثر بالوجهة الوظيفية للجملة لاهتمامهم بدراستها ضمن مفهوم التواصل.

- ترى أن دراسة اللغة في مستوياتها الجزئية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية تفقدها طابعها التواصلية الذي يميزها.

- دعت إلى عدم إغفال أبعاد اللغة الثقافية والاجتماعية والنفسية وطورت في هذا المجال مفهوم سياق الحال¹. ومن ثمرات الدراسات الوظيفية، النحو الوظيفي وموضوع اللسانيات في نظره هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم والسامع.

¹- ينظر: المرجع السابق، ص ص 30 ، 31.

- ويرى أحمد المتوكل أنه يمكن تقسيم النظريات اللسانية المعاصرة باعتبار تصورها لوظيفة اللغات الطبيعية إلى: نظريات لسانية "صورية" ونظريات لسانية وظيفية (تداولية) حيث تدخل في المجموعة الأولى النظريات اللسانية التي تعتبر اللغات الطبيعية أنساقا مجردة يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية، في حين أن المجموعة الثانية تشمل النظريات اللسانية التي تعتمد كأحد مبادئها المبدأ الآتي: اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية، وظيفة التواصل. ويمكن التمثيل للمجموعة الثانية، بما يسمى بالتداولية التي تمثل تطورا لما كان يدعى "الدلالة التوليدية" والنظرية الوظيفية الأمريكية والأوروبية والنحو الوظيفي².

- وتعد الدراسات التخاطبية (التداولية) امتدادا واستكمالا لجهود المدرسة الوظيفية وتأتي نتيجة لشعور المهتمين بها بإخفاق النموذج التقليدي للتخاطب لكونه يتعامل مع التخاطب في عزلة عن السياقات الفعلية التي تستخدم فيها اللغة وقصر وظائف اللغة على عملية الإبلاغ وإهمال الأصول التخاطبية المفسرة لمقاصد المتكلم³.

- كما تقترض البراغماتية (التداولية) وجود توقعات بين المتخاطبين وأصول خطابية تحكم سلوكهم واستنتاجاتهم، ومن الواضح أنها تعني بالأداء وليس بالكفاية خلافا للتوليديين وقد عرف عن التداولية تشكيكها في قصر اللسانيات على دراسة الكفاية اللغوية بعيدا عن الاستخدام والسياق.

¹- ينظر: المرجع السابق، ص ص 38، 39.

²- ينظر: أحمد المتوكل، "الوظائف التداولية في اللغة العربية"، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 8.

³- ينظر: محمد محمد يونس علي، "مدخل إلى اللسانيات"، ص 98

- لقد جاءت البراغماتية بعد مراحل من الدراسات الصورية أو البنائية للمعنى التي عرف بها التوليديون خصوصا ولعل روبين لاکوف (Robin Lakof) من أوائل التوليديين الذين شككوا في إمكان دراسة المعنى معزولا عن السياق¹.

- توالي الانتقادات للدراسات التي تجعل من الجملة وحدة للتحليل اللغوي، ورفض اللسانيين الاجتماعيين لفكرة المتحدث المثالي عند تشومسكي².

ويمكن القول: إن الدرس اللساني الحديث شهد تطورات واسعة مست مجال التركيب والدلالة وتعدتها إلى التداول باحثه عن كل الملاسبات التي لها تعلق بالملفوظ من أجل تحقيق فهم جيد له، وإدراك لكيفية اشتغال وحداته ومختلف التعالقات التي تحكمها، ونتيجة لهذا لم يعد الاتجاهان البنيوي والتوليدي التحويلي الاتجاهين المهيمنين على ساحة الدراسات اللسانية إذا أتاحت المعرفة المعاصرة نماذج لسانية تحليلية حاولت إكمال النقص أو الزوايا التي لم تطرقها الدراسات السابقة، ويعد التوجه الوظيفي والتداولي أبرز هذه النماذج³.

المبحث الثاني: التداولية:

1- المصطلح والمفهوم:

أ- مصطلح التداولية عند الغرب: رغم حداثة التداولية كمبحث لساني جديد "البرجماتية اللسانية"، إلا أن المصطلح ضارب في القدم، حيث يعود المصطلحان الإنجليزي "Pragmatics" والفرنسي "Pragmatique" إلى المصطلح اللاتيني "Pragmaticus"

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 102

² - ينظر: نفسه، ص 103

³ - ينظر، عز الدين لعناني، "تحولات الدرس اللساني"، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، العدد 30، 2014، ص 77.

الذي استخدم سنة 1440م تقريباً* وهو من الأصل اليوناني "براجما" "pragma"، ويعني "العمل أو الفعل"، ويعزى أول استخدام له -حسب الموسوعة البريطانية- إلى المؤرخ الإغريقي "بوليبوس" (ت118ق م) الذي أطلق هذه التسمية على كتاباته. ويرجع تاريخ توظيفه في العصر الحديث إلى القرن السابع عشر في مجال الفلسفة التجريبية عند "إيمانويل كانط" ونقله عنه "ش س بيرس" إلى الدراسات اللسانية وتبعه "ش موريس" في ذلك، فارتبط في بداية ظهوره بالفلسفة الأمريكية البرجماتية*. ويجعل بعض العلماء مصطلح "pragmatism" خاصاً بحقل الفلسفة العملية أو النفعية ويجعلون "pragmatics/pragmatique" لعلم اللسان التداولي¹.

ب- ترجمة المصطلح في الدرس اللساني العربي:

تزامن تاريخ انتقال المصطلح في الدراسات اللسانية العربية مع ظهور التداولية في الدرس اللساني العربي في بداية الستينيات من القرن العشرين* فقد تعددت المصطلحات والتسميات ولم تستقر، ومن هنا يجب أن نفرق في المصطلح بين "التداولية" الذي نقصد به هذا الاتجاه

* تاريخياً مصطلح براجماتيك Pragmatique ظهر يوم: 7 يونيو 1438 حين قام شارل السابع بإصدار ظهير Pragmatique sanctionde bourges الذي ينص على تنظيم الكنيسة. بودريس درهمان، مدخل إلى النظرية

التداولية، مجلة علوم التربية، الناشر: أحمد أوزي، المغرب، ص114

* مصطلح البراغماتية مستعار من الفلسفة الواقعية والتجريبية، فقد نشأ في كنف الفلسفة، وأول من استخدمه في علم اللسان الفيلسوف تشارلز ساندرز بيرس (1839-1914) في النصف الثاني من ق 19م في كتبه وبحوثه في علم العلامات، وتناول فلسفياً في مقال "تثبيت الاعتقاد" ومقال "كيف نجعل أفكارنا واضحة" وتبعه وليم جيمس (1842-1910) الذي استعمل المصطلح بمفهومه الفلسفي فقط، وتبع تشارلز موريس (1901-1979) أستاذه "بيرس" واستخدم المصطلح بمفهومه الاصطلاحي الخاص في الدراسات اللسانية في حديثه عن علاقة العلامات بمؤولها في كتابه "أسس نظرية العلامات" المنشور 1938. ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013، ص 10

1 ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص 9

* ذكر د. دنحاً طوبيا كوركيس اللغوي العراقي أنه ترجم المصطلح "pragmatics/pragmatique" منذ 1964 إلى

الفائدتية كمنهج تواصلية، وترجم (Pragmatisme) إلى الذرائعية كفلسفة. ينظر: ينظر: محمود عكاشة، النظرية

البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص 14

للغوي الجديد الذي يعنى بقضايا الاستعمال اللغوي ويقابله المصطلحان الفرنسي والإنجليزي (Pragmatique/pragmatics) والبراغماتية (Pragmatisme)*. وهي مصطلح فلسفي عرفته العربية بلفظه الدخيل (البرجماتية) في سياق ترجمة بعض أعمال وليم جيمس ت 1910 و أشهرها كتابه (Pragmatisme) المترجم إلى العربية في النصف الأول من القرن العشرين ، وقد ترجمه البعض بالذرائعية والنفعية و العملية ، ثم انتقلت الترجمة إلى علم اللسان¹ ، وينسب وضع مصطلح التداولية في العربية للدكتور طه عبد الرحمن مقابلا للمصطلح الأجنبي (Pragmatique) قائلا: «وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيك" لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالاته على معنيي "الاستعمال" و "التفاعل" معا. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»². فاستخدمه "أحمد المتوكل" من خلال مؤلفاته العديدة ومدحه "الجيلالي دلاش" بالخفة والسلاسة³، و التداولية في اللغة من التداول الدال على التفاعل بين طرفين على الأقل (المتكلم والمخاطب)⁴، بينما يقترح الدكتور عبد الملك مرتاض أن يترجم مصطلح (Pragmatique) "بالتداول" ومصطلح (Pragmatisme) بالتداولية⁵. وهناك من الباحثين العرب من يرى أن لا مقابل في اللغة العربية يحمل دلالة المصطلح الأجنبي ومن الأفضل استخدامه بلفظه الدخيل (البرجماتية) لأنه يحمل دلالاته في ثقافته الأصلية و

* - البراغماتية (Pragmatisme) الذرائعية أو النفعية: مدرسة فلسفية معروفة تعبر عن نظرية تهتم بالفائدة العملية للفكرة كمعيار صدقها، وتصورها يؤسس مبادئ الحقيقة والأخلاق على مصالح الفرد والزمرة الاجتماعية ويرخص تطبيقه في الحياة العملية وتسخيده المفرط من قبل الامبريالية الأمريكية، ويقول "جيمس ويليام": «الصحيح يكمن في ما هو حقيقي بالنسبة إلى سلوكنا». - نعمان بوقرة "المدارس اللسانية المعاصرة"، ص 165

1 ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، ص 14

² - طه عبدالرحمان ، "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط2 ، 2000 ، ص 28

³ - ينظر: خليفة بوجادي، "في اللسانيات التداولية"، ص 65.

⁴ - ينظر: بهاء الدين محمد يزيد، تبسيط التداولية ، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010 ، ص 18

⁵ - ينظر: عبد الملك مرتاض، "نظرية البلاغة"، ص ص 162 ، 163.

هو أدق تعبير عن مفهومه ، أما الدكتور محمد يونس فاختر مصطلح " علم التخاطبية" للتعبير عن القصد من استعمال اللغة، والبعض اختار الترجمة إلى " المقاميات" استنادا إلى مصطلح " المقام" التراثي و المقولة البلاغية: "كل مقام مقال"، وهناك ترجمات عديدة لمصطلح (Pragmatique) منها : اللسانيات التداولية ، التداوليات ، علم اللغة التداولي، السياقية، العملية ، الفعليات وغيرها¹.

ج- مفهوم التداولية:

ظهر مصطلح البرجماتية في البداية مرتبطا بمجال تنظيم الشؤون الدينية والسياسية العامة ، إلا أن الفضل في إدراجه ضمن الدراسات اللسانية يعود لشارل س بيرس و تلميذه شارل موريس (1938) الذي اعتبر التداولية فرعا من السيميائية تختص بدراسة العلاقة بين العلامات و مستعملها . لكن "فرانسواز أرمينكو" ترى أن هذا التعريف يتعدى المجال اللساني إلى (السيميائي) و المجال الإنساني إلى (الحيواني والآلي)، و يعترف علماء اللغة والباحثون بصعوبة الإلمام بتعريف شامل ودقيق للتداولية لسعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة، فهي غنية برؤى تعكس التنوع المعرفي الذي نشأ فيه الفكر التداولي، ولعل هذا ما دفع بفرانسواز أرمينكو بالقول: «فبادئ ذي بدء هل علينا أن نقول بالتداولية أو بالتداوليات؟ فالتداولية كبحث في قمة ازدهاره لم يتحدد بعد في الحقيقة، ولم يتم بعد الاتفاق بين الباحثين فيم يخص تحديد افتراضاتها أو اصطلاحاتها...»². ويفضل " فيليب بلانشيه" اعتبارها

¹-ينظر: محمود عكاشة، "النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013، ص ص 15، 13.

²- ينظر: فرانسواز أرمينكو، "المقاربة التداولية"، ص ص 08، 09، 10.

تداوليات (des pragmatique) بالنظر إلى ارتباطها بتخصصات متعددة¹. وبرغم تعدد مفاهيم التداولية في الدراسات العلمية الحديثة فإنها عموما تعرف كما يلي:

1- «التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعبيرات الرمزية والسياقات المرجعية و المقامية والحديثة والبشرية²».

2- وتحد أيضا على أنها: «هي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل³». فالتداولية من خلال هذا التعريفات هي دراسة للاستعمال اللغوي في التواصل، خاصة العلاقات الموجودة بين الجمل والعبارات داخل السياقات والمقامات التواصلية المختلفة.

3- «وهي عند رائدها (ج. أوستين Austin) جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي، وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثير والتأثر⁴».

4- التداولية: «فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، أو هو دراسة معنى المتكلم⁵، فمثلا: إذا قال المعلم في القسم، "الجو بارد جدا" قد يعني أغلقوا

¹ ينظر: فيليب بلانشيه، "التداولية من أوستين إلى غوفمان"، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص 18.

² المرجع نفسه، ص 18.

³ المرجع نفسه، ص 19.

⁴ عبد الحلیم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، ص 11.

⁵ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 12.

الباب والنوافذ، وليس من الضروري أن يقصد مجرد الإخبار فقط، فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما يقول وإن كان الأمر كذلك فكيف يمكن للناس أن يفهم بعضهم بعضا¹؟

وقد أتى "جورج يول" بمفاهيم تصب في معنى التداولية حيث فسرها بأنها تدرس المعنى الذي يقصده المتكلم ، و هي دراسة المعنى السياقي، وتبحث في دراسة إيصال أكثر مما يقال².

ولعل التمعن في التعريفات السابقة يوصلنا إلى أن أوجز تعريف وأقربه للقبول هو دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأسلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي واجتماعي ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما³.

2-نشأة التداولية:

هناك من يرجع الجذور الأولى للتداولية إلى " شارل موريس" لما جعلها أحد فروع علم الرموز " السيميائيات" و البعض يرجعها إلى الفلسفة التحليلية و رواد فلسفة اللغة العادية "أوستين" و "سيرل" ، ونادرا ما تنسب إلى جهود الفيلسوف الأمريكي "شارلز ساندرس بيرس" وإن ذكر اسمه فيأتي في سياق الحديث عن تلميذه الفيلسوف " شارل موريس" ، ولهذا فأنا أتفق مع من يرى أن "شارلز س بيرس" من ذوي الريادة و السبق في ظهور الإتجاه التداولي ومن هؤلاء: " الجيلالي دلاش " الذي يرى أن تصورات " ش. س. بيرس" و " ش. موريس" و"ل. بوهلر" للدليل هي بمثابة أسس اللسانيات التداولية خاصة وأنها لا تستبعد مستخدم

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص ص 12 ، 13.

² ينظر: جورج يول،التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان ، ط1، 2010 ، ص 19

³ - ينظر:أحمد محمود نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 14.

الدليل¹ ، أما "جواد ختام"² فيرجع الجذور والأسس الأولى للتداولية إلى السيميائ البرجماتية (Pragmatic Semiotics) التي أرساها الفيلسوف الأمريكي "شارلز س بيرس" وكتب فيها مؤلفات عديدة من أبرزها " علم العلامات " و كتاب "وصف نظام الإشارات " 1870 وهو الذي تضمن نظرية السيموطيقا ،كان "بيرس" صاحب رؤية جديدة : هي الربط بين اللغة والواقع متأثرا ب"كانط" والمنهج التجريبي " ، حيث رأى أن النظام السيميائي عبارة عن مثلث تمثل فيه الإشارة الضلع الأول ، و له صلة حقيقية بالموضوع الذي يمثل الضلع الثاني المحدد للمعنى الذي يمثل الضلع الثالث، فالمعنى عنده هو إشارة تعود إلى موضوعها الذي أنتج المعنى³ ، ونلاحظ أن تمثل "بيرس" للعلامة (الإشارة) اتخذ عنده طابعا ثلاثيا يتألف من ممثل يحيل على موضوع عبر مؤول، وهذه العناصر الثلاثة يطلق عليها " السيميوزس " "sémiosis" أو " سيرورة التدليل" أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها⁴ ، فالعلامة عند "بيرس" يتحدد معناها في الاستعمال ضمن سياق معين ، فمثلا رمز الميزان يحيل على العدالة في مواضعة اجتماعية معينة وقد يحيل على غير ذلك في مواضعات اجتماعية أخرى ، وتتخذ "السيرورة الدلالية " بعدا تداوليا من خلال ربط الملفوظ بسياق التلفظ لتحديد مقصد المتكلم ، فإذا خاطبنا شخص قائلا : " الحر شديد اليوم " ، فإن دلالات هذه الجملة تختلف باختلاف المفسرين ، فقد لا تتجاوز المعنى المصرح به عند أحدهم ، وقد يفهما آخر أنه يدعونا إلى عدم الخروج ، ويفهمها الآخر أنها دعوة لحمل المظلة الشمسية⁵. ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن ما توصل إليه " شارلز س بيرس " في السيميائ البراغماتية كان الأساس الذي انطلق منه تلميذه الفيلسوف "شارل ويليام موريس" فواصل البحث فيها وطورها محققا نتائج جعلته رائدها، فطور البرجماتية اللسانية وعد

1 ينظر: الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية،تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 7

2 ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، داركنوز المعرفة، الأردن ، ط 1 ، 2016 ، ص 25

3 ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، ص ص 27 ، 28

4 ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص 46

5 ينظر: المرجع نفسه، ص 48

مؤسسها الحقيقي متأثراً بالفلسفة التحليلية في دراسة اللغة وقد ظهرت التداولية عنده في تقسيمه علم الرموز إلى ثلاثة فروع: علم التركيب: وهو دراسة العلاقة الشكلية بين تركيب الجملة ، وعلم الدلالة: وهو دراسة علاقة الرموز بالأشياء التي تشير إليها، والبرجماتية اللسانية : وهي دراسة علاقة الرموز (العلامات) بمفسيها، وهذا هو الظهور العلمي الأول لموضوع دراسة التداولية اللسانية¹.

كما يستند الدرس التداولي المعاصر إلى مصادر متنوعة، إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي ينبثق منه فمفهوم الأفعال الكلامية: ينبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار الفلسفة التحليلية، ومفهوم نظرية المحادثة: ينبثق من فلسفة بول غرايس (Grice) أما مفهوم نظرية الملائمة فقد ولد من رحم علم النفس المعرفي.

ولعل أبرز عامل في ظهور البراغماتية اللسانية يرجع إلى ظهور تيار "الفلسفة التحليلية" الذي نشأ في العقد الثاني من القرن العشرين في النمسا على يد الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجة 1848-1925 Gottlob Ferega) حيث كانت دروسه في الجامعة الألمانية موردا لطلاب الفلسفة² والمنطق، ويعتبر الاتجاه التحليلي في الفلسفة هو الاتجاه الرئيس والغالب في فلسفة اللغة وفي الفلسفة المعاصرة الذي ركز على موضوع اللغة وحاول تغيير مهمة

¹ -ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، ص 28، وما بعدها.

² -ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ص 17 ، 18.

* ميز الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجة) بين مقولتين لغويتين متباينتين مفهوماً ووظيفياً وهما اسم العلم واسم المحمول، وهذا التمييز من اكتشافات المنطق الحديث لأن أرسطو رغم أنه عرف هذا التمييز كان يخلط بين القضية الحملية وغير الحملية، فقد بين (فريجة) أن الوظيفة الأساسية لاسم العلم هي إشارته إلى شيء فردي معين، بينما الوظيفة الأساسية للمحمول هي دلالاته على تصور أي مجموع الخصائص التي تسند إلى اسم العلم أو بعضها. فألفاظ التوسير (كل وبعض) ليس لها معنى حقيقي إذا دخلت على علم بل قد تقسد معناه، وإذا دخلت على محمول أفادت معنى جديداً، فالعلم لا يقبل الكلية أو التبعية على الحقيقة (كل محمّد، بعض محمّد، ...) أما المحمول يظل ذا معنى ولو دخلت عليه الأسوار مثل (كل متعلم، كل موظف، بعض الناس). ينظر: المرجع نفسه ، ص 18 ، 19،

الفلسفة وموضوعها وممارستها، أما القيمة الفلسفية لما جاء به (فريجة) فهي ثمينة في نظر بعض فلاسفة اللغة بل ما طرحه يمثل عندهم ثورة أو انقلاباً فلسفياً جديداً. فالجديد يتمثل في رؤيته الدلالية، خصوصاً تمييزه بين اسم العلم والاسم المحمول * وبين المعنى والمرجع محدثاً قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط بين مفهومين تداوليين هامين، هما الإحالة والاقتران ولا شك في أن ذلك من نتائج اعتماد "التحليل" منهاجاً فلسفياً جديداً¹.

وسار على درب (غوتلوب فريجه) الفيلسوف النمساوي (لودفيغ فيتغنشتاين Wittgenstein 1889-1951) منتقداً مبادئ "الوضعية المنطقية" ومؤسساً اتجاهاتاً جديداً سماه فلسفة اللغة العادية، «وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل (الإنسان) العادي، وأهم ما يميز فلسفة "فيتغنشتاين" التحليلية بحثه في المعنى وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتاً ولا محدداً ودعوته إلى تقادي البحث في المعنى المنطقي الصارم. وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به (فريجه) عدد من الفلاسفة منهم: هوسرل (Husserl) وكارناب (Carnap) وفيتغنشتاين (Wittgenstein) وأوستين (Austin) و سيرل (Searle) وغيرهم. وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة مفادها: أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة»².

و يمكن أن نجمل مفهوم "الفلسفة التحليلية" في جملة من المطالب والاهتمامات تتلخص في ثلاثة:

1- «ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم وخصوصاً جانبه الميتافيزيقي.

1- ينظر: المرجع السابق، ص 18، 19.

2- المرجع نفسه، ص ص 20، 21.

2- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" إلى موضوع "التحليل اللغوي".

3- تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية ولاسيما مبحث "الدلالة" والظواهر المتفرعة منه".

هذا وقد انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى هي:

- "الوضعية المنطقية بزعامة (رودولف كارناب).
- الظاهراتية اللغوية بزعامة (ارموند هوسرل).
- فلسفة اللغة العادية بزعامة (فيتغنشتاين) «¹.

وهذا الفرع الأخير (فلسفة اللغة العادية) هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال الكلامية، وليست هذه التيارات كلها ذات منهج وظيفي تداولي في دراسة اللغة ، وذلك بسبب اهتمام الوضعية المنطقية باللغات الصورية المصطنعة واتخاذها بديلة عن اللغات الطبيعية، أما الظاهراتية اللغوية فيؤخذ عليها انغماسها في البحث عن أطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية ورغم اعتبارها اتجاه غير تداولي إلا أن الفلسفة الظاهراتية جاءت بمبدأ "القصدية" الذي استثمره الفيلسوف "أوستين" في دراسة ظاهرة الأفعال الكلامية وتبعه تلميذه "سيرل" حينما اتخذ معيارا أساسا لتصنيف "القوى الإنجازية / المتضمنة في القول" أما تيار فلسفة اللغة العادية الذي أسسه "فيتغنشتاين" فهو ذو اهتمام تداولي يعتبر اللغة المادة الأساسية للفلسفة وهي المفتاح السحري لكل مشكلات ومغاليق الفلسفة. إذ يرى أن الجانب الاستعمالي في اللغة هو ما يكسب تعليمها و استخدامها، ولكن تراثه لم يكتسب مكانته الحقيقية إلا بعدما تبناه فلاسفة مدرسة "أوكسفورد" ولاسيما: "ج.ل. أوستين" وتلميذه "سيرل"².

1- - المرجع السابق ، ص ص 21 ، 22

2- ينظر : المرجع نفسه ، ص 22 ، 23.

ومن خلال ما سبق ذكره يتبين لنا أن ما يميز اللسانيات التداولية أنها تكونت من منابع مختلفة ومنها: الفلسفة و السيميائيات وعلم النفس اللغوي ، ولئن كان "بيرس" منظرا للفكر التداولي و أول من نقل مصطلح البراغماتية من الفلسفة الواقعية التجريبية إلى علم اللسان فإن "شارل موريس" يعود له الفضل في الظهور العلمي الأول لموضوع دراسة التداولية اللسانية وساعده في ذلك تأثره بالفلسفة التحليلية التي كانت العامل الأبرز في تطور هذا الإتجاه من خلال جهود "فريجه" الذي تأثر به كثير من الفلاسفة ومنهم "فينغنشتاين" مؤسس تيار فلسفة اللغة العادية التي تقوم على تغير المعنى وعدم ثباته حيث يتغير بحسب الاستعمال، و قد انتشرت أفكار "فينغنشتاين" بفضل تبنيها من قبل فلاسفة "أكسفورد" وعلى رأسهم "أوستين و " سيرل " .

3- قضايا التداولية:

مع تنوع و ثراء المنهل المعرفي للتداولية اتسعت نظرياتها ، إلا أن الباحثين يكادون يجمعون على أنها تقوم على دراسة أربعة جوانب هي: الأفعال الكلامية و الإشارة، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، ومع نهايات القرن العشرين ازدادت اهتمامات التداولية اتساعا لتشمل موضوعات أخرى لها صلة مباشرة بالاستخدام الفعلي للكلام كالحجاج الذي يعد ركنا من أركان التداولية .

أ- الأفعال الكلامية:

يتضح مفهوم الفعل الكلامي بالرجوع إلى نظرية أفعال الكلام لأوستين و سيرل ، حيث كان "أوستين" يلح على القيمة التداولية الإنجازية للغة ، فأدخل مفاهيم الإنجاز والفعل والقصدية ، و هو مفهوم لساني تداولي جديد يعني التصرف اللغوي الفعلي الحقيقي أو العمل الإجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام ومن ثم فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز اللغوي الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ، ومن أمثله : الأمر و

النهي و الوعد والسؤال و التعيين والإقالة والوعد والتعزية و التهئة...و في اللغة العربية نجد ما يقابل هذا في المقاصد والمعاني و الإفادات التي تستفاد من صيغ التواصل العربي كالأساليب الخبرية والإنشائية و دلالات حروف المعاني ، فهي ليست مجرد دلالات و مضامين لغوية بل هي فوق ذلك إنجازات و أغراض تواصلية ، فمن منظور نظرية الفعل الكلامي لا تكون اللغة مجرد أداة للتواصل كما تتصورها المدارس الوظيفية ، أو رموز للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية ، و إنما هي أداة لتغيير العالم و صناعة أحداثه والتأثير فيه¹

ب-الاستلزام الحواري* : هو المعنى المستفاد من السياق، ويعد من أهم المبادئ التداولية وهو عند "غريس" قسمان: استلزام عرفي واستلزام حواري، فالعرفي ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تتغير بتغير السياق والتركيب، أو هي المعاني الاصطلاحية الصريحة التي تلازم الجملة في مقام معين دون المجازية (المعنى الحرفي) مثل "كن" التي يستلزم دائما أن ما بعدها مخالف لما يتوقعه السامع مثل "زيد غني لكنه بخيل" ، أما الاستلزام الحواري فهو متغير دائما بظروف إنتاج العبارة اللغوية². فحين يقال: "كم الساعة؟" فإن مقصد المتكلم يختلف حسب السياق الذي وردت فيه الجملة، فقد يكون سؤالا وقد يكون توبيخا للتأخر...

«لقد كان ما يشغل "غريس" هو كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ ثم يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ وقد وجد حلا لهذا الأشكال فيما أسماه "مبدأ التعاون" بين المتكلم والمخاطب وهو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ فرعية هي:

¹ينظر: المرجع السابق ، ص 15 ، 16 ، 17

²- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33.

1- مبدأ الكم: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

2- مبدأ الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

3- مبدأ المناسبة: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

4- مبدأ الطريقة: كن واضحاً ومحدوداً، فتجنب الغموض وتجنب اللبس و أوجز ورتب كلامك.

هذه هي المبادئ التي بها يتحقق التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولاً إلى حوار مثمر¹

ج- "متضمنات القول: يلجأ المتكلم إلى متضمنات القول لأنه يجد فيها السبيل لتحقيق القصد و المنفعة المتوخاة من ملفوظه، و هي « مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره، ومن أهمها»²:

- الافتراض المسبق* : حيث يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس ما يفترض سلفاً أنه معلوم له، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة. ففي الملفوظ "أغلق النافذة"، والملفوظ "لا تغلق النافذة"، في كليهما خلفية "افتراض مسبق" مضمونها أن "النافذة مفتوحة".³

¹- المرجع السابق ، ص 34.

² - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 30

*- مصطلح (الافتراضات المسبقة) من وضع الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجة". ينظر: المرجع نفسه، ص 31

³- ينظر: المرجع نفسه، ص ص 30-31.

- «الأقوال المضمرة: هي النمط الثاني من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية، تقول "أوركيوني": «القول المضمّر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث».

مثال: "إن السماء ممطرة"، ان السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى:

- المكوث في بيته.

- أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد.

- أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر.

- أو عدم نسيان مظلمته عند الخروج ...¹ «.

د-الإشاريات: يرى "لفنسون" أن التعبيرات الإشارية تظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما نشير إليه، فيسود الغموض ويستغلّق الفهم، فنحاول تفسيرها بالاعتماد على السياق المادي الذي قيل فيه ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه فإذا قرأت هذه الجملة مثلاً: "سوف يقومون بهذا العمل غداً، لأنهم ليسوا هنا الآن". وجدتها شديدة الغموض لاحتوائها على عدة عناصر إشارية تحتاج إلى تفسير وهي: واو الجماعة، وضمير جمع الغائبين "هم"

¹- المرجع السابق ، ص 32.

*- ترجع نشأة البحث في الاستلزام الحواري إلى الفيلسوف (بول غريس 1913-1988) في محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد عام 1967 في إطار بحثه "المنطق والحوار" الذي حاول فيه التفريق بين ما يقال وما يقصد في الخطابات المختلفة. ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 32

واسم الإشارة "هذا"، وظرف الزمان غدا، والآن، وظرف المكان "هنا"، ولا يتضح معنى هذه الجملة إلا إذا عرفنا ما تشير إليه هذه العناصر¹.

«ويرى أغلب الباحثين أن الإشارات خمسة أنواع: إشارات شخصية، وإشارات زمانية وإشارات مكانية، وإشارات اجتماعية، وإشارات خطابية أو نصية»².

هـ-الحجاج : argumentation

هو مجال غني من مجالات التداولية يشترك مع العديد من العلوم الأخرى، يعد ضمن الحقل التداولي لكنه انبثق من حقل المنطق والبلاغة الفلسفية، يرتبط مفهومه بالفعل، ويشترك عند أرسطو بين الخطابة والجدل، وهو حسب المعجم الفلسفي: سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة، أو هو طريقة عرض الحجج وتقديمها. أما الحجة فقد عرفت في معجم اللسانيات لـ"جورج مونان" بأنها العناصر غير اللسانية المشاركة في التعبير والتي لها علاقة مع محل الجملة الذي هو النواة.³ وتلخص مباحث الحجاج حديثا في الأعمال التالية:

-الخطابة الجديدة : (الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا):

لقد شكل ظهور كتاب " مصنف في الحجاج " traité de l'argumentation لمؤلفيه " بيرلمان " perelman وتيتيكا tyteca سنة 1958 فتحا جديدا و أساسيا في عالم الخطابة الجديدة . ويعرف بيرلمان الحجاج بأنه جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الاقتناع بما يعرض عليه أو الزيادة في حجم الاقتناع ، وغاية الحجاج

¹- ينظر: المرجع السابق، ص ص 15، 16.

²- المرجع نفسه، ص 17.

³- ينظر: خليفة بوجادي ، " في اللسانيات التداولية" ، ص ص 105، 106

الأساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل ، وهو بهذا ينزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره¹ .

والحجاج حسب "بيرلمان و تيتيكا" على ضربين ، الأول تمثله البلاغة البرهانية ، ويقوم على البرهنة والاستدلال يعتمد فيه على العقل وهو خاص بالفيلسوف وجمهوره ضيق وغايته بيان الحق . والثاني حجاج أوسع من السابق يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي ، وغرضه دغدغة عواطف السامعين وإثارتهم . وإن كانت الخطابة الجديدة تمثل النظرة البلاغية والمنطقية للحجاج ، فإن نظرية الحجاج اللغوي قد انغرست في أديم لساني تداولي بحث² .

-الحجاج اللغوي : (ديكرو ducrot و انسكومبر anscombe)

إن الحديث عن الحجاج اللغوي يقتضي منا التوقف عند كتاب " الحجاج في اللغة " 1983 الذي عرضا فيه مفهوم الحجاج وآلياته ، وهو يختلف عن مفهوم بيرلمان وتيتيكا ، فهو حجاج يقوم على اللغة بالأساس ، بل يكمن فيها ولا يخرج عنها ، بينما عرف بيرلمان الحجاج باعتباره مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية . ويرى ديكرو وأنسكومبر أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر ، أي أن المتكلم يجعل قولاً ما (ق1) حجة لقول آخر (ق2) هو بلغة الحجاج نتيجة قد تكون صريحة أو مضمرة فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل اعتمادا على بنيتها اللغوية فحسب³ .

¹ -ينظر: سامية الدريدي ، " الحجاج في الشعر العربي ، بنيته وأساليبه " ، عالم الكتب الحديث ، اريد ، الأردن ، ط2 ، 2011 ، ص 19 وما بعدها .

² ينظر: خليفة بوجادي ، " في اللسانيات التداولية " ، ص 107

³ -ينظر: سامية الدريدي ، "الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص ص 22 ، 23

مثال : « أنا متعب ، إذن أنا بحاجة إلى الراحة

الجو جميل ، لنذهب إلى النزهة

الساعة تشير إلى الثامنة، لنسرع»¹

وما يلاحظ مما سبق أن الباحثين ركزا على الدور الحجاجي الذي يلعبه الكساء اللغوي لهذه الوقائع ، فانتهديا إلى أن اللغة تحمل في طياتها بعدا حجاجيا كامنا في صميم بنيتها الداخلية مسجلا فيها وليس عنصرا مضافا إليها ، ومن ثم فمعنى الأقوال لا ينفصل عن طابعها الحجاجي . فالحجاج ظاهرة تداولية وهو إنتاج متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج وبعضها بمثابة النتائج ، وبهذا الاعتبار فالحجاج تؤديه مكونات لغوية هي روابط أو عوامل أو صيغ ، وفضلا عن محتواها الإخباري ، تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول ، وتنهض نظرية الحجاج في اللغة على جملة من المفاهيم تفسر اشتغالها وهي (العلاقة الحجاجية والمواضع الحجاجية والاتجاه الحجاجي والقوة الحجاجية والسلم الحجاجي)².

و-نظرية الملائمة:

إن إقصاء البعد التداولي من اللسانيات لم يدم طويلا حتى ارتفعت أصوات تنادي بضرورة إعادة الاعتبار للدراسات التداولية فظهرت مجموعة من النظريات حاولت مقارنة ظاهرة التواصل الإنساني في بعدها الأخلاقي من خلال وضع مبادئ وقواعد لإنجاح العملية التخاطبية ، وفي هذا الإطار تبرز نظرية الملائمة كأحد المرتكزات الأساسية الصلبة التي تدخل في استعمال الكلام بين المتكلم والمخاطب.و هي نظرية تداولية معرفية أرسى دعائمها كل من اللسانيين ديردر ولسن و دان سيربر في كتابهما المشترك " الملائمة-التواصل و

¹ -أبوبكر العزاوي ، "اللغة والحجاج" ، العمدة في الطبع ، ط1 ، 2006 ، ص 17

² -ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013 ، ص 95 ، 98

المعرفة-¹ ، و يعتبران أن تأويل الأقوال يوافق نوعين مختلفين من العمليات: الأول ترميزي و لغوي ، والثاني استدلالي و تداولي ، فهل تعد العمليات التداولية:

1. من خصائص اللغة سواء كانت محكومة بعبارات أو لغوية مخصوصة أو متولدة عنها (مجال التداولية اللسانية أو المندمجة)

2. أم هي عمليات مستقلة عن اللغة ، أي أنها تتدخل كذلك في الاستدلالات غير اللغوية ، (تداولية غير لسانية ، أي شعبة مستقلة عن اللسانيات و مكملة لها في بعض مظاهر الأقوال)

إن اختيار سبربر و ولسن للاختيار الثاني مصدره تصورهما أن العمليات الاستدلالية التي تتم التحليل الترميزي لتحقيق تأويل كامل للأقوال تتمثل في تلك العمليات المطبقة في مختلف أعمالنا المتعلقة بالحياة اليومية أو ما تعلق بمجال البحث العلمي ، وعليه فإن العمليات الموظفة في تأويل الأقوال لا تخص اللغة ، بل هي عمليات عامة غير مخصوصة كلياً و غير محددة ثقافياً ويشترك فيها جميع الناس ، و أن استعمالها في التأويل التداولي للأقوال يمكن من تحليلها ، ومن المؤكد أن هذه العمليات لا تختص باللغة دون سواها. لكن المشكلة التي يثيرها تصورهما تتمثل في العلاقة بين العمليات اللغوية التي تختص بها اللغة ، والعمليات التداولية العامة الكلية غير اللغوية ، ولحل المشكل يدمج سبربر و ولسن نظريتهما التداولية في أحد تيارات علم النفس المعرفي وهو تيار المنظومية (النظرية القالبية) لفودور².

مصادرها: تستمد هذه النظرية جذورها من علم النفس المعرفي و لا سيما النظرية القالبية ل فودور، و فلسفة اللغة و لاسيما نظرية الاستلزام التخاطبي ل غرايس :

1 ينظر: عائشة هديم، نظرية الملائمة نظرية ثورية في التواصل - المقولات و الامتدادات المفهومية- مجلة الخطاب ، مج

13 ، عدد 2 ، ص 57

² ينظر: آن روبرول و جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 70 ، 71 ، 72

أولاً: مجال علم النفس المعرفي ، ولا سيما النظرية القالبية ل فودور (1983): و تمثل وجه استفادة نظرية الملائمة من النظرية القالبية لفودور في رصد الوقائع الذهنية و تفسير طرق جريان المعالجة الإخبارية.

تصور النظرية القالبية للمعالجة الإخبارية: يعالج ذهن الانسان المعلومة الصادرة مهما كان مصدرها (مرئي أو سمعي أو لغوي ...) إليه عبر مراحل متتابعة هي:

المرحلة الأولى (مرحلة اللواقط) أو (المحولة): تتعدد وظيفتها في ترجمة الإدراكات المباشرة ، ونقلها إلى الدماغ بقصد المعالجة، حيث تعالج في محولة تترجمها إلى نسق يقرأه النظام الذي سيشتغل في المرحلة التالية.

المرحلة الثانية: يطلق عليها: (الأنظمة الدخل) أو (الأنظمة البعيدة) عن المركز ، كما تسمى (النظام الطرفي) و هي متخصصة في معالجة المعطيات المستمدة من " اللواقط أو المحولة" من أي مجال كانت بصري أم سمعي أم لغوي (...) و تكون المعالجة بواسطة نظام طرفي يتمثل في منظومة مختصة بمعالجة المعطيات المختلفة للمرئيات نظامها الخاص و للسمعيات نظامها الخاص و للغويات نظامها الخاص و هكذا.. غير أن التأويل لا يكتمل ،لأنه في هذه المرحلة يكون التعامل في حالة المعطى اللغوي ترميزيا إلى حد كبير حيث يكون محصورا في المستويات الثلاثة: الصوتي و التركيبي و الدلالي.

المرحلة الثالثة: و تعرف ب(النظام المركزي) : وفيها يصل التأويل من النظام الطرفي أو (الأنظمة الدخل) إلى النظام المركزي ومعه يكتمل التأويل بموجب عملية دمج الإخبار الناتج عن اللواقط (المحولة) و الأنظمة الدخل (النظام الطرفي) بالإخبار المخزون في الذاكرة التصورية بقصد إنتاج استدلالات غير برهانية.

و يبين سبربر و ولسن أنه في وسط هذه المرحلة تتشكل و تترسخ الفرضيات و تظفر الأقوال بتأويل تام، فالأنظمة الدخل لا تتعدى المظاهر الترميزية للأقوال ، بينما يتم النظام

المركزي عملية التأويل بتوجيه عنايته إلى كل المظاهر غير الترميزية أي الاستدلالات غير البرهانية انطلاقاً من السياق التأويلي ، وبهذا يتبين أن عملية التأويل تزوج بين الترميز و طرق الاستدلال المختلفة.¹

ثانياً: فلسفة اللغة و لاسيما نظرية الاستلزام التخاطبي ل غرايس (1975):

وجه استفادة نظرية الملائمة من نظرية الاستلزام التخاطبي لبول غرايس تمثل في أنها أعادت النظر في ما جاء به غرايس من مبادئ و اقتصرت على مبدأ الملائمة كأساس مركزي يختزل جميع المسلمات المذكورة ، ويعد تعميماً للتواصل الموصوف بالمناسب الاستدلالي ، فهو مناسب لأن المتكلم يستعمل المثير الأكثر ملائمة لإبلاغ افتراضاته ، وهو استدلال لأن المتلقي يستدل على القصد الإخباري انطلاقاً من المؤشرات المسوقة من قبل المتكلم.²

فالتواصل في نظر سبربر و ولسن يقوم على هذا الأساس ، ويكون التواصل الاستدلالي المناسب بأن ينتج المتكلم مثيراً (حافزاً) من خلال القصد الإخباري بأن يجعل مجموعة من الفرضيات (تمثلات للواقع) بارزة و واضحة للسامع، والقصد -من منظوره -حالة نفسية، و محتواه يجب أن يمثل ذهنياً للسامع ، بحيث أن المتكلم يجب أن تكون لديه مجموعة من الافتراضات واضحة أو أكثر وضوحاً لدى المخاطب المتلقي.³

"و لعل أهم ميزة تتميز بها نظرية الملائمة تصورها للسياق ، إذ لم يعد شيئاً معطى بشكل نهائي أو محدد قبل عملية الفهم ، وإنما يبني تبعاً لتوالي الأقوال . ويتألف السياق من زمرة من الافتراضات السياقية تستمد من مصادر ثلاثة:

1 ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، ص 51 ، 52، وينظر: أن روبول و جاك موشلار ، التداولية

اليوم علم جديد في التواصل، ص 73 ، 74

2 ينظر: مسعود صحراوي ، المرجع السابق، ص 52

3 ينظر: المرجع نفسه، ص 52 ، و عائشة هديم، نظرية الملائمة نظرية ثورية في التواصل، ص 62

1 تأويل الأقوال السابقة ، فالقضايا التي نحصل عليها مباشرة بعد الالتفات إلى أول الكلام و تأويله تخزن في الذاكرة التصويرية حيث تمثل جزءا لا يتجزأ من سياق تأويل الأقوال المستهدفة في المعالجة ، فلا بد من رد آخر الكلام على أوله.

2 المحيط الفيزيائي قد يشمل السياق أيضا كل تمثيل قضوي انبثق من المكان الذي جرى فيه التواصل ، حيث أن الجهاز الإدراكي للمتكلم قد يتمثل خصائص الأمكنة بشكل مباشر أو غير مباشر .

3 ذاكرة النظام المركزي و تحتوي على معلومات مختلفة عن العالم نستخدم بعضها في السياق التأويلي.

و لكن السؤال المطروح: كيف نصل إلى المعلومات المخزونة في النظام المركزي؟

يجيب المؤلفان بأن ذلك يمر من خلال سند" الصيغة المنطقية" في مرحلة "الأنظمة- الدخل" حيث تضم مجموعة من المفاهيم لكل مفهوم عنوان تصوري في الذاكرة المركزية يخزن ثلاثة أنماط من المعلومات¹ :

أ. "المدخل المنطقي: يجمع المدخل المنطقي معلومات تتعلق بالعلاقات المنطقية التي يقيمها المفهوم مع مفاهيم أخرى (تناقض ، استلزام ، ...)

ب. المدخل الموسوعي: يجمع المدخل الموسوعي مجمل المعلومات المتوافرة لدينا عن الأشياء التي توافق المفهوم.

ب. المدخل المعجمي: يجمع المدخل المعجمي المقابل أو المقابلات للمفهوم في لغة أو لغات طبيعية (تبعاً لكون الفرد متعدد اللغات أم لا) "¹" بعد أن رأينا المصادر الثلاثة للافتراضات السياقية ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه ، كيف تنتقى الافتراضات السياقية؟

¹ مسعود صحراوي ، المرجع السابق، ص 52 ، 53

يجيب ولسن وسبربر 1986 بأن ذلك يتم بموجب " مبدأ الملائمة " ويتحدد انطلاقاً من وسيطين: الآثار المعرفية والجهد المعرفي و يراد بالمفهوم الأول كل تعالق بين معلومتين إحداهما قديمة والثانية جديدة مما ينتج عنه مجموعة من الحوسبات الذهنية كتعديل أو تحسين أو إثبات أو إقصاء افتراضات توجد في ذاكرتنا التصورية و ب"الجهد المعرفي " ما يبذله المخاطب من محاولات ذهنية في تأويل الأقوال التي يسمعها .

يمكن هذا التفاعل بين المعلومات من تمييز المعلومات الواردة عن نقيضها. لا يعني هذا أن درجة ملائمة الخطاب موقوفة على الآثار السياقية التي تنشأ عن تفاعل قضيتين ، فلوسيط الجهد المعرفي دور في تقويم مدى " ملائمة الأقوال " حسب المبدأ الآتي:

كلما قل الجهد المعرفي المبذول في معالجة الملفوظ ازدادت درجة ملائمة هذا الملفوظ ، وكلما استدعى التعامل مع ملفوظ ما جهداً كبيراً كانت ملائمته ضعيفة².

ز-نظرية التلفظ:

إن ما أقصته اللسانيات من مجال اهتمامها أصبح المحور في الدرس الوظيفي و التداولي، إن ذلك التمييز الذي قام به دي سوسير بين اللغة و الكلام "قد يؤدي إلى الاعتقاد أن نظام اللغة ونظام الكلام مستقلان عن بعضهما البعض...والحال أنه ينبغي أن نقنع و نسلم أن الكلام هو الذي يجسد نظام اللغة و لا يمكن التوصل إلى معرفتها دون معالجة الكلام"³ وهكذا تتحول اللغة نشاطاً كلامياً و فعالية لفظية، فلم يعد الكلام مهماً و عرضياً و ثانوياً بل أصبح الأساس في تحليل الخطاب،"بذلك يكون التلفظ هو الفعل الذي يجعل الأدلة اللغوية تتحقق من طرف متلفظ في ظروف زمانية و مكانية خاصة، فعل تحول اللغة إلى

¹ ينظر: آن روبرول و جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 78

² مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، ص 54

³ ذهبية حمو الحاج،لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، ص 76

خطاب"¹ و عرفه إيميل بنفنست بأنه إجراء اللغة بمقتضى فعل فردي في الاستعمال ، وعند ديكرو و انسكومبر هو نشاط كلامي مؤدى (محقق) من قبل المتكلم في اللحظة التي يتحدث فيها ، ولكن أيضا من طرف المستمع في اللحظة التي يسمع فيها². يتمكن المتكلم من إبراز ذاتيته و امتلاك اللغة وإسنادها لصالحه من خلال "الأنا و الهنا و الآن" ، وبمجرد أن يقوم بذلك يقوم في الوقت ذاته بتتصيب المخاطب أمامه أيا كانت درجة حضوره³ فلا بد من وجود متكلم ومتخاطب في عملية التلفظ .

ويجب التنبيه إلى ضرورة الوقوف عند الحدود الفاصلة بين التلفظ و الملفوظ ، فإذا كان الأول هو نشاط كلامي من قبل المتكلم في اللحظة التي يتحدث فيها ، فإن الثاني يكون ابتداء من اللحظة التي يقف عندها التلفظ⁴. ويرى بنفنست أن التلفظ énonciation "دائما هو حدث acte التكلم نفسه أو النشاط المتحقق بواسطة الكلام أو إنتاج الكلام / الملفوظ، أما الملفوظ هو نتاج التلفظ أي مجموع الأقوال المنجزة"⁵. و تجدر الإشارة إلى أن الملفوظ لا يتكرر حتى لو أعيد مرة ثانية ، فلو قال أحدهم: "السماء ملبدة بالغيوم " ثم طلب منه السامع إعادة ملفوظه فإنه إذا فعل لا يعيد نفس الملفوظ بل ينشئ ملفوظا جديدا ، فهو يكرر الاستعمال و لا يكرر نفس الملفوظ ، إننا نحقق ملفوظا جديدا في كل مرة نعيد فيها استعمال

¹ المرجع السابق، ص 14

² ينظر: المرجع نفسه ، ص 84

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 88

⁴ ينظر: نفسه ، ص 84 ، 85

⁵ يحياتن محمد ، الأصالة في نظر رضا مالك ، تحليل الخطاب من خلال نظرية الحديث أو التلفظ ، (مقال) مجلة اللغة والأدب، العدد 14 ، ديسمبر 1999 ، دار الحكمة ، الجزائر ، ص 337

نفس الملفوظ ، فالملفوظ الواحد لا يتحقق إلا مرة واحدة¹ ، لكن السؤال الذي يتبادر إلى ذهن ما الجوانب التي تتناولها نظرية التلفظ؟

و لا نعني بلسانيات التلفظ مجرد بث واستقبال الكلام ولا التحولات التي تطرأ على المعنى العام للكلام بسبب الوضعية ، و إنما المقصود هو أن التلفظ نظرية تتناول بالدراسة عناصر إنتاج الخطاب اللغوي المحصورة في الإشارات* ، (ضمائر الشخوص، و أسماء الإشارة وظروف المكان والزمان ...) التي لا تأخذ معناها ولا تعرف دلالتها المرجعية إلا من خلال سياق التلفظ* من قبيل "سأكون هناك غدا لأنني مرتبط اليوم" ، و تمثل آلية تحول اللغة إلى الخطاب، عناصر لا تحيل إلى شيء في العالم ولكن تحيل إلى إنية* الخطاب الذي ترد فيه ، ومن ثم تتبني المقاربة التلفظية على دراسة سياق التلفظ، وتحديد أطراف التواصل اللغوي².

التلفظ والتداولية: يرى بنفست أن "العملية التلفظية هي حيث يوظف اللسان بواسطة فعل الاستعمال ،... إننا في العملية التلفظية نأخذ بعين الاعتبار على التوالي الحدث نفسه و السياق المقامي الذي يتحقق فيه و آليات إتمامه . إننا مع بنفست نمر من لسانيات اللغة

¹ ينظر: عبد السلام إسماعيل علوي، التلفظ والإنجاز ،

[https://www.aljabriabed.net/n58_08abdeslamamawi.\(2\).htm](https://www.aljabriabed.net/n58_08abdeslamamawi.(2).htm)

* الإشارات (العنصر الإشاري: هو العنصر الذي يُكوّن في الملفوظ ويحيله إلى المقام الذي أنتج فيه وإلى الفاعل الناطق (التوجيه) مثل أسماء الإشارة والظروف المكانية والزمانية، والضمائر الشخصية...جون سيرفوني، الملفوظية ، تر: قاسم مقداد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1998

* هناك بعض الكلمات لا نعرف معناها إلا في السياق الذي وردت فيه مثل المرجعيات اللفظية الشخصية والمكانية والزمانية (الأنا و الهنا و الآن)

* إنية: "الأنا و الهنا و الآن" التي ورد ذكرها

² ينظر جميل حمداوي، التداوليات و تحليل الخطاب ، ص 16 ، شبكة الألوكة الالكترونية و ينظر: ذهبية حمو الحاج،لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ،ص 87

إلى لسانيات التلفظ ، ثم إن هذا يحدد مؤشرات العبور إلى لسانيات تداولية¹. يلتقي التلفظ باعتباره إجراء اللغة بمقتضى فعل فردي في الاستعمال بمصطلح التداولية التي تتم بدراسة اللغة في الاستعمال ، فهي تنطلق من التلفظ ذاته كعملية خاصة بالفرد يهدف من خلاله إلى إيصال رسالة إلى المخاطب بنية التأثير فيه ضمن عنصر التفاعلية ، فالتلفظ أساس التداولية في الشكل الظاهري، فبدون الأولى لا تتحدد الثانية و كلتا العمليتين تخضعان إلى عامل السياق المهم في فهم الرسالة و تأويلها ، ولذا ينبغي لمحلل الخطاب الكشف عن السياق ، ذلك ما تستوجبه بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل ومن هذه الحدود عناصر مثل: (أنا و أنت و الآن و هنا...) ، إن التلفظ يعني افتراض متكلم يخاطب شخصا آخر (و هو ما يشكل قطبي التواصل في مفهوم دي سوسير) في حدود خطاب متبادل بينهما يصاغ على وضع ذي طبيعة متعارف عليها معتمدين على مرجع و قناة تضمن عدم انقطاع الرسالة.²

4- علاقة التداولية بتخصصات أخرى:

كانت اللغة تدرس في القرن التاسع عشر ضمن علوم الفلسفة والمنطق والاجتماع والنفس عدت من مقدمات البحث فيها حتى دعا "دو سوسير" إلى استقلالها عنها في صدر القرن العشرين ثم عادت الدراسات اللغوية إلى هذه العلوم ثانية، وظهرت فروع لسانية جديدة متأثرة بهذه العلوم، منها: علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي وغيرهما، وقد تأثرت البراغماتية اللسانية ببعض هذه الفروع المعرفية³.

أ- علاقتها باللسانيات واللسانيات البنوية:

1 عبد السلام اسماعيلي علوي، ما التداوليات، مقال ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ،تنسيق و تقديم: حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط 2 ، 2014، ص 19 ،
2 ينظر: ذهبية حمو الحاج،لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، ص 118 ، 119 ،
3- ينظر :محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، ص 34.

يشارك الدارسون في قولهم: أن التداولية تهتم بالكلام الذي هو غير اللسان، وحسب فردينان دو سوسير اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة. فاللسانيات البنيوية تهتم أساسا بدراسة نظام اللغة دون الاعتداد بنوايا المتكلم وسياق التلفظ، مما جعل البعض تعد التداولية: "لسانيات الكلام" مقابل "لسانيات اللغة"، وهذا ما قد يحصر حدود التداولية ويقوض كثيرا من امتداداتها، فضلا على أن الكلام غير معزول عن اللغة إلا افتراضا فهو مظهر من مظاهر تحققها ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتداخل واضح بينهما، وهناك من يرى أن التداولية تتموقع خارج النظرية اللسانية بناء على ما قدمه تشومسكي في مفهوم الكفاءة والأداء مثل "فرانسوا لاترافارس" الذي اعترف في كتابه: "البراغماتية تاريخ ونقد" بصعوبة التمييز بينهما¹. ونجد هذه الحيرة عند "جاك موشر وأن ريبول" في حيرتهما عند اخبار زملاءهم اللسانيين بأنهم "تداوليون" فعادة ما يثيرون لديهم صماتا دالا! فكان التساؤل بأي شيء يمكن للتداولي إذن أن يعنى؟ أهو لساني أم فيلسوف أم عالم نفس، وسبب هذه الأسئلة في نظرهما يرجع إلى ما ذكرناه من تركيز النظريات اللسانية على دراسة النظام (الصوتية، والصرف، والتركيب، والدلالة) وعدم إعطاء الاهتمام والعناية لاستعمال النظام اللغوي، أما السبب الثاني فهو عجز اللسانيين عن تحديد ميدان التداولية في مقابل فروع اللسانيات الأخرى². "ويمكن تلخيص مهمة اللسانيات في دراسة طرق التنظيم بين مجموع الأصوات ومجموع المعاني، بين الشكل وبين المعنى بتعبير أوجز ، ولكن البعد التداولي في دراسة اللغة يتجاوز منوال (الشكل والمعنى) إلى مجالات أخرى لا يحكمها هذا المنوال كالمفوضية والحجاج ومظاهر الاستدلال في اللغة والتضمين والاقتضاء وغيرها ... حيث تحكم هذه الموضوعات حالات خاصة ومقتضيات تجعلها متجاوزة لوصف

¹-ينظر : خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 123 وما بعدها .

²- ينظر: جاك موشر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين المجذوب، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010، ص 23.

علاقة شكلها بمعناها»¹، ويرى د. مسعود صحراوي أن التداولية ليست مكونا من مكونات اللسانيات البنيوية لأن التداولية ليست هي المرحلة الأخيرة للتحليل اللساني، وليست نظرية للخطاب، كما أن اللسانيات نظرية للجملة، فتقابلها أو تكملها، كما أن التداولية ليست سلة لمهمات اللسانيات، بل هي أداة لتبسيط اللسانيات، فالظواهر التي تدرسها التداولية ليست مهمة ولا متروكة بالضرورة، فهي تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات². لنأخذ المثال: "لقد زادوا في قيمة الضرائب" ملفوظ لا تقدم اللسانيات البنيوية فيه أي قاعدة تفسر الضمير الذي اسند إليه الفعل "زاد" وتعين المرجع الذي يحال عليه في الواقع الخارجي عن اللغة، أما في التداولية فتوجد عدة آليات في هذا الشأن وهذا ما يجعل لها بعض المميزات عن اللسانيات البنيوية كالاتصال المباشر ومباشرة العالم الخارجي، ومن القواعد التي تمدنا بها العالم الخارجي أن ليس لأحد الحق في زيادة الضرائب إلا السلطات القانونية المخولة بذلك³.

ب- علاقتها بعلم الدلالة:

إن علاقة التداولية بعلم الدلالة -التي هي فرع من فروع علم اللسان الحديث- يشوبها كثير من الغموض، فهي تتداخل مع علم الدلالة في معرفة المعاني الحرفية والمعاني السياقية وهما وإن اشتركا في الموضوع (دراسة المعنى) فقد يختلفان في العناية ببعض

¹ - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 126.

² - ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ص 27، 28.

³ - ينظر : المرجع نفسه، ص 29.

مستوياته¹، هذا ويصنف علماء اللغة علم الدلالة ضمن القدرة (معرفة اللغة) ويصنفون التداولية ضمن الأداء أو الانجاز (استخدام اللغة)².

وإذا كانت التداولية تربط المعنى بالاستخدام وتحدد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه فهذه نقطة تنفصل فيها التداولية عن علم الدلالة، لأن استخدام المعنى مختلف عن المعنى، مثال: "في هذه الأرض حيات سامة"، فالمعنى الحقيقي هو ظاهر اللفظ أما استخدامه فمختلف قد يتجاوز مفهوم (الحيات السامة) الحقيقة إلى المجاز، وقد يتجاوز استخدام هذا المعنى من الإبلاغ (المعنى الحقيقي) إلى التحذير³. فالدلاليات -إذن- تدرس الكلام مستقلا عن السياق في حين تدرس التداوليات المنجز اللغوي في سياقه التواصلية وليس بمنعزل عنه، وفي هذا المعنى يرى "بالمر" أن بنا حاجة إلى التمييز بين المعنى الاعتيادي للكلمة أو الجملة، ومعناها في ظروف محددة خاصة، وقد يكون هذا تمييز بين علم الدلالة والتداولية، ويسمح لنا هذا التمييز بأن نقول شيئا ونعني آخر، ويمكن التصريح أخيرا أن المقام ومراعاته هو المعيار الأساسي للتفريق بين ما هو دلالي وما هو تداولي⁴.

ج- علاقتها بالنحو الوظيفي:

يهتم النحو الوظيفي ب«وظيفة اللغة الأساسية (التواصل) وموضوع اللسانيات في نظره هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم والسامع مما جعل بعضهم يعده نظرية في التركيب

¹ - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 128.

² - ينظر: جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: د. عباس صادق الوهاب، مر: د. يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1987، ص 32.

³ - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص ص 128 ، 129.

⁴ - ينظر: خالد جليل، "الدلاليات والتداوليات علاقة و اشكاليات"، "التداولية في البحث اللغوي والنقدي"، مؤسسة السياب، لندن ط1، 2012، ص 122.

والدلالة من وجهة نظر تداولية»¹، بل إن من الدارسين من جعل (الوظيفة) في عموم معناها تقابل التداولية ومنهم أحمد المتوكل الذي قسم النظريات اللسانية المعاصرة باعتبار تصورها لوظيفة اللغات الطبيعية إلى: نظرية لسانية (صورية) ونظريات لسانية وظيفية (تداولية)، والنظرية الوظيفية تعتمد مبدأ أن اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية، وظيفة التواصل، ويعتبر النحو الوظيفي (Functional grammar) الذي اقترحه (سيمون ديك) في نظر أحمد المتوكل نظرية وظيفية تداولية، ويمتاز على غيره من النظريات التداولية بنوعية مصادره فهي محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية ونظريات فلسفية (أفعال الكلام) خاصة².

«ويذهب "سيمون ديك" إلى أبعد من ذلك حين يقترح أن يدرج النحو الوظيفي ضمن نظرية تداولية أوسع أو نظرية لغوية شاملة تجمع نظريات التواصل اللغوي المختلفة»³.

د - علاقتها باللسانيات الاجتماعية:

نشأت اللسانيات الاجتماعية كرد فعل على اللسانيات التي تجاهلت المكون الاجتماعي للغة، فقد عنيت أولاً بمشكل اللغة بوصفها وضعا يناسب طبقات اجتماعية واقترحت في ذلك أن توسع دراسة اللغة لتشمل مباحث أفعال الكلام⁴.

¹ - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 40.

² - ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص ص 8 ، 9

³ - خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 127.

⁴ - ينظر : الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص ص 45، 46.

وقد ساهمت « البراغماتية كذلك في علم اللسان الاجتماعي في تحليل المحادثة والحوار والخطاب والأدوار الاجتماعية ودورها في تحديد صيغ المخاطبة »¹. ومن خلال هذا يبدو أن للتداولية تداخلا كبيرا مع اللسانيات الاجتماعية.

هـ - علاقتها باللسانيات النفسية:

«استقادت البراغماتية من علم النفس وعلم اللسان النفسي، فقد استعانت بعلم النفس الإدراكي في معالجة إنتاج اللغة وأثرها وتطور مفاهيم القوة الإنجليزية والتضمينات والافتراضات المسبقة، واستقادت من علم نفس النمو في اكتساب الطفل للغة، ودور السياق في اكتساب اللغة وفهمها»².

و - علاقتها باللسانيات التعليمية:

لسانيات التداولية الأثر الأكبر في صناعة التعليم (سواء اللغة الأم الأم الأجنبية) Didactique التي أخذت تعنى بالمتعلم ومقام التبليغ، أي تزويد المتعلمين بالأدوات التي تمكنهم من التحرك بواسطة الكلام تحركا يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها، فأن يعرب المرء من اعترافه بالجميل لطرف ما معناه إجراء فرز دال سلسلة من التأديت والانتباه إلى ردود فعل الطرف المقابل، إن مفهوم التبليغ هو الذي يجب أن يكون الأسبق والمحرك وليس اللغة فهي وسيلة واحدة ضمن وسائل أخرى وليست غاية، إن نتائج اللسانيات التداولية قد سمحت بمراجعة جذرية لمناهج التعليم والتدرج والاختبارات ومراقبة المعلومات ونمذجة التمارين، إن جميع المؤلفين يؤكدون ويلحون على ثلاثة أبعاد أساسية لتحديد التعليم، البعد المعرفي، والبعد العاطفي، والبعد التداولي. فالبعد المعرفي هو توفير معلومات عن المجال

¹ - محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، ص 35.

² - المرجع نفسه ، ص 35.

الذي تستخدم فيه اللغة، والبعد العاطفي هو الترغيب والتشجيع بقصد حمل المرء على التخاطب دون عوائق نفسية، والبعد التداولي تكوين الاستعدادات اللغوية وتطويرها قصد التبليغ الأمثل والحصول على فعالية اجتماعية أكبر¹.

ز- علاقتها بتحليل الخطاب :

لتحليل الخطاب علاقة وطيدة بالتداولية وإذا كان له تحديدات متنوعة فإنه يوجد تحديد واسع جدا هو "تحليل استعمال اللغة" كما هناك تعريف آخر وهو "دراسة الاستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية" وفي البلدان الأنجلوسكسونية يعدون الخطاب نشاطا تفاعليا أساسيا².

ويسعى تحليل الخطاب إلى ربط الملفوظات بسياقاتها ولا يوجد إجماع حول طبيعة مقومات السياق، ومع ذلك توجد نواة من المقومات مجمع عليها: المشاركون في الخطاب، الإطار الزمكاني، الغاية، وهي تتمفصل بشكل مستقر عبر مؤسسات لغوية محددة بوصفها عقودا* للكلام أو أنواع خطاب³.

واللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندمجين في سياقات معينة، وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغوية، فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف⁴، وهذا ما يجعله أكثر التصاقا بالتداولية. كما: «ترد التداولية

¹ - ينظر: الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 46 وما بعدها.

² - ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات، ط1، 2008، ص 09.

*- يستخدم هذا المفهوم للتأكيد على أن المشاركين في التلطف يجب أن يقبلوا بشكل ضمني عددا محددا من المبادئ التي تجعل التخاطب ممكنا وعددا من القواعد التي تسيره، فكل نوع من الخطابات يقابله عقد خاص به، فيوجد مثلا عقد بين الأستاذ وتلميذه داخل القسم وهو عقد تضمنه المؤسسة المدرسية وهكذا ... (ينظر: المرجع السابق، ص 30).

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص ص 27، 28.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 38.

وتحليل الخطاب في غير موضع بوصفها مترادفين أو مصطلحين مختلفين لمفهوم واتجاه واحد، وترد التداولية أحيانا بوصفها نوعا من تحليل الخطاب¹.

ح- علاقتها باللسانيات النصية:

يؤكد جل علماء النص على ضرورة أن نأخذ بعين الاعتبار البعد التداولي للنص، وذلك انطلاقا من أن لكل نص رسالة معينة يريد الكاتب إيصالها للمتلقي، وأن ذلك يتم في ظروف معينة، كما يرون أيضا أن أحد معايير الحكم على النص بالقبول هي مدى ملائمته للسياق الذي يرد فيه ويدعوا بعض علماء النص إلى أن يتجاوز التحليل البنية الداخلية للنص ليشمل بنية السياق والعلاقات القائمة بين البنيتين. وبناء على ذلك يرى "فان ديك" ضرورة أن يتسع مجال النحو ليشمل الأبعاد التداولية للنص.

وتزداد أهمية الأبعاد السياقية للخطاب في أن هناك بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل مثل: هنا، الآن، أنا، أنت، هذا، ذلك، من أجل تأويل هذه العناصر حين ترد في خطاب ما من الضروري معرفة على الأقل من هو المتكلم ومن هو المستمع وزمان ومكان إنتاج الخطاب، وهكذا أصبح اللغويين ينظرون إلى المقامية كأحد أهم العناصر التي تقوم عليها النصية².

إن علماء النص مثل "فان ديك" و "روبرت دي بوغراندي" يؤكدان على ضرورة "أن يدرس النص مقترنا بسياقه"، وهذا ما يلتقيان فيه مع رائدي تحليل الخطاب "هالداي" و "رقية حسن" واللذين يريان بأن النص ليس فقط تسلسل عدد من الجمل، وليس أيضا وحدة لغوية تتجاوز مستوى الجملة، وإنما يعرف بأنه: «وحدة لغوية في الاستعمال»، وهو ما يقتضي في نظرهما

¹ - مزيد بهاء الدين، تبسيط التداولية، ص 86.

² - ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ص 97 وما بعدها .

أن نأخذ بعين الاعتبار ارتباط الخطاب بسياقه (مقام التلفظ، مرجعية الخطاب، ...) ¹.
«والنص من وجهة نظر تداولية، فهو كل ثقافي يحيل على معطيات ذات أصول متنوعة
ليست لسانية فحسب، لهذا السبب يعرف مثله مثل الخطاب، حسب الرؤية التداولية بأنه:
استعمال ملفوظات في تركيباتها لانجاز أفعال اجتماعية، ويؤدي الخطاب ثلاث وظائف
هي:

- وظيفة قضوية (ما تقوله الكلمات).

- وظيفة انجازية (ما ننجزه بالكلمات من اتهام، أوامر، أو طلب معلومة، ... الخ): وتنشأ
علاقة بين المتفاعلين بواسطة هذا الفعل الانجازي.

- وظيفة تأثيرية (الهدف المتوخى): أي التأثير في المخاطب أو البحث عن التأثير فيه ².
إن علاقة التداولية بغيرها من العلوم يشير إلى تعدد مصادرها و ثرائها و انفتاحها على كل
ما من شأنه أن يساعد في كشف ملابسات الملفوظ، و إن كانت التداولية مبحث جديد في
الدرس اللغوي الحديث إلا أن هناك ما يشير إلى وجود التفكير التداولي في الدرس اللغوي
العربي القديم.

**المبحث الثالث: التفكير التداولي عند العرب: (من مباحث التداولية في الدرس العربي
القديم):**

لقد كان للدراسات اللغوية العربية القديمة ميزات وخصائص تتقاطع مع كثير من المناهج
والاتجاهات الغربية الحديثة ومنها الاتجاه التداولي الحديث الذي يعد آخر ما توصل إليه
العلم الغربي الحديث كحل للمسائل المستعصية أمام المناهج النسقية التي بقيت عاجزة دونها

¹- ينظر: المرجع السابق ، ص 75.

²- ألفا أوصمان باري، مقال تحليل الخطاب: أسسه النظرية، تر: لحسن بوتكلاي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب،
المغرب، العدد 5، 2014، ص 136.

، يقول محمد سويرتي: " إن النحاة و الفلاسفة المسلمين ، والبلاغيين و المفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة و علما ، رؤية و اتجاها أمريكيا و أوربيا ، فقد وظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر و العلاقات المتنوعة " كما اعتبر أحمد المتوكل أن المنجز اللغوي العربي القديم من نحو وبلاغة و أصول و تفسير يرجع إلى المبادئ الوظيفية¹.

و يرجع مصطلح التداولية معجميا إلى مادة "دول" والتي تعني " التحول والتناقل كالذي يقتضي وجود أكثر من حال ينتقل بها الشيء ، و تلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم على حال أخرى لدى السامع ، ومنتقلة بين الناس يتداولونها بينهم"². و إذا ما نظرنا في التراث العربي من بلاغة ونحو وتفسير و أصول فقه ، لوجدناه شديد الاهتمام بالاستعمال الفعلي للغة وما يتصل بها من سياق و مقام ، و قد طرحت مسألة الاستعمال في اللغة منذ القديم مع المعجميين العرب القدامى في تأليفهم للمعاجم ، فكان شغل المعجمي الشاغل أن يعطي استعمالا للكلمة ، فمعظم الكلمات لا تعرف ، وإنما يعطيك معنى الكلمة عن طريق استعمالها المتنوعة ، فقد كان هناك وعي بأهمية الاستعمال³، وهذا ما نجده اليوم في أحدث النظريات التداولية ، ويتعلق الأمر بالتداولية المدمجة التي توصل روادها إلى أن الكلمة معجميا تفيد شيئا و في الاستعمال تفيد شيئا آخر ، فأتى ديكر و بتصور مفاده: إدماج الجانب التداولي في الجانب الدلالي ، ولهذا كان فلاسفة أكسفورد يقولون: اسأل عن

¹ ينظر: خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 140

² المرجع نفسه ، ص 148

³ ينظر: أبو بكر العزاوي، اللسانيات المؤسسة على الاستعمال، الورقة العلمية للمناظرة الوطنية الرابعة حول السلامة اللغوية بالمغرب؛ في موضوع" ترشيد الحقل اللغوي : اللغات بين الاكتساب والتدريس والاستعمال"،

https://www.youtube.com/watch?v=_IIUJIMsF3k

الاستعمال ولا تسأل عن المعنى، فالمراد كيف استعملنا هذه الكلمة ، وليس المعنى الإخباري البسيط¹.

1-البلاغة:

أ-مفهوم البلاغة المرتبط بالاتصال:

تم ربط البلاغة العربية بالاتصال لأنها قامت على الإبلاغ والاتصال فاهتمت منذ البداية بعملية التواصل بين المتكلم والمخاطب لتحقيق الإفهام والمنفعة من الكلام ، وهذا التعليل في حد ذاته من أهم الأسس التي تقوم عليها التداولية ، ويدعم هذا قول جيفري ليتش: " البلاغة تداولية في صميمها ، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم و السامع "²ولعل التمعن في التعريفات السابقة يوصلنا إلى أن أوجز تعريف وأقربه للقبول هو تعريف جورج يول بأن التداولية هي " دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل " لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي واجتماعي ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما³ ، ويرى محمد العمري أن ما جاءت به السيميائية تحت عنوان "التداولية" يمثل إعادة الاعتبار للبلاغة العربية القديمة ، كما أن نظرية أفعال الكلام ل"أوستين" تلتقي كثيراً مع أسلوب الخبر و الإنشاء في البلاغة العربية⁴ .

إن ما طرحه محمد العمري يوضح أن البلاغة العربية تداولية بالأساس إذ أنها كانت منشغلة بالخطاب الحياتي اليومي ، مراعية ظروف و ملابسات الكلام بين المتكلم والسامع ،تهدف إلى إحراز المنفعة والفائدة والإفهام .

¹ ينظر: سعيد العوادي، الاتجاه اللغوي في الحجاج، https://www.youtube.com/watch?v=kKBR_AFLEjk

² نعمان بوقرة ، لسانيات الخطاب (مباحث في التأسيس و الإجراء)،دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1 ، 2012 ، ص 76

³ ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 14

⁴ ينظر: خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية، ص 155

ب- مفهوم البلاغة والوصول إلى المخاطب:

البلاغة عند العرب الفصاحة و البليغ حسن الكلام فصيحه ، وهي في اللغة من الفعل "بلغ" دالة على البلوغ والوصول و الانتهاء ، والإبلاغ و التبليغ والبلاغ: الإيصال : بلغت الرسالة و بلغت القوم بلاغا ، وبلغ الغلام : كأنه احتلم و بلغ التكليف¹، و في خطبة حجة الوداع رد المسلمين على النبي ﷺ: "قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت" وقول رسول الله ﷺ: "فليبلغ الشاهد الغائب" و معنى التبليغ كما في قوله ﷺ: "اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت"، وهي كما نرى نجدها تقوم على الاتصال المرتبط بالاستخدام السليم الواعي للغة، الذي يضمن سلاسة وصول المعنى و انتقاله بين المتكلم و المخاطب بتغيير الأحوال و تبدل المقامات ، وفي هذا نورد قول أبي هلال العسكري: "وينبغي أن تعرف أقدار المعاني فتوازن بينها و بين أوزان المستمعين ، و بين أقدار الحالات ، فتجعل لكل طبقة كلاما ، و لكل حال مقاما ، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، و أقدار المستمعين على أقدار الحالات ، واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال و ما يجب لكل مقام من المقال"²، ويعد هذا القول البلاغي القديم متناسبا مع ما جاءت به اللسانيات التداولية حديثا ، ولا سيما تداولية الدرجة الثانية مثل مبدأ التعاون عند "غرايس" * من شروط نجاح الملفوظ أو شروط التواصل وتقوم على التمييز بين المعنيين في المستويين الدلالي(المعنى الحرفي) و التداولي (المعنى السياقي)، وقد جعل أبي هلال العسكري - بقوله المذكور- مطابقة القول لمقتضى حال السامعين سببا لتحقيق المنفعة من الكلام وفي هذا بعد براغماتي تداولي ، فليست اللغة لمجرد الإخبار فقط ، وإنما تهدف إلى التأثير في الآخر لتحقيق فائدة مرجوة. و سأعرض

1 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج8، دار صادر، بيروت، ص 419 ، 420

2 أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر، تح:علي محمد البجاوي و محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء

الكتب العربية ، ط1 ، 1952 ، ص135

* سبقت الإشارة إلى مبدأ التعاون في المبحث الأول من هذا الفصل

القضايا البلاغية ذات البعد التداولي وفق عناصر الاتصال الثلاثة: (تداولية المتكلم، و تداولية الخطاب ، و تداولية المخاطب في البلاغة العربية)¹

2- الأبعاد التداولية في البلاغة العربية:

أ- تداولية المتكلم في البلاغة العربية:

لقد أقصى البنيويون جميع العناصر الخارجية من دراستهم للغة ولم يكن للمؤلف قي نظرهم أي مزية في المنجز اللغوي محور الدرس ، بله المتكلم الذي خرج من حسابهم منذ مرحلة تأسيس اللسانيات البنيوية في ثنائيات "دي سوسير" عندما فرق بين اللغة و الكلام ، لكن فريقا من الدارسين لم يقتنع بطرحهم ورأى أنه لا يمكن الاستغناء عن المتكلم لفهم المعنى ، لكن هذه الفكرة لم تكن مطروحة في البلاغة العربية حيث اهتمت منذ البداية بالعناصر الاتصالية المساهمة في تشكيل المعنى ومن بينها المتكلم " وما ينبغي أن يكون عليه من علم بأحوال الخطاب المختلفة ، ودراية بأقدار السامعين و منازلهم بحيث يخاطب كل سامع بما يناسبه"²، ومن جملة المسائل المرتبطة بالمتكلم ذات الصبغة التداولية نجد: أن تعريف الخبر في البلاغة مرتبط بالمتكلم، فهو ما يصح أن نصف قائل الخبر بأنه صادق أو كاذب ، و القصد الذي هو المعنى و أساس عملية التواصل و الإبلاغ مرتبط بالمتكلم أولا ، حيث أن فائدة الكلام مرتبطة بالقصد الذي له بعد تداولي يرتبط باستعمال اللغة³، فالمعنى غير ثابت و إنما يختلف باختلاف قصد المتكلم ، و في هذا السياق عرض البلاغيون العرب طرحا يعد من القضايا الرائدة في الدرس اللساني التداولي الحديث وهو أنهم اعتبروا الكلام فعلا كما هو عند ابن سنان الخفاجي الذي يرى أن الكلام فعل لا يختلف عن الضرب و

1 ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 162

2 المرجع السابق، ص 163

3 ينظر: المرجع نفسه، ص 165 ، 167 ، 168

التحريك، وهو ما جاء به "أوستين" في نظرية "أفعال الكلام" في قسم "الأفعال الإنجازية"¹، ولنتأمل قول ابن خلدون: "اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده. و تلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"²، فما تعارف عليه الناس و تواضعوا عليه هو المبادئ المشتركة بين المتكلم والمخاطب التي تساعد على الفهم وكما سلف القول فيه فالمعنى وليد القصد وما يؤثر في السامع فعل منجز فبذلك تم إحراز المنفعة ، فتعريف ابن خلدون يعبر عن اللغة في الاستعمال والأداء الفعلي لها.

ومن القضايا البلاغية المرتبطة بالمتكلم هو التمييز بين البلاغة والفصاحة فنصف المتكلم فنقول: خطيب فصيح أو بليغ ، وشاعر فصيح أو بليغ ، فالفصاحة ملكة مرتبطة بالمتكلم إذا فسدت تلك الملكة انتفت صفة الفصاحة عنه ، ومثاله ما ذكره ابن خلدون : " و قد تقدم لنا أن اللغة ملكة في اللسان ، وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد ، فإذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة، صار مقصرا في اللغة العربية ...و إذا كان مقصرا في اللغة العربية و دلالاتها اللفظية و الخطية اعتاص عليه فهم المعاني منها"³ وقد أشار "غرايس" إلى ذلك في مبدأ التعاون كمبدأ الصيغية في أن يكون الكلام واضحا غير مبهم ، و موجزا، ومنظما⁴ ، ومن المواضيع البلاغية الهامة "السياق" وهو متصل بقصد المتكلم اتصالا وثيقا ، فإلى جانب الدلالة المباشرة للعبارة ، هناك دلالة أخرى غير صريحة تفهم من السياق. وفي الالتفات في البلاغة العربية عدول من المتكلم عن الخطاب المباشر لدواع نفسية أو اجتماعية ، فعوضا

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 169

² ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1 ، طبعة مستكملة ، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، ص753

³ المرجع نفسه، ص 751

⁴ ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ص، 80

عن الخطاب المباشر من الأمير لعامله: "أمرك"، يعدل عنه لغرض بلاغي قائلاً: "الأمير يأمرك" فيكون الأمر أخف على السامع مما يجعله ينجز المطلوب بأريحية¹.

ب- تداولية المخاطب في البلاغة العربية:

إذا كانت البلاغة العربية قائمة على مبدأ الاتصال، فإن اهتمامها بالمخاطب (السامع) يكون بنفس القدر مع المتكلم فالعملية الاتصالية تفاعلية، فالمتكلم وهو ينشئ الخطاب يراعي في ذلك السامع وظروفه وقدراته وما ينبغي لكل مقام من المقال، وذا من صميم التداولية، فما القضايا البلاغية ذات البعد التداولي المتعلقة بالسامع؟

اهتم البلاغيون بالسامع في شرحهم لمفهوم الكلام و تعريفه، فهذا ابن فارس في كتاب "الصاحبي" يقول: "أما واضح الكلام - فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب. كقول القائل: شربت ماء و لقيت زيدا"²، وجعلوا فائدة الخبر مرتبطة باستفادة المخاطب من ذلك الحكم كقولنا: ولد النبي صلى الله عليه و سلم عام الفيل لمن يجهل ذلك، مما أحرز المنفعة و حقق نجاح الخطاب، ومن القضايا البلاغية المعتدة بالسامع اعتدادا كبيرا موضوع "أضرب الخبر" والذي ورد في سؤال الكندي للمبرد عن وجود حشو في كلام العرب في قولهم "عبد الله قائم، و إن عبد الله قائم، وإن عبد الله لقائم" والمعنى واحد في اعتقاده، فرد عليه الكندي بأن المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ³، فالعبارة الأولى لمجرد الإخبار فقط بدون توكيد، لأن السامع خالي الذهن غير متردد في قبول الحكم فضرب الخبر ابتدائي، والثانية مؤكدة بأداة توكيد واحدة لأن السامع متردد في قبول الخبر، وضربه طلي، والثالثة مؤكدة بأداتي توكيد لأن السامع منكر للخبر بالجملة وضربه انكاري. ومن صور الاعتداد

¹ ينظر: المرجع السابق ص، 173، 174

² ابن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت ط1، 1993، ص 73

³ ينظر: فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت،

بالمخاطب التأدب في الكلام معه، فلو قدم إليك طعام لا تشتهييه فقد ترد على صاحبه بأنك تشكو من ألم في المعدة تجنباً لإحراجك فتكون في عرف اللسانيات التداولية أنك أخلت بمبدأ التعاون في الحديث عند "غرايس"، ومن القضايا البلاغية الهامة المتصلة بتفهم السامع و سعة إدراكه " الحذف الذي يلتقي بالمفهوم التداولي الحديث " الافتراض المسبق" كأن تقول: "أهلاً وسهلاً" حيث يحذف عامل المفعول به وفق السماع عند العرب، أي حلت أهلاً و نزلت سهلاً، أو كقولك للمريض: طهوراً ، فإنه يعلم أنك تدعو له الخير وهو أنك تسأل الله أن يجعل مرضه كفارة لذنوبه ، فالمعارف المشتركة بين المتخاطبين ضرورة لنجاح الخطاب ، فلو قال المريض لجاره: خذني إلى المستشفى رجاء، فمن المفترض أن الجار لديه سيارة و أن علاقتهما مع بعضهما طيبة وغيرها من الأمور مما يفترض العلم بها سابقاً. ويعد أسلوب القصر من بين الأساليب البلاغية الأكثر اهتماماً بالسامع كقولك لمن يتوهم أنك تجمع بين الشعر والنقد : لست شاعراً بل ناقداً ، أو نحو: إنما أنا ناقد لا شاعر ، فالقصر موجه للسامع أساساً وهذا يدخل في الاستعمال اللغوي .

ج- تداولية الخطاب في البلاغة العربية:

يوحي مصطلح الخطاب بالاستعمال والتداول ، فمن وجهة نظر اللسانيات مرادف للملفوظ ، وهو فاعلية تواصلية صادرة من المتكلم إلى المخاطب في سياق معين ، ولئن كان يتوسل اللغة فإن جوهره ليس لغويًا ، إنه مجموعة من النوايا التي تتحقق بواسطة اللغة 1 ، ويعرف (إميل بنفنيست E . benveniste) الخطاب بأنه : «كل تلفظ يفترض متكلماً و مستمعاً ، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما" ، فالخطاب ليس مجرد تبادل للكلام بل يكون لهدف التأثير في السامع²، ولا يكاد يختلف مفهومه حديثاً عن ما تناوله الدرس العربي القديم ، بحيث لا يخرج عن الكلام الصادر من المتكلم إلى المخاطب للإفهام ، وقد برز هذا

1 ينظر: نعمان بوقرة ، لسانيات الخطاب (مباحث في التأسيس و الإجراء) ، ص 19 ، 20

2 محمود عكاشة ، لغة الخطاب السياسي " ، ص 37

المعنى عند التهانوي: " الكلام الموجه نحو الغير للإفهام"1 و قد استعمل بن فارس مصطلح "الخطاب" وهو يتحدث عن طبيعة الكلام بين المتخاطبين في قسم سماه "باب الخطاب" ومنه : (باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل و الفهم من السامع) 2، وعموما فإن الدرس العربي القديم بعلمه المختلفة لم يفصل دراسة اللغة عن الاستعمال ووصفها بالخطاب، وهذا من أهم القيم التداولية³. ومن أهم القضايا البلاغية العربية المرتبطة بتداولية الخطاب نذكر: الخطاب و مطابقته لمقتضى حال السامعين ، فالبلاغة العربية قامت على هذا المبدأ التداولي بالأساس مراعية ظروف إنتاج الخطاب بين المتكلم والمخاطب، جاعلة لكل مقام ما يناسبه من المقال لإحراز المنفعة ، وفي هذا يقول القزويني: " و أما بلاغة الكلام فهي: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"4 ، فلا يمكن تحقيق الفائدة من الخطاب دون مراعاة نفسية وحال من توجه الكلام إليه، فمن أجل إحراز المنفعة يوازن المتكلم بين المعنى والمخاطب والحال بمقدار ، ولأبي اليسر الشيباني (ت 298هـ) عدة أقوال في هذه القضية التداولية ذكرها في رسالته العذراء منها: "إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم فخطب كلا على قدر أبهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وتقطنه وانتباهه...5" ، إلى أن يقول في موضع آخر من رسالته : " ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك إياهم في كتبك ، فتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه وتعطيه قسمه وتوفيه نصيبه ، فانك متى أهملت ذلك وأضعته لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم

1 نعمان بوقرة، "المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب" جدار للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، ط1، 2009 ، ص 13

2 ينظر: ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، ص 196

³ ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ص 192

⁴ القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003 ، ص 20

⁵ - أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب ، ص 179

وتسلك بهم في غير مسلكهم وتجري شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه "1 وهو بهذا يشدد على المخاطب أن يراعي متطلبات كل طبقة وما يليق بها من المعاني فإذا خالف ذلك فان كلامه لن يحقق الإفادة والنجاح الذي تقتضيه العملية التواصلية.وقد أورد الجاحظ نصا يعد من أول النصوص العربية في هذا الموضوع من حديث بشر بن المعتمر:" و أما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال،وما يجب لكل مقام من المقال"2 ، ورغم أن السكاكي أفاض الكلام في مقامات الكلام وقيمه البلاغية فإن أبي اليسر الشيباني قد سبقه إلى هذا المعنى قائلاً:"وضع كل معنى في موضع يليق به ، وتخير لكل لفظة معنى يشاكلها ، وليكن ما تختم به فصولك في موضع ذكر الشكوى بمثل "والله المستعان" و"حسبنا الله ونعم الوكيل"، وفي موضع ذكر البلوى "نسأل الله دفع المحذور ، ونسأل الله صرف السوء" وفي موضع ذكر المصيبة بمثل "إنا لله وإنا إليه راجعون" ، وفي موضع ذكر النعم بمثل " والحمد لله خالصا ، والشكر لله واجبا"3 ويقول أيضا:"وكذلك ينبغي في الرسائل ألا يصغر الاسم في موضع التعظيم، وإن كان ذلك جائزا"4 وهو بهذا يفرق بين سلامة القاعدة النحوية وبين الاستعمال الفعلي للغة الذي يراعى فيه المقام ، ومن خلال ما سبق فقد حدد الشيباني طبيعة الخطاب (شكوى، بلوى، مصيبة، نعمة، شكر، تعظيم...) بحسب الظروف المحيطة وبحسب غرض الكلام وقصده ثم بحسب المخاطب ، وهي العناصر المتظافرة في إنتاج الخطاب كما يشرحها الدرس اللساني الحديث.

3- البعد التداولي في الخبر والإنشاء: ومن القضايا البلاغية التي ارتبطت ببعدها التداولي "الخبر والإنشاء"، إذ يرى الدارسون أن ما قدمه العرب في هذا الباب لا يختلف عما تعرضه نظرية أفعال الكلام ل"أوستين" و "سيرل" ، فأهل اللغة لا يقولون في الخبر أكثر من أنه

1 -المرجع السابق،ص178

2 الجاحظ، البيان والتبيين،ج1 ص 136

3 -أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب،ص183

4- المرجع نفسه،ص187

إعلام ، "تقول : أخبرته ، أخبره" و الخبر هو العلم ، وأهل النظر يقولون :الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه . وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم"¹ ويكتفي السكاكي بهذا التعريف (تعريفهما بلوازمهما) ، أما القزويني فيرى " أن الكلام إما خبر أو إنشاء ، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ،أو لا يكون لها خارج . الأول الخبر ، والثاني الإنشاء "² فالبلಾಗಿون تناولوا الخبر والإنشاء من باب أن الخبر ما احتمل الصدق أو الكذب بالنظر على درجة مطابقته للخارج ، والإنشاء لا يرتبط بمفهوم الصدق والكذب يتحقق مدلوله بمجرد النطق به فالإنشاء الطلبي ما استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب كالأمر والنهي والنداء والاستفهام والتمني ، و لا يخرج هذا عن طرح "أوستين" في أفعال الكلام الذي ميز بين نوعين منها: الأفعال التقريرية (الوصفية) و الإنجازية من حيث مطابقتها للخارج وموقف المتكلم³ .

4- مفهوم اللغة والفعل: وقد ربط ابن خلدون بين مفهوم اللغة والفعل في معرض حديثه عن علم النحو قائلا: "اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده .و تلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام "⁴ فإذا كانت اللغة عنده هي قول المتكلم ، وهذا القول فعل لساني مقصود ، فإن القول فعل ، وهذا عنوان كتاب "أوستين" " كيف ننجز الأشياء بالكلمات "، أو (عندما نقول فنحن نفعل) . فاللغة ليست أصوات يعبر بها القوم عن أغراضهم فقط و إنما هي أفعال لسانية مؤثرة في السامع بحصول الفائدة ، و سمي المتكلم متكلما لأنه فاعل الكلام ، ثم إن "الفعل" في المعاجم العربية ما دل على حدث في زمن معين مسند إلى فاعله ، يحمل دلالة الإنجاز و الأداء ، ووصف الزبيدي "الفعل" أنه أخص من العمل ، و هو إحداث كل شيء من عمل أو غيره ، وعرفه ابن الأنباري في

1 ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، ص 183

2 القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 24

3 ينظر: خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 200 ، 201

4 ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ج1 ، ، ص753

(أسرار العربية) بقوله:¹ "فإن قيل لم سمي الفعل فعلا؟ قيل: لأنه يدل على الفعل الحقيقي ، ألا ترى أنك إذا قلت "ضرب" دل على نفس الضرب الذي هو فعل في الحقيقة ، فلما دل عليه سمي به"² وهو بهذا دال على الاستعمال والتداول ، و مسألة الوعي المتقدم بفعل الكلام غير خفية في التراث العربي الإسلامي فالكلام سبب في سعادة الإنسان أو شقائه فهو جنة أو نار، وقد سمي الله عز وجل ميلاد عيسى عليه السلام بأنه "كلمته" ، وكل ما يحدث في الكون سببه كلمة من الله عز وجل ، فالكلمة حياة أو موت ، فقد جاء في الأحاديث النبوية الشريفة ما يدل على أن الكلام فعل في حد ذاته يجلب الثواب أو العقاب، وفي الفقه الإسلامي إذا نطق الزوج بالطلاق فقد وقع ، فالملاحظ أن الإدراك بمسألة فعل الكلام قديمة إلا أن ما قامت به البنيوية من غلق للغة على نفسها و إقصاء كل ما عداها هو ما جعل القضايا التداولية و إن كانت تبدو مستحدثة فإنه الوعي بها قديم.

5- البعد التداولي في النحو: إن التفكير التداولي عند العرب لم يختص بالمسائل البلاغية بل شمل مختلف العلوم العربية كالنحو و الخطابة ونقد الشعر وأصول الفقه و كلام الفلاسفة ، ومن المسائل النحوية التي تجلى فيها البعد التداولي نذكر عل سبيل المثال أن اللغة موضوع النحو تقوم على مفاهيم الاستعمال و التداول و هذا يبدو في تصور عبد القاهر الجرجاني للنحو والحاجة إليه ، فهو " في نظره يتجاوز النظر في العلاقات القائمة بين عناصر البنية فيما بينها إلى العلاقات بين البنية ذاتها ، وما يمكن أن تؤديه من وظيفة و أغراض كلامية في واقع الاستعمال " ³ والكلام عند علماء النحو مرتبط أساسا بالفائدة كما عند ابن مالك في الألفية:

1 ينظر: خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 202 ، 203

2 ابن الأنباري ، أسرار العربية ، تح: محمد بهجت البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، د ت ، ص 11

3 خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية، ص 218

"كلامنا لفظ مفيد " ،فالكلام عندهم ما حقق النفع و الفائدة لدى السامع ، و تتجلى القيمة التداولية في إحرار المنفعة و الاهتمام بالمخاطب ، ومن مسائل النحو التداولية : حذف ما يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة ، ويظهر الملمح التداولي في التقائه مع الافتراض المسبق الذي لم تتوصل إليه اللسانيات التداولية إلا حديثا ، والسياق اللغوي المساعد على فهم المعنى . ثم مبحث التقديم والتأخير الذي يكون لغرض تداولي مثل تقديم المعمول على العامل في : "القرآن حفظت" ، وذلك للتعجيل بالفرحة والسرور ، أو تأخير ما حقه التقديم ، كما في قول الله عز وجل: { قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ} ¹ ، وذلك للاهتمام بأمر المتقدم . ونشير كذلك إلى الوحدات اللغوية مثل الضمائر و أسماء الإشارة والظروف و زمن الأفعال ، وما فيها من قيم تداولية تدخل في الإشارات التي يحتاج المخاطب في فهمها إلى السياق ، كما نجد الوعي بأهمية البعد الوظيفي التداولي يتجلى عند ابن جني في ربطه للبنية بالوظيفة التوصيلية للغة فالوظيفة تحدد البنية والمقام يحدد المقال، فربطهم التركيب بالتداوليات هو ما توصل إليه رواد الحجاج اللغوي في إطار التداولية المدمجة، ومن النصوص القيمة التي تدعم وعيهم بالفكر التداولي المنبني على دراسة اللغة في الاستعمال مقولة ابن جني في كتابه "المحتسب" ²: "ينبغي أن يعلم ما أذكره هنا ، وذلك أن أصل المفعول أن يكون فضلا و بعد الفاعل كضرب زيد عمرا، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا: ضرب عمرا زيد، فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبة فقالوا عمرا ضرب زيد ،فإن تظاهرت العناية به قدموه على أنه رب الجملة وتجاوزوا به حد كونه فضلا، فقالوا: عمرو ضربه زيد، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: عمرو ضرب زيد فحذفوا ضميره ونووه ، ولم ينصبوه على ظاهر أمره رغبة به عن صورة الفضلة ، ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له و بنوه على أنه مخصوص به، وألغوا ذكر

1 سورة مريم، الآية 46

2 ينظر: أبو بكر العزاوي، الدرس التداولي في الفكر اللغوي القديم ، ابن جني نموذجا، مجلة أبوليوس، المجلد 06 ، العدد

01 ، جانفي 2019 ، ص 31 ، 32

الفاعل مظهراً، أو مضمراً ، فقالوا: ضرب عمرو¹ بضم الضاد، ففي هذا النص القديم بيان لعلمهم بأهمية وظيفة اللغة التواصلية لذلك جعلوا الوظيفة هي من تحدد البنية المناسبة لها فمسألة المعنى في الاستعمال تتمظهر في كل هذه الأمثلة الواردة فالاهتمام بالمفعول في الترتيب الأصلي للجملة يجعلهم يقدمونه على الفاعل ثم على الفعل حسب ازدياد درجة العناية والاهتمام به إلى أن يخرج من الفضلة المنصوبة ليصير رب الجملة "المبتدأ" وهكذا يتوالى التعديل في البنية حسب العناية و الحاجة و السياق و الوظيفة تماشياً مع المبدأ التداولي الوظيفي لكل مقام مقال.

6- البعد التداولي المرتبط بالشعر ونقده: و إذا نظرنا إلى نقد الشعر نجد أن العلماء العرب أشاروا إلى الأبعاد التداولية المرتبطة بالشعر كما نجده عند ابن طباطبا العلوي في كتابه " عيار الشعر" الذي ركز في تصويره للشعر على العناصر الاتصالية الأربعة: الشاعر و المتلقي و النص و المقام ، فمن الشروط الاجتماعية والتداولية في الشعر ما يراه ابن طباطبا من كمال العقل للشاعر وهو حسن الاستفادة من الثقافة و المعارف ، الأمر الذي يعينه على بناء وصياغة الشعر صياغة تراعي مقام المتلقي ، ففي تصور ابن طباطبا أنه ينبغي للشاعر أن² "يحضر لبه عند كل مخاطبة ووصف، فيخاطب الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات ، ويتوقى حطها عن مراتبها و أن يخلطها بالعامية ، كما يتوقى أن يرفع العامة إلى درجات الملوك ، و يعد لكل معنى ما يليق به و لكل طبقة ما يشاكلها حتى تكون الاستفادة من عقله في وضعه الكلام موضعه أكثر من الاستفادة من قوله في تحسين نسجه و إبداع نظمه"³، ففي هذا القول دعوة لاستحضار العقل لمعرفة أحوال المخاطبين و إعداد

1 ابن جني أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها،تح: علي النجدي ناصيف و عبد الفتاح إسماعيل،ط2، ص 65

² ينظر: عبد الجليل هنوش ، ابن طباطبا العلوي و التصور التداولي للشعر، الرسالة 168 ،حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ،الحولية الحادية والعشرون ، 2001 ،جامعة الكويت ، ص 61

³ ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، تح: عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 2005 ، ص 12

المقال بما يناسب المقام ، فالشعر عند ابن طباطبا ليس مجرد تزيين للقول فحسب ، و إنما تخييل و تداول معا . و الحق أن اهتمامه بالشروط المقامية في مخاطبة الشاعر للآخرين دليل على اهتمامه بالسامع و تحقيق التأثير البليغ فيه . ومن جملة ما يبين أن الشعر لا يقتصر على حلية الكلام فحسب بل هو خطاب إقناعي أيضا ، ما نجده عند حازم القرطاجني ، حيث يرى في معرض حديثه عن العلاقة الوظيفية بين الشعر والخطابة أن كليهما يهدفان إلى التأثير في المتلقي وإقناع الجمهور قائلا:

"واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعريّة سائغ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضوع بعد الموضوع، كما أنّ التّخاييل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضوع بعد الموضوع، وإنّما ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيما تقوم به الأخرى؛ لأن الغرض في الصناعتين واحد وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه، فكانت الصناعتان متآخيتين؛ لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما" ¹ ولتوضيح عمق العلاقة بين الفنين: الشعري والخطابي، يسوق القرطاجني قول الشاعر الأصوص :

"وما الشعر إلا خطبة من مؤلف يجيء بحق أو يجيء بباطل" ²

أما بحثنا في الأبعاد التداولية في الخطابة عند العرب فقد سبقت الإشارة إليه في الفصل الأول في مبحث " التداولية والخطابة" ، فهي مرتبطة بالحجاج بالأساس وهذا ما ذهب إليه الجاحظ حيث ربطها بالإقناع من خلال اهتمامه بالمقام و تركيزه على عدة الخطيب وصفاته التي تجعله مؤثرا و مقنعا ، و في صحيفة بشر بن المعتمر في تعليم الخطابة التي أوردها الجاحظ نجد العناية بأحوال المستمعين و إحراز المنفعة المرتبط بمقتضى الحال والإعداد لكل مقام مقال .

¹ حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء ،تح:محمد الحبيب ابن الخوجة،الدار العربية للكتاب،ط3، 2008 ، تونس

، ص 325

² المرجع نفسه ، ص 326

-خاتمة الفصل:

بعدها كانت اللغة في القرن 19م تدرس ضمن العلوم المختلفة كالفلسفة والمنطق وعلم النفس والاجتماع وغيرها، فإنها أصبحت مبحثا مستقلا في صدر القرن 20م ، والفضل في ذلك لفريديناند دي سوسير الذي وضع أسس اللسانيات حيث باتت البنيوية المرجع في الدراسات اللغوية، إلا أن قصورها و عجزها عن تفسير كثير من الظواهر اللغوية فسح المجال لبروز الدراسات اللغوية الوظيفية و التداولية التي تهتم بدراسة اللغة قيد الاستعمال ، ويرجع بروز الفكر التداولي إلى الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس أول من نقل مصطلح البرجماتية من الإطار الفلسفي الواقعي التجريبي إلى علم اللسان ، وكان تلميذه شارل موريس صاحب الفضل في الظهور العلمي الأول لموضوع دراسة التداولية اللسانية ، وتتميز التداولية بتنوع مصادرها وتعدد قضاياها كأفعال الكلام والإشارات و الاستلزام التخاطبي و متضمنات القول والحجاج، وهي و إن كانت مبحث مستجد في الدرس اللساني الحديث فإن بوادر التفكير لتداولي في الدرس اللساني العربي قديمة نجدها في مسائل ومواضيع متنوعة المرتبطة بالفقه والبلاغة والنحو والأقويل الشعرية والخطابة وغيرها ، و يمكن القول أن الوعي المرتبط بالاستعمال اللغوي و ممارسته هو مسألة قديمة في الدراسات التراثية إلا أن ظهور المدرستين البنيوية والتوليدية التحويلية هما من أغلقتا باب اللغة في وجه الاستعمال اللغوي و قطعنا الصلة به .

الفصل الثالث

أفعال الكلام في الخطب السياسية المختارة

الفصل الثالث: أفعال الكلام (دراسة نظرية و تطبيقية في الخطب السياسية)

المبحث الأول: السياق و عناصره

- 1- مناسبة الخطب المختارة
- 2-العوامل غير اللفظية التي أسهمت في توجيه هذه الخطب
- 3-المرسل
- 4-المرسل إليه
- 5-الموضوع
- 6-القصد

المبحث الثاني: أفعال الكلام (دراسة نظرية و تطبيقية)

أولاً: الأفعال الكلامية (النشأة و المفهوم و التطور)

- 1-النشأة
- 2-المفهوم
- 3-التطور
- 4-نقد النظرية

ثانياً: أفعال الكلام في الخطب المختارة حسب تصنيف "سيرل"

- 1-الأفعال الكلامية في خطبة البيعة
- 2-الأفعال الكلامية في الخطبة البتراء
- 3-الأفعال الكلامية في خطبة داود بن علي

-الدراسة التطبيقية للخطب (مقارنة تداولية) :

المبحث الأول:السياق وعناصره:

1-مفهوم السياق: إن ما أهملته اللسانيات البنيوية في دراستها مما يعد خارج اللغة، اتضح أنه لا يمكن الاستغناء عنه لفهم المعنى ، لذلك ينصب اهتمام الدرس التداولي كله في بحث مدى ارتباط الخطاب بالسياق¹ وقد تفاوت العلماء في التعبير في تحديد مفهوم السياق فمنهم من يرى"أنه علامات شكلية تكون في المحيط اللساني الفعلي... « ويشمل مدلول المحيط اللساني مستخدم اللغة (المتكلم و السامع)، الحدث الذي ينجزه النظام اللغوي المستخدم ، مواقع مستخدم اللغة ، أنظمة المعايير الاجتماعية والعادات... إلى غيرها من العناصر التي تحدد بنية المنطوق وتفسره»² .

ومن العلماء من يرى أن السياق يتمثل في مجموعة الظروف التي تحيط و تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام³ ، ولعل أدق تحديد لمفهوم السياق ما يراه بعضهم في أنه هو « الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية»⁴ ، فإذا نظرنا إلى هذه المفاهيم فإنها لا تخرج عن المعنى العام للسياق الذي يتضمن كل ما نحتاجه لفهم الخطاب ، وفي هذه الخطب سنكتشف مجموعة من الظروف والقرائن التي ستعين في فهمه ودراسته .

¹ -ينظر: خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 114

² -المرجع نفسه ، ص ص 114 ، 115

³ -ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص 41

⁴ -محمد ربيعة ، علم السياق القرآني ، (مفهوم السياق عند العلماء) ، مقال الكتروني ، موقع ملتقى أهل التفسير

2- مناسبة الخطب:

أ- مناسبة خطبة البيعة لأبي بكر الصديق:

في الثامن عشر ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة الموافق للثامن من يوليو سنة اثنان وثلاثون وستمئة ميلادية، وبعد نحو ساعة أو أكثر قليلا من وفاة النبي ﷺ¹، انتهت آراء الناس و مشاورتهم و مداولاتهم حول من سيخلفه إلى اختيار الخليفة أبي بكر الصديق ، فبايعه الناس مبايعة اتخذت شكلا جماعيا . فكان أن صعد منبر رسول الله ﷺ ، وألقى خطبة قصيرة كشف فيها عن المحاور الكبرى في سياسته التي سينتهجها في تسيير شؤون المسلمين و دولتهم².

ب- مناسبة الخطبة البتراء لزياد بن أبيه:

قدم زياد البصرة واليا لمعاوية بن أبي سفيان غرة جمادى الأولى سنة 45هـ ، و الفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر ، والاستهانة بالحدود مستشرية ، إضافة على التمرد السياسي على ولاة الخليفة ورفض طاعتهم ، فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها ، وقيل : بل حمد الله³.

ج- مناسبة خطبة داود بن علي:

صعد أبو العباس السفاح المنبر بمسجد الكوفة حين بويح بالخلافة (132هـ) فقام في أعلاه، وصعد عمه داود بن علي فقام دونه ، وخطب أبو العباس وكان موعوكا فاشتد به الوعك، فجلس على المنبر، و صعد داود بن علي فقام دونه على مراقبي المنبر وخطب في الناس⁴.

3-العوامل غير اللفظية التي أسهمت في توجيه هذه الخطب:

¹ ينظر : عماد عبد اللطيف ، تحليل الخطاب السياسي ،(نموذج إرشادي)، مقال في كتاب بلاغة النص التراثي (مقاربات بلاغية حجاجية) ، إشراف : محمد مشبال ، دار العين للنشر ، ط1 ، 2013 ، ص 28

² ينظر: فاطمة تجور ، الأدب في صدر الإسلام ، ص 315 ، 316

³ ينظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ج2 ، ص 257

⁴ ينظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ج3 ، ص 2 ، 3

أ-في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق:

دلالة المكان : وقوف أبي بكر الصديق خطيباً في المسجد النبوي و على منبر رسول الله ﷺ يوحي بالهيبة و الخشوع و تذكر الآخرة و الزهد في الدنيا مما يهيئ النفوس للإنصات و حسن الظن خدمة لمصلحة الإسلام وهذا يدعو إلى طاعة ولي الأمر، و كأن الصورة الماثلة أمامهم تقول لهم : هذا خليفة رسول الله ﷺ أحسنوا طاعته و الزموا الجماعة و لا تفرقوا.

دلالة الحاضرين والغائبين: دلالة حضور جميع الناس لهذا المشهد الحاسم ولا سيما أصحاب الرأي و السيادة تختلف عن دلالة تخلف البعض عن الحضور كسعد بن عباد ، مما يثير الكثير من التساؤلات الضمنية والصريحة في نفس الخطيب و الجمهور الحاضر.

ب-في الخطبة البتراء لزياد بن أبيه:

دلالة المكان: اختيار الوالي المسجد لإلقاء الخطبة له دلالاته الدينية والسياسية، فالدلالة الدينية رمزية المسجد مثل الإيمان والصلاح والتقوى التي قد يوصف بها الخطيب ، والرمزية السياسية أن الإمام في عرف المسلمين هو الحاكم السياسي ذاته في ذلك العصر الذي كان يجمع فيه بين الإمامة والسياسة.

الحاضرون من الأعيان:حضور الأعيان من المخالفين للتوجه الأموي خاصة له دلالة أخذ العهود و المواثيق منهم على ما يقوله فهم شهود وبالتالي يتحملون جزاء مخالفتهم و أتباعهم للأوامر و شعاره في ذلك :قد اعذر من أنذر

ج-في خطبة داوود بن علي:

دلالة المكان: جمع المسجد في القديم بين المهمة الدينية والسياسية فالإمام في عرف المسلمين منذ العهد النبوي هو الحاكم السياسي ذاته يجمع فيه بين الإمامة والسياسة.

مرض الخليفة: جاء في آخر الخطبة: "وأشار بيده إلى أبي العباس" إن إشارة الخطيب بيده إلى الخليفة الذي كان موعوكا فجلس يجعل الناس يميلون بأعناقهم إلى النظر إليه و هو في حالته الصحية تلك ما يلين قلوبهم و يزداد تعاطفهم معه .

ومن عناصر السياق التي لا مندوحة عنها لفهم المدونة الخطابية: المرسل والمرسل إليه و القصد، ولذلك يرى "ليتش": «أن في المنهج التداولي حلا لفهم النص من وجه نظر كل من المرسل والمرسل إليه، فالمرسل يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطابا يؤثر به في المرسل إليه ، كما أن المرسل إليه يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المرسل كما يريدتها عند إنتاج خطابه لحظة التلفظ وهذه الإجراءات لا تتبلور عبر منظومة خوارزمية تجريدية كما هو الحال في النحو، بل عبر تقدير ذهني عام، ومحتمل وفقا لعناصر السياق»¹

4-المرسل: «يرى أرسطو أن الخطيب الذي تتوفر في الفضيلة والفتنة والتلطف للسامعين يوحى بالثقة إلى ما يسمونه»²، فالمرسل هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب فهو يتلفظ به ليعبر عن مقاصد معينة معتمدا على استراتيجيه خطابية تمتد من مرحلة تحليل السباق ذهنيا والاستعداد له ، لما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة وتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكاره بتتوعات مناسبة ما يضمن تحقيق منفعته الذاتية كما أن أهلية المرسل هي التي يركز عليها الإنجاز الفعلي للغة كالموقع الوظيفي، وحصول الإرادة للتلفظ بالخطاب في السياق المناسب ، لأن إرادة المرسل تظل ركنا أساسيا في تداوليته³، و لمعرفة من المرسل ، كان علينا أن نعرف بهؤلاء الخطباء.

أ-الخطيب الأول: أبوبكر الصديق القرشي المهاجري واسمه عبد الله بن أبي قحافة ولقبه "عتيق"(جميل الوجه) أعلم قریش بأنسائها ، أول من آمن من الرجال ، قالت عنه عائشة "ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبوبكر" صاحب رسول الله وأحب الرجال إليه يعتبر من

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب ، ص24

² محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص31

³ ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب ص 45 ، 46 ، 47

أخطب خطباء الصحابة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وكانت خلافته سنتين ومائة يوم .توفي وله ثلاث وستون سنة¹.

ب-**الخطيب الثاني:** زياد بن أبيه : عرف بهذا الإسم واشتهر به لاختلاف في نسبه ، ولد عام الهجرة ، كان من دهاة العرب والخطباء و الفصحاء ، واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على بعض أعمال البصرة ، واستعمله علي رضي الله عنه على بلاد فارس ، واستعمله معاوية بن أبي سفيان على البصرة و أضاف إليه الكوفة ، توفي سنة ثلاث و خمسين للهجرة ، و كان عظيم السياسة ضابطا لما يتولاه².

ج-**الخطيب الثالث:** داوود بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس الهاشمي ، عم أبي العباس السفاح ، كان ذا بأس و سطوة وهيبة و جبروت و بلاغة ، ولما قام الخليفة العباسي أبو العباس السفاح يخطب في الناس يوم البيعة أصيب بوعكة فحصر ، فقام دونه عمه هذا فأبلغ و قال فأوجز ، توفي في ربيع الأول سنة ثلاث و ثلاثين و مئة³.

5-**المرسل إليه :** هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه بالقصد ، وقد نظر أرسطو في حديثه عن عناصر بناء الخطاب إلى الخطيب (المرسل) والمستمع (المرسل إليه) والخطبة (الرسالة) ، وقد خصص للمرسل إليه الكتاب الثاني ، كتاب الجمهور الذي عالج فيه عددا من الأهواء والانفعالات وكذا بعض البراهين بحسب تلقيها⁴ . وبناء الخطاب وتداوله عند البلاغيين العرب مرهون بمعرفة حال المرسل إليه أو بافتراض ذلك الحال، إذ

1-ينظر: شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء، سير الحلفاء الراشدون تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة

الرسالة، بيروت ط1، 1996، ص 7 وما بعدها

2 ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجذري ، أسد الغاية في معرفة الصحابة ، دار ابن حزم ، دط ، دت ، ص 420

3 ينظر: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء الجزء الأول، بيت الأفكار الدولية ، ص 1649

4 -ينظر : محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الاتقاعي ، ص 22

العناية في المقام المسبق موجهة إلى المرسل إليه ، وهذا ما يدل على أنه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب¹.

أ-المرسل إليه في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق: خطب أبو بكر الصديق في مسجد رسول الله ﷺ أمام جمع من المسلمين (المهاجرين والأنصار).

ب-المرسل إليه في الخطبة البتراء: لما ولي زياد على البصرة دخل المسجد وخطب في أهلها

ج-المرسل إليه في خطبة داود بن علي: خطب في أهل الكوفة التي انعقدت فيها البيعة لابن أخيه أبي العباس لسفاح .

6-الموضوع : الحاجة إلى تحديد الموضوع الرئيس والموضوعات الفرعية التي تتناولها الخطب المدروسة كبيرة ، فما الانشغال العام المهيم على هذه الخطب ، وكيف كان الانتقال بين الموضوع الرئيسي والمعاني الفرعية داخل الخطبة ، وما طبيعة الموضوعات المسكوت عنها وعلّة هذا السكوت .

أ-موضوع خطبة البيعة لأبي بكر الصديق:

رغم قصر الخطبة إلا أن معانيها عميقة ، موضوعها بيان منهج الحكم و قد اشتمل على عدة معاني فرعية وهي كالآتي:

- إظهار الخليفة زهده في الحكم و تواضعه ونكران أفضليته على باقي الصحابة

-الدعوة إلى الحكم المبني على المشاركة و التشاور لا على حكم الاستئثار والاستبداد

-الدعوة إلى التحلي بالأخلاق كالالتزام بالصدق و اجتناب الكذب

¹ -ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص ص 47 ، 48

-تطبيق العدل، فالقوي والضعيف سواء أمام القانون والسنن والشرائع

-التمسك بفريضة الجهاد كمبدأ مقدس لا يجب الحياد عنه

-النهى عن الفواحش للسلامة من البلاء

-التزام الخليفة بالكتاب والسنة كمنهج للحكم، والدعوة إلى معارضته إن أخل بهذا الالتزام

ورغم قصر الخطبة إلا أن معانيها عميقة فقله: "وليت عليكم" إشارة إلى الشرعية التي نصب من خلالها، والتي خولته السلطة و السيادة ، هذه الأخيرة التي لا يريد لها استبدادية بل يراعي فيها التوازن في العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وبذلك يكشف عن أرقى التعامل الديمقراطي من خلال ترك الفرصة للمعارضة الرشيدة البناءة التي عامل مساعد في الحكم الراشد لا معارضة من أجل أطماع في الحكم فقط ، ولتوطيد دعائم الدولة لا بد من العدل و المساواة ، فالعدل أساس الملك ، وهو من يشعر الفرد الضعيف بأنه قوي بدولته ، وهي به قوية أيضا ، و لأن الدولة الجديدة على عاتقها مسؤولية عظيمة وهي نشر الإسلام فكان التشديد على استمرارية فريضة الجهاد ، وكل هذا لا يفلح دون التحلي بالأخلاق و مراعاة حدود الله في كل مناحي الحياة ، و في الأخير كان التأكيد على أن المنهج الذي هو أحق أن يتبع هو الكتاب والسنة ، وفي ذلك بيان على أن الدولة هي دولة القانون ، والولاء للقانون لا للأشخاص ولو كان الخليفة نفسه . إن كل ما ورد يعتبر مبادئ سياسية راقية سبقت النظريات السياسية الحديثة .

ب-موضوع الخطبة البتراء لزياد بن أبيه:

موضوع الخطبة هو بيان السياسة العامة التي سيسلكها الوالي الخطيب في ولاية البصرة، وتضمن معاني جزئية أهمها:

-تشخيص زياد للوضع التي وجد عليها أهل البصرة من فساد أخلاقي و تمرد على القوانين والعزم على الإصلاح والتغيير.

-الإعلان عن السياسة الجديدة الرادعة التي سينتهجها زياد لاستتباب الأمن و فرض الطاعة.

ج-موضوع خطبة داود بن علي:

موضوع الخطبة هو سخط على حكم بني أمية و ابتهاج بالنصر عليهم و الدعوة إلى طاعة بني العباس ، و تفرعت عنه معاني فرعية :

-حمد الله عز وجل و شكره على انتصار الثورة العباسية على الأمويين

-اعتبار النصر عود الحق إلى أصحابه الشرعيين

-تبرير سبب الثورة بأنه لطلب حقهم في الحكم و دفع ظلم بني أمية على العلويين و أنصارهم عامة و الالتزام بالتمسك بكتاب الله و سنته في الحكم

-سخط و غضب من أفعال الحكام الأمويين و تذكير بأن مصيرهم هو المصير المحتوم للجبابرة و الطغاة

-تبرير قطع الخليفة أب العباس السفاح لخطبته بسبب الوعك و طلب الدعاء له بالعافية

-التأكيد على شرعية الخليفة و العمل على إبقاء الخلافة في آل العباس إلى آخر الزمان

7-القصـد: هو أحد المقومات الأساسية للخطاب باعتبار أن لكل منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها أو نية يريد تجسيدها.

ويستمد مفهوم القصد شرعية و جوده في الدراسات اللسانية القديمة و الحديثة من أن كل فعل كلامي يفترض منه وجود نية التوصيل و الإبلاغ¹ ، و قد ارتبط القصد بالمتكلم في الدرس البلاغي و الدرس العربي عموما إذا يقول القاضي عبد الجبار " إن المكلم لغيره إنما يحصل مكلما له بأن يقصده بالكلام دون غيره وهم لا يختلفون عن النحاة ففائدة الكلام مرتبطة بالقصد و قد أشار "تشومسكي" إلى هذه الفكرة حين انتقد البنيويين و أكد الاعتداد بالمتكلم في دراسة اللغة ، لأنه و حده الذي يملك تحديد الأدلة ، و للقصد عموما مفهوم تداولي يرتبط أساسا باستعمال اللغة² فمن أسباب و دواعي توسع الدراسات التداولية هو سعيها أن لا يكون المعنى الحرفي للغة هو معنى الخطاب الوحيد³. و لعل من أحسن تعريفات اللغة التي ربطتها بالاستخدام و الأداء الفعلي لها من المتكلمين المبنى على إرادتهم ، هو قول ابن خلدون⁴ « اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده و تلك العبارة فعلى لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام »⁵ و يجب على دارس الخطاب أن لا يكتفي بالبحث في مقصد المتكلم و الأغراض التي يسعى إلى تحقيقها و إغفال تفاعله مع المخاطب ، فوراء كل تلق هناك أغراض يسعى المخاطب إلى تحقيقها بتفاعله مع المتكلم.

و في **خطبة البيعة لأبي بكر الصديق** فإن القصد الأساسي من كلامه هو الإعلان عن المحاور الأساسية لحكمه فغرضه مباشر واضح لا تأويل فيه ، فهدفه من وراء هذا الإعلان زرع الثقة في نفوس الرعية وتوحيد الصفوف لاستكمال بناء الدولة الإسلامية ومواصلة الفتح الإسلامي لنشر الرسالة . أما **في الخطبة البتراء** فإن زياد بن أبيه تعمد لغة التهديد والوعيد،

¹ ينظر محمد الاخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ، ص 96 .

² ينظر خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية ص 167 ، 168.

³ ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ص 78 .

⁴ ينظر خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية ص 170 .

⁵ -المرجع نفسه ، ص 170

3- ينظر: عماد عبد اللطيف ، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي ، مجلة الخطاب ، العدد 14 ، ص 208 وما بعدها .

لأنه رأى أنها الطريقة المناسبة التي تردعهم عن الفساد الأخلاقي و شق عصا الطاعة ، والغرض من وراء ذلك إحقاق البصرة بصفة نهائية و مكتملة بالحكم الأموي و طاعة الخليفة و ولاته أولاً ، وإظهار براعته و مقدرته في التسيير ثانياً. وفي خطبة داود بن علي فإنما حل محل بن أخيه الخليفة ، وغرضه من ذلك مواصلة ما بدأه الخليفة من شرح لسياسة بني العباس و تحليل سبب سعيهم للحكم و بيان شرعيتهم و أهليتهم له ، ثم لزرع الثقة في نفوس الرعية ولا سيما أهل الكوفة و تخصيصهم بالمدح والثناء ليكونوا خير سند في توطيد أركان الدولة الجديدة.

المبحث الثاني: أفعال الكلام في الخطب المختارة - دراسة نظرية و تطبيقية-

أولاً: الأفعال الكلامية: النشأة و المفهوم و التطور

1-النشأة: تعد نظرية الأفعال اللغوية إحدى أهم النظريات الفلسفية اللغوية التي ظهرت في منتصف القرن العشرين في إنجلترا، وهي وإن كانت اليوم تصنف ضمن موضوعات البحث اللساني الدلالي التداولي، فإن منشأها الأول على يد "جون لانجشو أوستن Austin، (1911.1960)" كان في أحضان الجدل والنقاش الفلسفي الذي ساد جامعة أكسفورد خلال الأربعينيات من القرن العشرين حول صلاحية اللغة العادية، باعتبارها أداة للتعبير عن القضايا الفلسفية والمنطقية، هذا النقاش الذي جاء كرد على متزعمي الدعوة إلى أطروحة اللغة المثالية¹ التي تتجنب عيوب اللغة العادية وتكون أكثر ملائمة للفكر الفلسفي، و على رأسهم "راسل" و "فتجنشتاين" لكننا عدلاً عن ذلك بعد نحو عشرين سنة واتجه فتجنشتاين إلى دراسة اللغة العادية حيث رأى أن وظيفة اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، لكن للغة وظائف عديدة كالأمر و الاستفهام والتمني و الشكر و التهنية و اللعن و القسم والتحذير ، وليست كما يعتقد بأن اللغة ي حساب منطقي دقيق فيا لكل

1 رضوان الرقيبي، النظرية التداولية المفهوم والتصور ، صحيفة المثقف ، العدد 3204 ،

<http://www.almothaqaf.com/a/b12-1/894407>

كلمة معنى محدد و لكل جملة معنى ثابت ، بحيث يكون الانتقال من جملة إلى أخرى بمراعاة قواعد الاستدلال المنطقي ، بل إن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استعمالها في الحياة اليومية ، و تتعدد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها ، فالمعنى عنده هو الاستعمال meaning is use و قد كان مذكوره فتجنشتاين بالغ الأثر في أوستين الذي تصدى للرد على فلاسفة الوضعية المنطقية في محاضراته المنشورة في كتاب how to do the thinks with words¹

تتعلق نظرية أفعال الكلام من مقولة "مالينوفسكي" التي مؤداها: "اللغة أسلوب عمل وليست توثيق فكر " ²«لقد أنكر "جون أوستين" أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم وصفاً يكون إما صادقاً وإما كاذباً وأطلق عليه المغالطة الوصفية، ورأى أن هناك نوعاً آخر من العبارات يشبه العبارات الوظيفية في تراكيبيها لكنه لا يصف وقائع العالم ولا يوصف بصدق ولا كذب، كأن يقول رجل مسلم لامرأته: "أنت طالق"، أو يقول: "أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان"، أو يقول وقد بشر بمولود: "سميته يحي" فهذه العبارات وأمثالها لا تصف شيئاً من وقائع العالم الخارجي ولا توصف بصدق أو كذب، بل إنك إذا نطقت بواحدة منها أو مثلها لا تنشئ قولاً، بل تؤدي فعلاً، فهي أفعال كلام، أو هي أفعال كلامية»³.

2-المصطلح والمفهوم: اعتبار الفعل الكلامي حدثاً: بما أن جون أوستين يعتبر التلفظ هو إنجاز لفعل و إنشاء لحدث .فهذا يعني أن الكلام هو فعل في الواقع، فعندما نتكلم نحن نؤدي أفعالاً لا مجرد أقوال ، ويسند هذه الفكرة فان ديك الذي يعتبر مفهوم الفعل الكلامي الإنجازي مأخوذ من مفهوم الحدث و هما مرتبطان بعلاقة وثيقة ، و يذهب فولفجانغ و ديتر فيهفجر في كتابهما مدخل إلى علم النص إلى القول الآتي: "تعد الأفعال الكلامية الإنجازية

¹ ينظر: أحمد محمود نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 41 ، 42

² عبد الرحمان بدوي، اللغة والمنطق في الدراسات الحالية، مجلة عالم الفكر، المجلد 2، العدد 1، 1971، الكويت، ص 69

³ - أحمد محمود نخلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 43

في الواقع وفق مفهوم الحدث أحداثا ، فنحن "نعمل شيئا" عندما ننتج سلسلة من الأصوات أو الحروف التي لها- بوصفها منطوقات لغة معينة- شكل عرفي يمكن معرفته ، و معرفة أثره ، كما أننا ننجز هذا العمل لقصد معين نتطلع إليه" ، فقولهما يكشف عن أن المنطوقات التي نتلفظ بها هي أعمال منجزة من قبل إنسان فاعل يبتغي غايات و أغراض معينة ، فلكل فعل كلامي: فعل لغوي "منطوق" وفعل أو غرض إنجازي و فعل تأثيري ، و نشير إلى أن الفعل الكلامي الإنجازي speech act الذي تنطلق منه نظرية أفعال الكلام مأخوذ من الإنجليزية التي تميز بين الحدث "act" و الفعل "verb" المؤشر أو الوسيلة اللغوية لإنجاز الحدث الذي يقاسم الإسم والحرف، و في اللغة العربية فمصطلح "الفعل" يعبر عن المعنيين معا يدخل فيه الفعل (الوسيلة اللغوية لإنجاز الحدث) كما يدخل فيه الفعل الذي هو "الحدث" ، وهذا ما نجده في تعريف الفعل : هو ما دل على حدث جرى في زمن معين : ومنه الماضي و المضارع و الأمر. فالعلماء العرب أشاروا قديما إلى هذا الارتباط والاقتران بين الفعل اللغوي والحدث¹ .

إن مشكل الترجمة من الإنجليزية التي تميز بين الحدث "act" و الفعل "verb" هو الذي جعل المصطلح العربي متعدد في ترجمة العبارة "speech acts theory" و رغم أن المصطلح فعل الكلام speech act ارتبط بأوستين، إلا أنه كما يقول سيرل: كان "مستعملا من قبل لغويين بنائيين -أمثال بلومفيلد bloomfield - في العقد الثالث من القرن العشرين ، غير أن معناه الحديث من إبداع أوستين"².

التعريف الاصطلاحي: يعرفه فان ديك في كتابه النص والسياق: "وما نعنيه بقولنا أننا نفعل شيئا متى ما صغنا عبارة معينة ، هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي كأن نعد وعدا ما و

¹ ينظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة -دراسة دلالية و معجم

سياقي، ص 11

² صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1993

، ص 184

نطلب و ننصح ، وغير ذلك مما شاع و ذاع أنه يطلق عليه أفعال الكلام ، ويطلق عليه على نحو أخص قوة فعل الكلام" ¹ يعرف دومينيك مانغونو الفعل الكلامي بقوله:"الوحدة الصغرى التي تحقق اللغة بفضلها فعلا بعينه(أمر، طلب ، تصريح ، وعد) غايته تغيير حال المتخاطبين"².

3-التطور: يمكن أن نقسم مسار تطور نظرية أفعال الكلام إلى مرحلتين رئيسيتين : تتمثل المرحلة الأولى في جهود أوستين في سبيل بناء و تأسيس نظرية أفعال الكلام ، والمرحلة الثانية تتجلى في جهود سيرل الذي بادر إلى سد النقائص السابقة التي تركها أستاذه سيرل، و اقترح بدائل و حلول جعلت النظرية أكثر نضجا حيث أخذت الأفعال الكلامية شكلا النهائي. وليكن سؤالنا: ما الذي فعله أوستين من جهود حتى نال ريادة مرحلة البناء و التأسيس؟

أ. **مرحلة بناء النظرية:**لقد تركزت معظم جهود أوستين في إطار نظرية المنطوقات الأدائية على محاولة التمييز بين المنطوقات التقريرية و المنطوقات الإنجازية داخل الجملة الخبرية منبها كذلك إلى ضرورة الاهتمام بالجمال الطلبية (الأمر ، النهي ، الاستفهام ...) ودراستها لأنها لا تخلو من معنى ، و قد ميز أوستين بين نوعين من الجمل:

الأفعال الإخبارية : وتصف وقائع العالم الخارجي و تحتمل الصدق أو الكذب

الأفعال الأدائية: وهي الأفعال التي يؤدي أو ينجز بواسطتها أفعال أو أعمال أثنا التلفظ بها حيث يقترن التلفظ فيها بإنجاز الفعل ، و منها : التسمية مثل : سميته يحي ، و الوصية: مثل: أوصي ببيع مالي لدار الأيتام ، و الاعتذار و النصح والوعد وغيرها ، وتتميز بكونها لا توصف بالصدق أو الكذب ، و إنما بالنجاح أو الفشل في إنجاز الفعل الكلامي و ذلك

¹ فان ديك، "النص والسياق" ، ص 263

² دومينيك مانغونو، "المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب"، ص 7

بمراعاة بعض شروط النجاح و هي قواعد تجعل الفعل الأدائي ناجحا في حال الالتزام بها ، أو غير ناجح في حال مخالفتها أو الإخلال بها .¹ ثم اتجه أوستين إلى تحليل المنطوقات الأدائية: وفيه يبحث عما يميزها عن غيرها من صور الكلام من خلال مقارنة المتضمن في المنطوق الأدائي مع المتضمن في المنطوق التقريري .² و في سياق سعيه الحثيث للتفريق بين المنطوقين التقريري و الأدائي اهتدى إلى معيار نحوي يتمثل في: صيغة المتكلم المفرد و زمن المضارع و الصيغة الإخبارية و حالة المبني للمعلوم . ثم تبين لأوستين أن هذا المعيار ليس نهائي لأسباب عديدة منها وجود منطوقات عديدة تخضع لهذه الصورة النحوية إلا أنها منطوقات تقريرية³ و لحل هذه المشكلة اتجه إلى تقسيم المنطوقات الأدائية إلى قسمين:

المنطوق الابتدائي(أولي):"إنني سأكون هناك" و غرضها الأدائي غير واضح تماما فقد يكون مقصودا أولا يكون كذلك

المنطوق الأدائي الواضح(صريح): "إنني أعد بأنني سأكون هناك" وهنا الغرض الأدائي صريح و واضح

و قد رأى أوستين أن هناك وسائل لغوية تستعمل لتوضيح الفعل الأدائي وهي: الصيغة الطلبية كالأمر و نغمة الصوت و الظروف و العبارات الظرفية و أدوات الربط ولواحق المنطوق كإتباعنا للكلمات بهز الرأس أو الكتفين أو العبوس و ظروف التلفظ بالمنطوق. غير أن أوستين لم يكن مطمئنا البتة إلى نجاح هذه الوسائل في إزالة الغموض ، فرأى أن صيغة الطلب مثل " إذهب و سنرى" قد تكون أمرا أو إذنا أو توسلا أو تحذيرا و غيرها⁴. ثم انصب تركيزه على الحالات الخلافية للمنطوقات الأدائية التي هي موضع شك بين تصنيفها ضمن

¹ ينظر: محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 42 ، 34

² ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، ص 154

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 158

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 162 وما بعدها

المنطوقات الأدائية أو التقريرية¹ ، وقد خلص "أوستين" إلى أن كثير من العبارات تظهر أنها وصفية لكنها لا تمت إلى ذلك بصلة و لا يمكن وصفها بالصدق أو الكذب وعندما ننطقها لا ننشئ قولاً بل نؤدي فعلاً و عليه فإن كل الملفوظات إنجازية. و بالتالي لقد تبين لأوستين أنه يتعدر التمييز بين المنطوقات الأدائية و التقريرية مكتشفاً أن لكل منطوق بعد أدائي بما فيه التقريري ليرجع إلى البداية و البحث في الطرق العديدة التي يكون فيها قول شيء ما هو فعل لشيء ما ، أو قي قول شيء ما نؤدي شيئاً ما، أو عن طريق قول شيء ما نؤدي شيئاً ما. وتلك طرائق متباينة لأداء الفعل ، الأول هو الفعل التعبيري و الثاني هو الفعل الغرضي و الثالث هو الفعل التأثيري. إن هذه الأفعال الثلاثة تقال لتكون تجريدات من الفعل الكلامي الكلي وهو الموضوع النهائي و الغرض الأساسي لدراسة أوستين²

و عليه يمكن القول أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد وهي:

أ- الفعل اللفظي (فعل القول Acte Locutoire): وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه³.

ب- الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول Acte Illocutoire): وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي، إنه عمل ينجز بقول ما و هو المقصود من النظرية برمتها⁴.

ج- «الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول Acte Perlocutoire): ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع، وقد فطن "أوستين" إلى أن الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام

1 ينظر: المرجع السابق، ص 167

2 ينظر: المرجع نفسه، ص 183

3- ينظر: أحمد محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ، ص 45.

4 -ينظر: المرجع نفسه ، ص 45.

إلا به، والفعل التأثيري لا يلزم الأفعال جميعا فمنها ما لا تأثير له في السامع، فوجه اهتمامه إلى الفعل الإنجازي حتى غدا أساس هذه النظرية فأصبحت تعرف به أيضا وتسمى أحيانا "النظرية الإنجازية"¹.

كما « قدم "أوستين تصنيفا للأفعال الكلامية على أساس من قوتها الإنجازية يشتمل على خمسة أنواع، ولم يتردد في القول بأنه غير راض عن هذا التصنيف:

- أفعال الأحكام: وهي التي تتمثل في الإعلان عن حكم يصدره قاضي أو حكم أو جهة محكمة

- أفعال القرارات (التمرسية): وتتمثل في اتخاذ قرار في إطار ممارسة السلطة والقانون كالإذن والطرذ والحرمان والتعيين ، مثل : أمر، قاد ، دافع عن ، أعلن عن بداية جلسة ، و أغلق ، و نبه ، و طالب .

- أفعال التعهد (الالتزام):وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء ما ، مثل : وعد ، تمنى ، التزم بعقد، و ضمن ، و أقسم .

- أفعال السلوك (السلوكيات): تتدرج تحت باب السلوك والأعراف المجتمعية و تكون رد فعل تجاه سلوك الآخرين أو تجاه حدث ما كالاعتذار والشكر والتهنئة و الترحيب والتعزية و الاحتجاج .

- أفعال الإيضاح (العرضية): وتستعمل لعرض مفاهيم و توضيح وجهات النظر مثل :أكد ، و أنكر ، وأجاب ، و اعترض ، و وهب ، و مثل و فسر ، و نقل أقوالا «².

¹ - أحمد محمود نحلة، المرجع السابق ، ص 46.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 46. و ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ، ص 62 ، 63

لكن بالرغم من أن ما قدمه أوستين لم يكن كافيا لوضع نظرية متكاملة لأفعال الكلام ، لكن كان كافيا ليكون الأرضية و الانطلاقة لتحديده عددا من المفاهيم الأساسية فيها¹، وهي كالآتي:

1 « تمييزه بين محاولة أداء الفعل الإنجازي ، والنجاح في أداء هذا الفعل

2 تمييزه بين ما تعنيه الجملة ، و ما قد يعنيه المتكلم بنطقها

3 تمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية و الأولي منها

4 تحديده للفعل الإنجازي الذي يعد مفهوما محوريا في نظرية الأفعال الكلامية²»

لقد ساعدت هذه المفاهيم وغيرها من الجهود الأخرى جون سيرل على إحكام وضع الأسس المنهجية و القواعد التي تقوم عليها نظرية أفعال الكلام .

ب .مرحلة نضج النظرية: (جهود سورل) إن ما قام به أوستين من جهود مضمّنية لم يذهب سدى فلقد أنشأ القاعدة الصلبة التي انطلق منها تلميذه "سورل" فعدل في نظرية الأفعال الكلامية و طور فيها ، ملحا على انقسام الفعل اللغوي والطابع الخاص الذي تنطوي عليه بعض الأفعال المسماة بـ "غير المباشرة" "indirects"³.

وفيما يلي موجز لأهم ما جاء به "سورل":

أولا- نص على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وأن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة يتكون هذا الدليل أو المؤشر من خصائص نحوية تتمثل في نظام بناء الجملة

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 47

² علي محمود الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة -دراسة دلالية و معجم سياقي، ص 50

³ ينظر: الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 25.

(خبرية أو إنشائية طلبية) ، ويتكون من خصائص صوتية نطقية كالنبر والتنغيم في اللغة المنطوقة، وعلامات الترقيم في اللغة المكتوبة، ومن خصائص صرفية معبرة عن صيغة الفعل ، ومن خصائص معجمية متمثلة في دلالات الأفعال. وبهذا يكون قد حول الاهتمام من الجملة كوحدة تحليلية أساسية عند البنيويين و التحويلييين إلى الاهتمام بالفعل الكلامي (الانجازي) عند التداوليين ، أي أنه نقل الاهتمام من الوحدة الصغرى للغة بوصفها نظاما ، إلى الوحدة الصغرى للكلام بوصفه أداءا و استعمالا اتصاليا.¹

ثانيا- "الفعل الكلامي عنده أوسع من اقتصاره على مراد المتكلم بل هو مرتبط أيضا مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي"². فلا يكفي التلفظ بالفعل دون مراعاة الجوانب المذكورة التي تكون سببا في نجاحه أو فشله

ثالثا- طور "سورل" شروط الملائمة عند "أوستين" فجعلها أربعة وهي: شروط المحتوى القضوي ، الشرط التمهيدي، شرط الإخلاص، والشرط الأساسي.

1- المحتوى القضوي: أن يكون للكلام معنى قضوي، وفي فعل الوعد مثلا يتحقق هذا الشرط إذا كان دالا على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه.

2- الشرط التمهيدي: ويتحقق في حالة أن المتكلم قادر على أن يؤدي الفعل ، لكن ليس من الواضح لكل من المتكلم و المخاطب أن الفعل سوف ينجز في ظروف طبيعية أو لا.

3- شرط الإخلاص: و يتحقق إذا كان المتكلم يريد حقا أن يؤدي الفعل بنية صادقة.

4- الشرط الأساسي: و تحققه مرتبط بسعي المتكلم التأثير في المخاطب لينجز الفعل.³

¹ ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص47 . و ينظر: علي محمود الصراف، في

البرجماتية، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، ص51

² محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص 47

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 48

رابعاً: أعاد "سورل" تقسيم الأفعال الكلامية وميز بين أربعة أقسام:

فعل التلفظ: وهو الفعل النطقي يشمل الجانب الصوتي و النحوي و المعجمي

الفعل القضوي: و يشمل المتحدث عنه أو المرجع و المتحدث به أو الخبر ولا يقع الفعل القضوي وحده و إنما يستخدم دائماً مع فعل إنجازي في إطار كلامي مركب لأنه لا يمكن أن تنطق بفعل قضوي دون أن يكون لك مقصد من نطقه.

الفعل الانجازي: (على نحو ما فعل أوستين).

الفعل التأثيري: (على نحو ما فعل أوستين).ولكن ليس له أهمية كبيرة عنده فهو يرى ليس بالضرورة أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما.¹

لقد عدل سيرل في تقسيم أفعال الكلام من ثلاثية إلى رباعية و قد مس التعديل الفعل اللفظي حيث فككه قسمين هما : الفعل اللفظي و الفعل القضوي و أبقى على التقسيم الثالث و الرابع كما ورد عند أوستين .أما الفعل التأثيري فقد توصل إلى ما قاله لأن الفعل الانجازي قد ينجح فيؤثر ، وقد يخفق فلا يكون له تأثير يذكر .

خامساً: التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة:

لم ينطلق سيرل من فراغ في هذا التمييز بل استفاد من تمييز أوستين بين الفعل الأدائي الصريح و الفعل الأدائي الأولي فتوصل إلى التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة و الأفعال الإنجازية غير المباشرة. فالفعل الإنجازي المباشر عنده ما طابق مراد المتكلم فيكون معنى ما يتلفظ به مطابقاً تاماً وحرفية لما يريد أن يقول (مطابقة القول للقصد) ، أما الفعل الإنجازي غير المباشر هو الذي يخالف مراد المتكلم ، فالفعل الإنجازي يؤدي على

¹ ينظر: علي محمود الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة -دراسة دلالية و معجم سياقي،

نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر¹، ويصل السامع إلى مراد المتكلم من خلال ما جاء به غرايس من "مبدأ التعاون الحواري"، و بما أسماه سيرل "استراتيجية الاستنتاج" inference strategy²، فلو قال المعلم لتلميذ وصل متأخرا: كم الساعة؟ فهذا فعل إنجازي غير مباشر معناه الحرفي اللفظي استفهام لكن مراد المتكلم(المعلم) هنا هو العتاب أو التوبيخ بطريقة مهذبة، وهذا ما يجعلنا نقول أن الفعل الإنجازي غير المباشر يتضمن معنيين: الأول حرفي ظاهري غير مقصود والثاني ضمني هو المقصود، فالمتكلم هنا يقول شيئا و يعني شيئا آخر كما أنه يبلغ المخاطب أكثر مما يقول، ولينجح الفعل الإنجازي تتم الاستعانة بالسياق اللغوي و غير اللغوي كالعرف و الثقافة و قدرات السامع على الاستدلال. «ويفترض "سورل" أن الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر يتم عبر سلسلة من الاستدلالات قوامها المعرفة المتقاسمة (اللغوية وغير اللغوية) بين المتخاطبين»³. ولاحظ "سورل" أيضا أن أهم البواعث إلى استخدام الأفعال الغير مباشرة هو التأدب في الحديث، هذا ويلاحظ بعض الباحثين أن كل الأفعال الكلامية أفعال غير مباشرة فيما عدا الأفعال الأدائية الصريحة فنحن نتواصل بها أكثر من توصلنا بغيرها⁴.

سادسا: توضيح الاختلافات بين الأفعال الإنجازية: حاول سيرل أن يبين الاختلافات و الفروق بين الأفعال الإنجازية و لاسيما تلك المتقاربة في الغرض الانجازي و هذا العمل اعتبره تمهيدا حتى يكون تصنيف الأفعال الكلامية خاليا من اللبس و الغموض، وهذه الأبعاد التي يختلف بها كل فعل عن الآخر هي:

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 55، 56

² محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 51

³ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية -مدخل نظري-، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2010، ص 31.

⁴ ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 51.

1-الاختلاف في الغرض الإنجازي للفعل أو في هدفه و غايته: كاختلاف غرض الأمر عن غرض الوعد والتعهد .

2-الاختلاف في اتجاه المطابقة بين الكلمات و العالم: و ينبه سيرل إلى أن اتجاه المطابقة يكون دائما نتيجة للهدف الغرضي ، و من هذه الاتجاهات:

أ. من القول إلى العالم: ويتحقق نجاح إنجاز الفعل في حالة تطابق محتواه القضوي مع واقعة حدثت في العالم الخارجي، كالإخبار عن واقعة ما أو وصفها.

ب. من العالم إلى القول: و يتحقق نجاح إنجاز الفعل في المطابقة في تغيير العالم لي مطابق المحتوى القضوي للفعل الإنجازي مثل فعل الوعد

ج. إتجاه المطابقة المزدوج: و يتحقق نجاح إنجاز الفعل في المطابقة في تغيير العالم لي مطابق المحتوى القضوي مع إمكانية تطويع المحتوى القضوي ليتلائم مع العالم.

د. إتجاه المطابقة الفارغ: وهنا لا توجد مشكلة في المطابقة لأن القول يقع مع افتراض حصول المطابقة مسبقا.

3-الاختلاف في الموقف النفسي الذي يعبر عنه المتكلم : يختلف الموقف النفسي على حسب الفعل الانجازي و الإخلاص في هذه الحالة ضروري للتعبير عن هذا الموقف الشعوري فالذي يأمر يعبر عن رغبته بأن ينجز السامع الفعل والذي يعتذر يعبر عن رغبة في الندم و هكذا

4-الاختلاف في القوة أو الدرجة التي يعرض بها الغرض الإنجازي: تشترك بعض الأفعال الإنجازية في تحقيق غرض إنجازي واحد و لكن بدرجات متفاوتة في الشدة والقوة مثل الطلب في : لو تذاكر فتنجح ، هلا تذاكر فتنجح ، لوما تذاكر فتنجح ، ففي المثال الأول كان الطلب برفق و لين و في المثالين التاليين كان الطلب بشدة و قسوة.

5-الاختلاف في أن يكون القول دائما فعلا كلاميا، و أن يمكن أن يكون فعلا كلاميا لكننا لسنا في حاجة إلى جعله كذلك: فهناك أفعال إنجازية لا تكون إلا بالتلفظ والنطق ، مثل : أدعو ، أجيب ، وهناك أفعال إنجازية يتم أداؤها عمليا دون كلام أو نطق مثل: استنتج ، أصنف .

6. الاختلاف في علاقة الفعل الإنجازية بسائر عناصر الخطاب و السياق الذي يقع فيه: فهناك أفعال تصلح للربط بين الملفوظات في الخطاب أو تربطها بالسياق المحيط مثل: إنني أجيب ، إنني أستدل ، فهي رابطة لأقوال سابقة بأقوال لاحقة و ببقية عناصر السياق

7-الاختلاف في الأفعال بين قابليتها للأداء الإنجازي و عدم قابليتها لهذا الأداء: بعض الأفعال الإنجازية قابلة للإنجاز بمفردها دون إضافة مثل: أعترض ، أوافق ، أعدك، وبعض الأفعال لا تنجز بالقول فقط مثل: أنا أقنعك ، أنا أفزعك

8- تأثير عناصر السياق: يختلف الفعل الانجازي عن غيره باختلاف عناصر السياق كالموقف النفسي والوضعية الاجتماعية و اهتمامات التخاطبين وعامل الزمان والمكان وغيرها من العوامل المحيطة¹.

سابعاً: تعديل التصنيف الخماسي للأفعال الإنجازية الذي قدمه أوستين:

قبل أن يقوم سيرل بتعديل التصنيف الخماسي لأوستين أبدى حوله بعض الملاحظات و نلخصها في الآتي:

¹ ينظر: علي محمود الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 56 ، 57 ، 58 ، 59

-لم يكن تصنيف أوستين على أساس منهجي واضح و إنما بحسب اعتبارات تختلف من صنف لآخر باستثناء أفعال التعهد والالتزام فقد صنفت على أساس منهجي واضح هو الغرض الإنجازي.

-وجود تداخل في التصنيفات أدى إلى اجتماع أفعال غير متجانسة في قسم واحد ووقوع فعل معين له معنى واحد في مجالين مختلفين مثل الفعل "صنف"الذي أدرجه أوستين في أفعال الأحكام و أفعال الإيضاح ، وهذا بسبب عدم وجود مبدأ واضح عنده.

-إن محدودية تصنيف أوستين وعدم شموليته أقصى بعض الأفعال الانجازيين من الدخول في ذلك التصنيف

-كان هدف أوستين من تصنيفه تحديد جنس الفعل إن كان كلاميا إنجازيا أم لا ، وهذا ما تسبب في عدم اتساق المجالات ، واعتبر سيرل أن تصنيفه حدد نوع الفعل و ليس جنسه ، فالأمر نوع و القسم نوع و كل منهما يجب تصنيفه وفق معناه.

تصنيف الأفعال الإنجازية عند "سيرل":

حاول سيرل أن يبني تقسيمه على أساس منهجي مستفيدا من أخطاء أستاذه ، فكان تصنيفه على أسس منهجية ثلاثة و هي الأبعاد الأساسية التي بها يمكن التمييز بين كل فعل إنجازي و آخر¹ وهي:

أ. الغرض الإنجازي (illocutionary point)

ب. إتجاه المطابقة (direction of fit)

ج. شرط الإخلاص (sincerity condition)¹

¹ ينظر: علي محمود الصراف، المرجع السابق، ص 59 ، 60 ، 61

و قد اقترح خمسة أصناف لها أيضا:

1- الإخباريات Assertives : غرضها الإنجازي : وصف المتكلم لواقعة ما ، وتسمى أيضا التأكيدات والأفعال الحكيمة وكلها تحتل الصدق أو الكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة ومنها : التباهي و الشكوى وأفعال مثل: لخص و استنبط ...

2- الأوامر (التوجيهات) Directives : و غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة ويدخل في هذا الصنف الأمر، النصح، الاستعطاف، التشجيع.

3- الالتزاميات Commissives (أفعال التعهد) حين يلتزم المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل ، و اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ، وشرط الأخلاص فيها هو القصد ويدخل فيها، الوعد، والوصية.

4- التعبيرات (البوحيات) Expressives و غرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسي بشرط الإخلاص ، و ليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة ، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم و لا العالم مطابقا للكلمات ويدخل فيه الشكر والتهنئة والاعتذار والمواساة.

5- الإعلانات (الإنجازيات) Déclarations أو (الإدلاءات) يتمثل أدائها الناجح في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي وتكون حين التلفظ ذاته، وتحدث تغييرا في الوضع القائم و تقتضي عرفا غير لغوي ، واتجاه المطابقة فيها مزدوج من الكلمات إلى العالم ، ومن

¹ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49

العالم إلى الكلمات فإن أدت مثلا فعل إعلان الحرب أداء ناجحا، فالجواب معلنة ، ولا تحتاج إلى شرط إخلاص¹.

4-نقد النظرية: هذا ورغم انتشار نظرية أفعال الكلام لدى "أوستين" و"سيرل" إلا أنها واجهت انتقادات من قبل بعض الباحثين مثل "دييثر وينديرليش" الذي لم يقتنع بتصنيفاتهما فهو يرى أن "الالتزامات" لا تكون نمطا عالميا لأفعال اللغة بل يعتبرها ردود فعل تجاه "أوامر"، و يرى أنه لا يوجد داخل التصنيفات الخمسة ل "سيرل" مكان للتنبيهات والعروض و القضايا والنداءات و الاستدعاءات مقترحا مقاييسه الخاصة لتصنيف أفعال اللغة² ، إن ما ذكره "دييثر وينديرليش" يقودنا إلى القول بأن نشأة النظرية بلغة معينة وهي الإنجليزية قد لا يجعلها تكون مطابقة تماما في تصنيفاتها لجميع اللغات فلكل لغة خصائصها و مميزاتها . كما انتقد اللساني ليتش Leitch هذه النظرية معيبا عليها في الأساس خلطها بين الفعل الوظيفي وبين الفعل الإنجازي³.

ثانيا: أفعال الكلام في الخطب المختارة-دراسة تطبيقية-

1-أفعال الكلام في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق:

يتضح من خلال التسمية أنها ليست مجرد كلمات أو أقوال نتلفظ بها ، و إنما نحقق من خلال ذلك التلفظ انجاز فعل ما ،كما أن لها تأثير على المخاطب فيجعله يقبل القيام بفعل ما أو يرفض ، أو يغير من قناعاته و اعتقاده...ويتم تحقيق نجاحها من خلال توفر بعض الشروط كتلك المرتبطة بنية المتكلم وقصده وفهم المخاطب وتأويله للكلام لأنها مرتبطة بعلاقة العلامات بمستعملها ومفسريها وهذا يدخل في صميم البحث التداولي، وقد ميز

¹ - ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 49 ، 50.

² - ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ، ص 69

³ رضوان الرقيبي ، صحيفة المثقف ، العدد 3204 ، 2015/06/14 - <http://www.almothaqaf.com/a/b12>

"سيرل" بين نوعين من أفعال الكلام ، وهي : الأفعال الإخبارية و الأفعال الإنجازية : الأمر والنهي والاستفهام... و البوحيات: كالمدح والذم والتعجب...¹.

الأفعال الإخبارية:

وهي أفعال تصف الواقع الخارجي و تنقل الأخبار و الأحداث و الوقائع ،و هي أفعال تحتمل الصدق و الكذب، و شرط الإخلاص فيها نقلها بأمانة وصدق التعبير ، و قد وردت أمثلة عنها في خطبة البيعة ومنها:

إني قد وليت عليكم: جملة إخبارية، الغرض الإنجازي فيها تقرير وتأكيد ولاية الصديق لحسم مسألة الخلافة نهائيا بعدما شابها جدل و نزاع ، و تتضمن غرضا غير مباشر من ورائها هو دعوة الرعية إلى الامتثال للإجماع و قبول الأمر و ما يترتب عنه من حسن التعاون و طاعة ولي الأمر من أجل التفرغ لبناء الدولة و مواجهة الأعداء و المرتدين و تسيير شؤون الرعية ، وهذا ما يلائم فعل الإنجاز المناسب للتغيير والتجديد، واتجاه المطابقة فيه من الكلمات إلى العالم حيث يسعى المتكلم لتمثيل كلماته العالم الخارجي من خلال ممارسة مهامه في هرم السلطة ، و شرط الإخلاص في الفعل نقل الواقعة بأمانة و صدقه في التعبير عنها.

ولست بخيركم: الغرض الإنجازي في الفعل الإخباري هو الوصف، حيث ينفي الخطيب أفضليته المطلقة على سائر الصحابة، و قصده من وراء ذلك تأكيد سلامة نيته و إبعاد الشكوك عن كونه كان يسعى للحكم أو أنه يعتقد في نفسه أنه الأجدر والأولى بالخلافة، وهنا كما نرى كلام "الصديق" يؤدي إلى التأثير في المخاطب من خلال إنشاء قناعة لديه او تثبيتها أو تغييرها ، وهذا من صميم الأفعال الإنجازية، و نجاح الفعل مرتبط بشرط الصدق

1 -ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ،دار التنوير ، الجزائر ، ط 2 ، 2020 ص 95 ، 96

في التعبير و باتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم ، وذلك يتمثل في سعي الخطيب ليجعل منطوقه موافقا للواقع الخارجي .

الصدق أمانة و الكذب خيانة: و غرضها الإنجازي تقرير حقيقة ثابتة، والمقصود هو الحث على التزام الصدق والحذر من الكذب، وهنا دعوة للسامعين من أجل حثهم على انتهاز سلوك خلقي قويم يتم من وراءه تحقيق السعادة لهم ، وكما هو واضح فنجاح الفعل متعلق بمدى تماثل الكلمات مع الواقع مع الأخذ في الحسبان التعبير الصادق.

إن شاء الله: جملة إخبارية غرضها الإنجازي تقرير حقيقة راسخة ثابتة وهي أنه لا حركة ولا سكون إلا بمشية الله عز وجل ، وتدل العبارة على إظهار عجز الخطيب و البشر كافة أمام مشيئة الله ﷻ ، والاعتراف بالعجز مؤشر على النية الصحيحة للاجتهاد و العمل .

لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل و لا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء: عبارة تقريرية وصفية تتضمن التحذير و التهديد والوعيد لمن يتخلف عن الجهاد ، والجملة الثانية تتضمن التحذير كذلك من نشر الفاحشة .

الالتزاميات Commissives: و غرضها الإنجازي أن يلتزم فيها المتكلم ويتعهد بإنجاز ما قطعه على نفسه أمام السامع المستقبل مع صدق النية والقصد وتوفر شروط تحقيق الوعد ، فإذا التزم بمساعدة المحتاجين فعليه أن يجعل الواقع يتماثل مع ملفوظه مثلا ومما ورد منها في الخطبة نجد:

الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه: يتمثل الغرض الإنجازي في أن الخطيب يقطع على نفسه وعدا مبينا هو أنه سينصر الضعيف ولن يميز في تطبيق العدل بين الأقوياء والضعفاء، واتجاه المطابقة هنا من العالم إلى الكلمات، و شرط الإخلاص هو القصد ، فشروط أداء الالتزام موجودة من زمن المستقبل و ضمير المتكلم و القدرة على نصره الضعيف باعتبار المتكلم حاكما يمكنه

تطبيق ذلك ، فلو صدر الوعد من أحد الرعية فإن إنجاز الوعد سيفشل لاختلال شرط المطابقة وعدم القدرة، و الهدف الذي يرمي إليه الخطيب هو توضيح السياسة المنتهجة من قبله و تعزيز الثقة في نفوس الرعية و دفع القلق عنهم.

فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم: الغرض الإنجازي هو تعهد الخطيب بعقد معاهدة أخلاقية فيها التزام من الطرفين : فمن جانب المتكلم عليه بالحكم بما أنزل الله و أن يسير في الرعية بسيرة رسول الله ﷺ ، ومن جانب المخاطبين (الرعية) الطاعة للخليفة إن التزم بوعده و معصيته إذا خالف التزامه ، فلذلك نجد أن نجاح هذا الفعل يقتضي سعي المتكلم ليطابق العالم كلماته كشرط للمطابقة إضافة إلى شرط الإخلاص وهو قصده من قوله.

التوجيهات Directives : وتسمى الطلبات و هي أفعال تتضمن طلبا غرضها الإنجازي حث المخاطب وحمله أو توجيهه لفعل شيئا ما نحو:

أيها الناس: الغرض الإنجازي لفعل النداء هو طلب المتكلم من السامعين الانتباه و الإصغاء ، وهو فعل مباشر ، اتجاه المطابقة فيه من العالم على الكلمات .

إن أحسنت فأعينوني و إن أسأت فقوموني: فعلا الأمر: "أعينوني" و "قوموني" فعلا إنجازيان مباشران يطابق معناهما اللفظي مراد المتكلم الذي يمتلك الرغبة الصادقة في ذلك ، وشرط المطابقة فيهما من العالم إلى الكلمات ، فنجاح الفعلين مرتبط بمدى تجاوب الرعية مع طلبه، أي السامعين الذين يوجه لهم الخطاب الذين من المنتظر أن يؤثر فيهم القول بالقبول أو الرفض.

أطيعوني ما أطعت الله و رسوله : الغرض الإنجازي للفعل هو توجيه المتكلم المخاطبين وحثهم على طاعته بصفته ولي أمرهم ، ونجاح فعل الطاعة مرتبط بشرط اتجاه المطابقة من العالم الخارجي ليمثل الكلمات ، وبشرط الإخلاص المتمثل في الرغبة الصادقة في ذلك،

ويكون تنفيذ الفعل في المستقبل ، و الدلالة التي يتحول عنها الأمر هنا هي الوعد ، أو التعهد الذي أراده الخليفة أن يكون معاهدة تعقد بينه وبين الرعية ، و يلزم إنجازها الأطراف المتعاهدة،و مضمونها طلب الخليفة من الرعية طاعته فيما يرضي الله عز وجل فإذا رأت منه معصية فهي في حل من طاعته ولاشيء عليها من العقوبة.

قوموا إلى صلاتكم : فعل أنجزي مباشر بحسب وصف "سيرل" وفيه يكون قول المتكلم مطابق لما يعنيه و هنا لا يقصد غرضاً آخر من وراء هذا الأمر إلا قوله: و هو طلب القيام إلى الصلاة ، واتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات .

يرحمكم الله: الغرض الإنجزي طلب موجه من العبد إلى رب العزة ﷻ ، و هو فعل غير مباشر يتضمن الدعاء، و يختص بأنه ينجز في المستقبل و لا يمكن وصفه بالصدق أو الكذب و شرط الإخلاص فيه النية الصادقة في الطلب.

2-أفعال الكلام في الخطبة البتراء لزياد بن أبيه:

الأفعال الإخبارية:

فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغَيّ الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم و **يشتمل** عليه حلماؤكم من الأمور العظام: تتضمن العبارة الإخبارية تقريراً عن حال أهل البصرة و غرضها يتمثل في التحذير من عواقب الفسق المؤدي إلى النار بسبب الجهل و الغي و الضلال، و شرط المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم فنجاح الفعل مرتبط بتغير سلوكاتهم و أعمالهم ، و شرط الإخلاص يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها.

ينبت فيها الصغير و **لا يتحاشى** عنها الكبير: في العبارتين فعلاّن إخباريان تقريريان يصفان الحالة التي عليها أهل البصرة لكن لم يوظفهما الخطيب لمجرد الوصف والإخبار بل

لغرض التوبيخ ، و نجاح هذا الفعل الإنجازي مرتبط بمدى مطابقة الكلمات للواقع ، و مدى إخلاص المتكلم في النقل الأمين للواقعة و صدق التعبير عنها.

كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدى الذي لا يزول: الفعل الإخباري الوصفي المسبوق بالنفي غرضه الإنكار و التهديد ، فالخطيب يستنكر معرفتهم بكتاب الله عز وجل و مخالفتهم له مع معرفتهم بالثواب و العقاب، و هذه الصيغة وردت توظيفها في التهديد في قصيدة ميمية لبشار بن برد في هجاء الخليفة أبي جعفر المنصور:

كأنك لم تسمع بقتل عظيم متوج ولم تسمع بفتك الأعاجم

أما الفعل الإخباري الوصفي "لم تسمعوا" فله نفس الغرض المذكور وهو الإنكار و التهديد بالعقوبة التي تنتظر أهل الفسق و الفجور ، أما الفعل "لا يزول" فهو إخباري تقريرى غرضه تقرير حقيقة أبدية الزمن بعد البعث .

قربتم القرابة و باعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر و تغضون على المختلس: أفعال تقريرية تصف ما عليه أهل البصرة من الغي و مجانبة الرشد ، و جهة المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم ، و شرط الإخلاص نقل الواقعة بأمانة وصدق ، و قد وردت صيغ الأفعال في الماضي والمضارع للدلالة على أن ضلالهم و إن بدأ في الماضي فإنه مستمر في الحاضر ، والغرض منها هو المطالبة بالكف عن ضلالهم وغيهم .

كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ؟ صنيع من لا يخاف عاقبة و لا يرجو معادا : في العبارة تقرير و وصف للحالة التي أضحى عليها هؤلاء من الدفاع عن السفهاء ونسيان من ينتظرهم من عقاب الله عز وجل لهم، والغرض منها هو التوبيخ، و شرط المطابقة يتمثل في محاولة المتكلم أن يجعل كلماته تطابق الواقع الخارجى مع الالتزام بالأمانة و الصدق.

ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء:تدخل العبارتان في الوصف والتقدير ، و الغرض المقصود هو التوبيخ ، و نلاحظ أن الخطيب يستمر في توظيف التقرير الذي يفيد التوبيخ ، لأنه رأى فيه الطريقة المناسبة لفضح سلوكهم حتى يهيا الأمر لسياسة جديدة يعدها لهم مغايرة لما اعتادوا عليه.كالحديد الذي يقوم بتسخين الحديد أو أي معدن آخر في درجة عالية ليسهل عليه تشكيله من جديد في صور و قوالب مختلفة.

فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ثم اطرقوا وراءكم كنوسا (أشخاص مشبوهين) في مكانس (أماكن) الريب (أي التهم): في العبارات غرض إنجازي يتمثل في تقرير ووصف لحالة أهل البصرة من التخاذل في نصرة الحق ورد الظلم حتى بلغ السيل الزبى من انتهاك حرمة الإسلام ، وغرض الخطيب من هذه الأفعال الخبرية توبيخهم على ما بدر منهم.ونجاح الفعل الإنجازي يكون في مماثلة ملفوظ المتكلم للواقع الخارجي مع التزام النقل الأمين الصادق.

وقد كانت بيني وبين أقوام إحنٌ (كراهية وخصومة) فجعلت ذلك دبر أدني وتحت قدمي: جملة إخبارية وصفية و فيها يخبر الخطيب السامعين بما كان بينه و بين مبغضيه ، وغرضه من نقل الخبر إليهم التأثير عليهم بعد أن يعلموا أن بغضهم له لن يثنيه عما هو قادم لأجله ، واتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم ، فتطابق قوله مع الواقع وصدق تعبيره هو معيار نجاح الفعل.

فرب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سيبتئس: وصف وإخبار غرضه أنه يحمل رسالة مزدوجة:رسالة أمل و اطمئنان ، و رسالة وعيد وتهديد ، فالأمل للبعض الذي سيجد الخير في قدوم الوالي الجديد وهو يتوجس خيفة من مقدمه ، و التهديد للبعض الآخر الذي سر لاعتقاده أنه مثل سابقه من الولاة الضعفاء وأن الوضع المضطرب سيبقى على ما هو عليه.

إننا أصبحنا لكم ساسة وعنكم زادة: الغرض الانجازي للجملة الإخبارية إلقاء الخبر و تقرير واقع جديد ، والغرض من وراء ذلك هو الإعلان الرسمي عن تنصيب الوالي الجديد بقرار من الخليفة ، ونجاح الفعل مرتبط بسعي المتكلم ليجعل الواقع مطابق لكلماته.

التوجيهات **Directives**: وفيه يتم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين من قبل المتكلم، و من أمثلتها:

أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية علي الباقية؟ و لا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركم الضعيف يقهر و يؤخذ ماله؟: فعل طلبي توجيهي بصيغة الاستفهام و هو إنجازي غير مباشر يخالف معناه اللفظي مراد المتكلم و غرضه الإنكار و العتاب ، و اتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات ، و شرط الإخلاص الرغبة الصادقة .

هذه المواخير المنصوبة ؟ والضعيفة المسلوقة في النهار المبصر والعدد غير القليل؟: وردت هذه الأفعال في جمل معطوفة على جمل استفهامية ، و هي سلسلة تساؤلات يستنكر من خلالها الخطيب الوضع الذي عليه أهل البصرة و غرضه الإنكار والعتاب و التوبيخ كذلك، يتحقق نجاح الفعل فيها بمدى مطابقة الواقع الخارجي لكلمات المتكلم و رغبته الصادقة.

ألم يكن منكم نهاءً تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار؟: تدخل هذه العبارة الاستفهامية في نفس سلسلة الأفعال الإنجازية غير المباشرة ولها نفس الغرض السابق (الإنكار والتوبيخ)، فالخطيب كما يبدو في قمة الغضب فلم يكتف من الاستفهام الإنكاري بعد و هذا يتناسب مع حجم الجرم الذي وجدهم عليه.

فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في، و اعلموا أن عندي أمثالها:في العبارتين فعلان أمریان توجيهيان يحث المخاطب فيهما السامعين على أن يعدوا عليه كذبه والغرض هو تحديدهم لأنه

وعدهم بأنه سينفذ ما يقول فإن لم يفعل فهي بمثابة الكذبة التي لن يستطيعوا إيجادها. واتجاه المطابقة فيهما من العالم إلى الكلمات إذ أن نجاح الفعل الإنجازي مرتبط بقبولهم التحدي و شروعهم فيه .

فياي و دلج الليل: الغرض الإنجازي هو توجيه المخاطبين إلى التزام الحذر من الخروج ليلا بعد صلاة العشاء ، وغرضه من ذلك إرساء قواعد السلم والأمن ، وهو كما نرى ليس مجرد قول و إنما إنجاز وأداء لعمل ، واتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات ، فنجاح هذا الفعل الإنجازي مرتبط بمدى تطابق الواقع مع الكلمات ، و شرط الإخلاص فيه الإرادة الصادقة في التطبيق.

وايادي ودعوى الجاهلية: فعل الطلب والتوجيه ، فالخطيب يحاول أن يوجه المخاطبين إلى فعل شيء معين وهو ترك عادات الجاهلية ، وغرضه من ذلك نشر السلم و الأمن ، و ينتظر أن يؤثر في المخاطبين بالرفض أو القبول. ذلك أن نجاحه متعلق بمماثلة العالم للكلمات .

فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا، ومن كان منكم مسينا فلينزِع عن إساءته: حوت العبارة فعلا إنجازيان مباشران هما الأمر في " فليزدد" و " فلينزِع"، غرضهما الإنجازي حث المخاطبين على الزيادة في الخير والإحسان و ترك الشر و الإساءة، و وجه تأثير الفعل عليهم هو التجاوب مع دعوة المتكلم أو رفضها تماشيا مع مطابقة العالم للمحتوى القضوي المعبر عنه بالفعلين الإنجازيين .

فاستأنفوا أموركم ، و أعينوا علي أنفسكم: فعلا توجيهيان طلبيان فيهما توجيه من المتكلم للمخاطبين بمواصلة أعمالهم بصفة طبيعية و أن يساعدوا أنفسهم بأن لا يخالفوا القوانين و القرارات ، و غرضهما التداولي الحث على السمع و الطاعة، واتجاه المطابقة فيهما من العالم إلى الكلمات والتزام الرغبة الصادقة.

أيها الناس: فعل إنجازي مباشر يطابق لفظه معناه ، وفيه يتوجه بدعوة المخاطبين من أجل لفت انتباههم لما سيقوله و شرط الإخلاص الرغبة الصادقة للمتكلم.

فادعوا الله بالصالح لأئمتكم ،فإنهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذي إليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا :فعل إنجازي مباشر يطلب المتكلم فيه من المخاطبين أن يدعوا لأئمتهم وساستهم فبصالحهم يستقيم حال الرعية وتأثير الفعل يتجلى في قبول أو رفض المخاطب لما طلب منه ، فالمطابقة تكون من العالم إلى الكلمات مع صدق المتكلم و بهذا يتم نجاح الفعل.

ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا له حاجتكم : فعل إنجازي مباشر و فيه يطلب الخطيب من السامعين أن لا يملئوا قلوبهم بغضا لساستهم و أئمتهم حتى لا يطول كمدهم و حزنهم ، وشرط الإخلاص فيه رغبة المتكلم الصادقة كما أن نجاح الفعل مرتبط بمدى مطابقة العالم للكلمات فبدون تجاوب الرعية لا يتحقق نجاح الفعل.

أسأل الله أن يعين كلا على كل: فعل إنجازي غير مباشر غرضه هو دعاء من المتكلم و طلبه من الله عز وجل أن يعين الراعي و الرعية على بعضهما من أجل المصلحة العامة.وشرط الإخلاص فيه رغبة الخطيب الصادقة ، واتجاه المطابقة فيه من العالم الخارجي إلى الكلمات فبحسن التجاوب بين الراعي و الرعية يتحقق نجاح الفعل .

وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على إذلاله (أي علي حاله): فعل إنجازي مباشر فيه توجيه من المتكلم للمخاطبين و حثهم على تنفيذ الأوامر كما هي دون تغيير، وفي ذلك مصلحة يراها الوالي مفيدة للطرفين.و نجاح الفعل مرتبط بالسامع ومدى تجاوبه لأن اتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات مع الرغبة الصادقة.

و أيم الله إن لي فيكم لصرعى (قتلى) كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي:
في العبارة فعلا نإنجازيان هما: القسم والأمر و غرضهما التهديد والوعيد،و نجاح الفعل
الإنجازي هنا مرتبط بمدى تجنب الرعية للجرائم المستوجبة للقتل ، فاتجاه المطابقة من العالم
الخارجي إلى الكلمات ، وشرط إخلاص المتكلم رغبته و إرادته الصادقة في تنفيذ الفعل.

الالتزاميات **Commissives**:وهي أفعال يلتزم فيها المتكلم بإنجاز فعل ما مع مراعاة
شروط نجاح الفعل الذي يتحقق في الحاضر أو المستقبل و توفر النية والقصد و مراعاة
الظروف الملائمة للإنجاز قبل التلفظ بالفعل ، فشرط المطابقة فيها من العالم على الكلمات.
و من أمثله:

نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، و نذود عنكم بفيء الله الذي حولنا: في العبارتين التزام
من الخطيب الوالي بإتباع شرع الله مع ملاحظة أنه جعل نفسه منصب بتفويض إلهي
ليضفي نوعا من القداسة على سلطته و غرضه التأثير في الرعية و جعلهم يلتزمون بالسمع
والطاعة،و نجاح الفعل يكون بتمائل الواقع للكلمات مع شرط الإخلاص المتمثل في قصد
المتكلم.

حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماء وإحراقا: الوعد صادر من المتكلم
نحو جماعة المخاطبين يتوقع حدوثه في الحاضر أو المستقبل القريب والنية والعزم متوفر
في المتكلم لأنه في موقع لا يمكن له المزاح أو التلاعب ، و الظروف الخارجية لإنجاز
الوعد متوفرة باعتبار المتكلم هو الوالي الذي يصدر الأوامر وله القدرة على التأثير فيهم
لتحقيق التغيير الجذري الذي وعد به، وشرط المطابقة هو من العالم ليطباق الكلمات مع
الإخلاص في القصد.

واني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والمطيع بالعاصي
والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول: (انج سعد فقد هلك

سعيد)، أو تستقيم لي قناتكم. (أي تسيروا علي الطريق المستقيم):فعل التعهد والالتزام يتمثل في القسم والوعد الصريح من المتكلم الخطيب بتطبيق سياسته الجديدة المبنية على الشدة و هو في وعده مدرك أن لديه الشروط الخارجية لنجاح الفعل،و شرط الإخلاص قصده، والغرض منه امتثال الرعية للسمع و الطاعة، ونجاح الفعل مرهون بسعي المتكلم ليجعل العالم الخارجي مطابق لكلماته .

فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي: في العبارة تعهد من الخطيب يتحقق في المستقبل، وهو معاهدة بينه وبين السامعين مفادها إن رأيتموني أقول ولا أنفذ فعندئذ حلت لكم مخالفة أوامري، وهو في تعهده يعرف في قرارة نفسه أنه سيعمل بكل قوته من أجل تنفيذ أقواله لضبط أحوال البلاد المتردية ، وقد نجح في ذلك فجرد السيف و عاقب لمجرد الاتهام وقتل لمجرد الظن حتى خافه الناس خوفا شديدا وتحقق الأمن بينهم¹، فاتجاه المطابقة من العالم على الكلمات عامل لنجاح للفعل ،و الغرض المقصود هو التحدي.

من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه: وظف الخطيب اسم الفاعل وهو يريد به الفعل "أضمن" فعل الوعد والالتزام بإرجاع من اعتدي على أملاكه وهو فعل إنجازي يستوفي شروط نجاحه من قصد المتكلم و جهة المطابقة من العالم على الكلمات و الخطيب يملك المسؤولية التي تخول له تحقيق التزامه، والغرض منه نشر الطمأنينة و الشعور بالأمان لدى المخاطبين.

فاني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه وقد أجتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم : وعد من المتكلم بسفك دم من يخالف أمره القاضي بمنع التجول في الشوارع بعد صلاة العشاء ، وكان يعتمد الإطالة فيها و تأخيرها ويترك بعدها مهلة من يذهب إلى أقصى البصرة ثم يأمر رجل الشرطة بالخروج ، ولا يرى إنسانا بعد ذلك إلا قتله²، وغرضه

1 ينظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج 2 ، ص 259

2 ينظر: المرجع نفسه ، ص 259

تخويف الناس لإرجاع الأمن للبلدة.ونجاح الفعل متحقق باتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص قصده من قوله.

فأني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه: التزام و وعد من المتكلم بمعاقبة من عاد إلى دعوى الجاهلية، وشروط تحقيق الفعل وإنجازه متوفرة من الزمن الحاضر والمستقبل للفعل و الفاعل المتكلم والظروف الخارجية المتمثلة في الكفاءة والقدرة على العقوبة ، فالوعد صادر من الوالي، و الغرض منه نشر الأمن بين الناس.

وقد أحدثتم أحداثا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن عرق قوما عرقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه حيا فيه: تظهر أفعال التعهد كما هو مبين وتكون بين المتكلم و المخاطب ، و تتجز في المستقبل ، و اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وغرضها بث الرعب و الخوف.و قد استطاع الوالي أن يحقق هدفه من وراء هذه التهديدات وهو نشر الأمن والسلم في البصرة.

فكفوا عني أيديكم وألسنتكم اكفف عنكم يدي ولساني: فعل تعهد بين الطرفين من أجل تحقيق الأمن والسلام بأن لا تفعل الرعية ما يستوجب العقاب و إذا اختل تنفيذ الشرط الأول لا يتحقق الثاني.ينجز الفعل في زمن المستقبل ، وشرط المطابقة من العالم إلى الكلمات مع توفر القصد.

و لا تظهر على أحد منكم ريبة (شبهة) بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه: فعل وعد من الخطيب بقتل من خالف اتفاق العامة ولو بالشبهة ، وشروط نجاح الفعل متوفرة من اتجاه المطابقة من العالم على الكلمات، فاتقاء الشبهات من قبل العامة أو عدم اتقائها هو معيار نجاح الفعل الإنجازي أو إخفاقه مع توفر شرط الإخلاص و هو سلامة قصد المتكلم ،وغرضه من ذلك الحرص الشديد في فرض الأمن.

إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا و لم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته ، فإذا فعل ذلك لم أنظره: التزام و تعهد من الخطيب بأن لا يعاقب و لا يأتي جهة من يضمر له العداوة إلا إذا جاهر و صرح بها ، والغرض منها زرع التهذئة و الاطمئنان في النفوس بعد سيل من التهديد والوعيد ، وكأنه يضارع سياسة معاوية بن أبي سفيان - في ما يعرف ب(شعرة معاوية)- التي تقوم على اللين والشدّة معا. و نجاح الفعل مرتبط ببرد فعل المخاطبين تماشيا مع مطابقة العالم للكلمات.

فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولىنا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا: التزام و تعهد من الوالي الخطيب بالعدل و الإنصاف شرط السمع والطاعة وهي معاهدة يشترك فيها المتكلم و جماعة المخاطبين تتجزئ في المستقبل و شرط المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات مع شرط الإخلاص المتمثل في سلامة قصد المتكلم ، بهذه الأبعاد يتحقق نجاح هذا الفعل الإنجازي .

واعلموا إني مهما قصرت فلن أقصر لثلاث : لست محتجبا عن طلب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل، و لا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانة، ولا مجبرا لكم بعثا (أي لا يبقي الجيش في أرض العدو في غير زمن الغزو). وعد من الخطيب والتزام بتحقيق و إنجاز الأفعال المذكورة. والغرض من وراء ذلك تعزيز سياسة التهذئة و كسب ثقة الرعية، ونجاح الفعل مرهون بما يكشف عنه الواقع فاتجاه المطابقة من العالم الخارجي إلى الكلمات إضافة إلى سلامة القصد.

الإعلانات (declarations) أدائها الناجح في ممانثلة محتواها القضوي للواقع الخارجي، ومثالها في هذه الخطبة:

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين في غير ضعف، و شدة في غير عنف: فعل اتخاذ القرار واضح في هذه العبارة الذي هو إعلان عن سياسته الجديدة

وهي المزج بين اللين والشدّة. وحرصها الإنجازي إحداث تغيير في سلوك الرعية، بحيث يطابق المحتوى القضوي المعبر عنه بالفعل الانجازي العالم الخارجي بمجرد الأداء الناجح للفعل ، واتجاه المطابقة فيها مزدوج قد يكون من الكلمات إلى العالم أو من العالم إلى الكلمات و لا تحتاج شرط الإخلاص سوى أن الفعل ناجح.فبمجرد إعلان الخطيب عن هذه السياسة فقد دخلت حيز التنفيذ ، فنجاح الفعل هنا هو الأداء الناجح له.

3-أفعال الكلام في خطبة داوود بن علي بن عبد الله بن العباس:

الأفعال الإخبارية :

الآن أقشعت حنادس الدنيا ، و انكشف غطاؤها، و أشرقت أرضها وسمائها، و طلعت الشمس من مطلعها، و بزغ القمر من ميزغه ، و أخذ القوس باريها ، و عاد السهم إلى النزعة و رجع الحق إلى نصابه،في أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم: وظف الخطيب في هذه التراكيب أفعال الوصف والإخبار، فهو في مقام وصف الوضع الجديد المتمثل في انتقال الخلافة إلى بني العباس ، و غرضه من هذا بيان عودة الحق إلى أهله حسب اعتقاده ، و لإدخال السرور على أنصارهم في الكوفة.ونجاح هذه الإفعال الإنجازية متمثل في تلائم الملفوظ مع الواقع ، فاتجاه المطابقة من الكلمات إلى العالم، و شرط الإخلاص النقل الأمين للواقعة ولتعبير الصادق عنها.

إنا والله ما خرجنا لهذا الأمر لنكثر لجينا و لا عقيانا، ولا نحفر نهرا ولا نبني قصرا، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا ، و الغضب لبني عمنا، و ما كرثنا من أموركم ، و بهظنا من شئونكم :وظف الخطيب أفعال إخبارية يقرر فيها حقيقة خروج العباسيين على الأمويين الذي كان بسبب استرجاع الحق في الخلافة و رد الظلم الواقع على العلويين و المواليين لثورتهم ، نافيا أي مطمع دنيوي آخر ، و الغرض منها هو توضيح سبب الثورة لتكون الرعية على بينة ولترداد مؤازرتهم لبني العباس بما عرفوه من معلومات، واتجاه المطابقة من

الكلمات إلى العالم فتاسب ملفوظ الخطيب وصدق تعبيره مع الواقع هو ما يجعل هذه الإخباريات ناجحة.

آثروا العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام وظلموا الأنام، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي، جهلا منهم باستدراج الله، وعميا عن أخذ الله، وأمنا لمكر الله، فأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق: في العبارات أفعال إخبارية وصفية غرضها الإنجازي إلقاء الخبر و ووصف بني أمية بأعمالهم و أفعالهم مع علم المتكلم بأن المخاطبين يعرفون هذا الأمر لكنه يخبرهم ليبين لهم أنه على اطلاع كذلك ، وهذا خبر لازم الفائدة ، وغرضه تشويه صورة بني أمية و تلطيف صورة العباسيين باعتبارهم المخلصين الناس من ظلمهم ، و اتجاه المطابقة في هذه الأفعال من الكلمات إلى العالم ، و شرط الإخلاص النقل الأمين للأحداث و صدق التعبير .

و أدالنا الله من مروان وقد غره بالله الغرور: تقرير و وصف يقرر من خلاله المتكلم أمر حصل ، ويصف عدوه بالغرور ، والغرض من وراء ذلك تأكيد تولي بني العباس للحكم و تشويه بني أمية ، ونجاح الفعل الإخباري مرتبط بشرط المطابقة من الملفوظ إلى الواقع و شرط الإخلاص قي صدق التعبير و نقل الواقعة بأمانة.

أرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه، فظن عدو الله أن لن نقدر عليه:

غرض الفعل الإنجازي الإخبار و وصف حالة العدو بالضعف و عد تمكنه من مقارعة سيوف العباسيين ، والغرض منه إظهار قوة بني العباس و شدة بطشهم بعدوهم ، ويتجلى نجاح الفعل الإنجازي في سعي المتكلم ليجعل كلامه مماثل للواقع مع نقله للواقعة بأمانة وصدق في التعبير عنها.

فنادى حزبه وجمع مكائده ، ورمى بكتائبه، فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه و شماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله، ومحق ضلاله، وجعل دائرة السوء به: أفعال إخبارية يصف فيها المتكلم هزيمة العدو أمام قوة العباسيين ، وغرضه إظهار شدة قوة بني العباس ، و اتجاه المطابقة فيه من الكلمات على العالم مع صدق التعبير و التزام الأمانة في نقل الواقعة.

وأحيا شرفنا وعزنا، ورد إلينا حقنا وإرثنا: فعان إخباريان غرضهما الإنجازي وصف الخبر من خلال قضية استرجاع شرف بني العباس وذلك باسترجاع حق الخلافة ، وهو خبر يحتمل الصدق و الكذب كسائر الإخباريات ، والغرض من وراءه التأكيد على شرعية العباسيين في الخلافة كحق و كإرث استردوه بعد اغتصابه . ونجاح الفعل مرتبط بمماثلة الكلمات للعالم و التزام الصدق في التعبير.

إن أمير المؤمنين -نصره الله نصرًا عزيزًا-، إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك:

في العبارة الإخبارية غرض إنجازي يتمثل في نقل الواقعة التي حدثت في المسجد أثناء خطبة أبي العباس السفاح ، وغرضها الشرح و التفسير لإزالة التوهم والريبة بسبب قطع الخليفة لخطبته و تولي عمه الأمير عبد الله بن داوود مهمة إتمامها ،ونجاح الفعل الإخباري متوقف على سعي المتكلم لجعل كلماته مماثلة للواقع و تعبيره الصادق عنها.

فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن، وخليفة الشيطان، المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها بإبدال الدين و انتهاك حريم المسلمين ، الشاب المتكهل المتمهل المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار، الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى، ومناهج التقوى: في العبارة أفعال إخبارية يصف فيها الخطيب آخر خلفاء بني أمية (مروان بن محمد) بأنه خليفة للشيطان ، و في المقابل يصف ابن أخيه بأنه خليفة صالح ،و الغرض من هذا

التقابل بيان أفضلية الخلافة العباسية على سابقتها لزرع الطمأنينة في نفوس الرعية، ونجاح الأفعال مرتبط بشرط مطابقة الكلمات للواقع مع صدق التعبير.

الأوامر (التوجيهات) Directifs الأفعال الطلبية:

أيها الناس: فعل النداء غرضه الإنجازي توجيه السامعين وحثهم على الإنصات لما سيقول. اتجاه المطابقة فيه من العالم على الكلمات و شرط الإخلاص الرغبة الصادقة للمتكلم.

و ادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية: فعل الأمر غرضه الإنجازي توجيه المخاطبين إلى القيام بفعل الدعاء للخليفة الجديد بالشفاء، وغرضه التداولي ربط صلة حميمة بين الرعية و الخليفة ، ونجاح الفعل مرتبط بمماثلة الواقع للكلمات ، والرغبة الصادقة في الفعل.

و اعلموا يا أهل الكوفة ! ألا و إنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، و أمير المؤمنين عبد الله بن محمد: فعل أمر يحث المتكلم فيه السامعين على أن يعلموا أن الخلفاء المذكورين هم من يتصفون حقا بهذا اللقب و أن غيرهم ممن صعد هذا المنبر معتد ومغتصب، والغرض منه حصر شرعية الحكم في آل البيت ، و شرط المطابقة من العالم إلى الكلمات مع شرط الإخلاص المتمثل في الإرادة الصادقة.

فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه و سلم: فعل أمر غرضه الإنجازي توجيه المتكلم المخاطبين إلى أن يعلموا أن العباسيين سيتمسكون بالخلافة ، و نجاحه مقترن بمدى ملائمة الواقع للكلمات مع شرط الرغبة و الإرادة الصادقة.

الأفعال التعبيرية : **expositifs**:

الحمد لله، شكرا شكرا شكرا ، الذي أهلك عدونا ، و أصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: تدخل العبارة في أفعال الشكر و التهنة التي وظفها الخطيب بصيغة المصدر النائب عن الفعل وتقدير الكلام " أشكركم شكرا" ، و لا تخص المتكلم وحده و إنما يشترك فيها المخاطب لأنها موجهة إليه لمراعاة مدى تأثيرها فيه.و لنجاحها يشترط الإخلاص فيها و لا اتجاه مطابقة فيها.

ولقد كانت أموركم ترمضنا و نحن على فرشنا ، و يشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم و خرقهم بكم ، و استذلّالهم لكم ، و استنثارهم بفيئكم و صدقاتكم و مغانمكم عليكم: في هذه الأفعال تعبير عن انزعاج القادة العباسيين و أسفهم على ما كان يحدث لأبناء عمومتهم و أنصارهم من ظلم، ونجاح هذه الأفعال مرتبط بشرط الإخلاص في التعبير مع خلوها من شرط المطابقة فالمتكلم لا يحاول جعل الكلمات مطابقة للعالم ولا العالم مطابق للكلمات.

تبا تبا لبني أمية وبني مروان: فعل يعبر فيه المتكلم عن موقفه النفسي و الشعوري تجاه عدوه ، فهو يكشف عن غضبه و غيظه و لا اتجاه مطابقة فيه ومعيار نجاحه شرط الإخلاص.

فبعدا للقوم الظالمين: فعل تعبيرى يكشف من خلاله المتكلم عن عداوته لبني أمية ولا شرط مطابقة فيه و الإخلاص في الفعل هو معيار نجاحه.

والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا و أولانا: فعل تعبيرى فيه شكر لله عز وجل على نعمه الجليلة يكشف عن فرح وابتهاج بانتصار الثورة العباسية و تمكنهم من الخلافة، و اتجاه المطابقة فارغ و شرط نجاحه توفر الإخلاص.

الالتزاميات Commissifs (أفعال التعهد):

لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه و سلم وذمة العباس رحمه الله ، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، و نسير في العامة منكم و الخاصة بسيرة رسول الله ﷺ :في هذه العبارات أفعال التزام صادرة من الخطيب يتعهد فيها بأن يكون حكم العباسيين و عملهم و سيرتهم وفق كتاب الله وسيرة رسوله ﷺ ، و نجاح التزامه مقرون بشرط الإخلاص وهو سلامة القصد ، و مدى مطابقة الواقع لما تلفظ به ، فاتجاه المطابقة هنا من العالم إلى الكلمات، والغرض من الفعل نشر الطمأنينة في نفوس الرعية و تبشيرها بعدالة الحكم. ويتبين مما سبق أن الخطب السياسية اشتركت جميعها في توظيف الأفعال الإخبارية و التوجيهية و الالتزامية، ما يناسب مواضيع بيان السياسة العامة للحاكم و طلبه من الرعية حسن السمع و الطاعة و الالتزام بالعدل و المساواة، و ما اقتصت به الخطبة البتراء هو توظيفها للإعلانات في موضع اتخاذ قرار تنفيذ السياسة الجديدة المنتهجة من قبل الخطيب ، أما خطبة داود بن علي فقد اقتصت بالتعبيريات لأنه كان في مقام إفصاح عن مشاعر الغضب على بني أمية ومشاعر الشكر و التقدير لأهل الكوفة الذين ناصروا آل البيت.

خاتمة الفصل:

عالجت في هذا الفصل السياق الذي وردت فيه الخطب فبالرغم من اختلاف مناسباتها إلا أن موضوعها كان متقاربا من حيث الإعلان عن الخطوط العريضة للسياسة المنتهجة ، و قد تمثل القصد في إقناع المخاطبين بما يلقي عليهم والتزامهم بالسمع والطاعة.و في المبحث الثاني تطرقت إلى نشأة الأفعال الكلامية التي كانت في أحضان النقاش والجدال الفلسفي حول صلاحية اللغة العادية للتعبير عن القضايا الفلسفية والمنطقية ردا على متزعمي أطروحة اللغة المثالية الذين يتجنبون اللغة العادية ويقصونها من الدراسة ، وقد توصل "فتجنشتاين" إلى أن وظيفة اللغة ليست تقريرية وصفية فحسب، بل ذات وظائف عدة كالأمر

و الاستفهام و التهئة و القسم وغيرها، وأن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استعمالها في الحياة اليومية، فالمعنى عنده هو الاستعمال. وما ذكره فتجنشتاين أثر في "أوستين" الذي تصدى للرد على فلاسفة الوضعانية المنطقية متوصلا إلى وجود أفعال إنجازية لا تصف الواقع و إنما تؤدي أفعالا ليعلن فيما بعد أنه لا جدوى من التمييز بين الأفعال التقريرية الوصفية والإنجازية لأن كل الملفوظات إنجازية. وقد واصل "سيرل" تطوير نظرية الأفعال الكلامية حيث نص على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي ، و قد حول الاهتمام من الجملة كوحدة أساسية للتحليل عند البنيويين و التحويليين إلى الاهتمام بالفعل الكلامي الإنجازي عند التداوليين ، أي أنه نقل الاهتمام من الوحدة الصغرى للغة بوصفها نظاما إلى الوحدة الصغرى للكلام بوصفه أداء أو استعمالا اتصاليا.

الفصل الرابع

الضمني و الإشارات في

الخطب السياسية المختارة

الفصل الرابع: الضمني والإشارات في الخطب السياسية المختارة

المبحث الأول: الاستلزام التخاطبي-دراسة نظرية وتطبيقية-

أولاً: الدرس النظري

ثانياً: الدرس التطبيقي

المبحث الثاني: متضمنات القول -دراسة نظرية وتطبيقية

أولاً: الدرس النظري: الافتراض المسبق والأقوال المضمره

ثانياً: الدرس التطبيقي

المبحث الثالث: الإشارات -دراسة نظرية وتطبيقية-

أولاً: الدرس النظري: (الإشارات الشخصية والزمانية والمكانية وإشارات الخطاب

والإشارات الاجتماعية)

ثانياً: الدرس التطبيقي

المبحث الأول: الاستلزام الحواري في الخطاب المختارة (دراسة نظرية و تطبيقية)

أولاً: الدرس النظري:

يعد مبحث الضمني من المباحث التي استأثرت باهتمام الباحثين اللسانيين و الفلاسفة وهو من النظريات التداولية الأساسية، فالمعنى ليس شيئاً ثابتاً في بنية الكلمة إنما يتغير بتغير الاستعمال، وما يقال قد يفهم بغير ما هو عليه في ظاهره، فالمتكلم يتوسل لغة تتطوي على التصريح حيناً و التضمين حيناً آخر لأنه يكون أبلغ أحياناً و أكثر تأثيراً في المخاطب ، لاسيما و أن السامعين مراتب و طبقات، والخطابة بطبيعتها التداولية تتغير معاني الخطيب فيها بحسب الاستعمال اللغوي و الغرض المقصود و حال السامعين و سائر الظروف المحيطة بإنتاج الخطاب ، مما يستلزم أن تكون لدى المخاطبين قواسم معرفية و ثقافية مشتركة مع المخاطب حتى يتأتى لهم تفسير و تأويل المعنى بحسب القصد منه . يقول ج موشلر "J.Moecshler": " يتوقف نجاح التواصل اللفظي (verbale) على الطابع القصدي (intentionnelle) للرسالة وعلى الاستدلالات التي يقوم بها المخاطب ، حيث يقوم هذا الأخير بمجموعة من الاستدلالات غير البرهانية (non démonstratives) اعتماداً على المبادئ العامة للتواصل . والنتيجة المحصل عليها من خلال هذه الاستدلالات هي نجاح العملية التواصلية وموافقته لمقاصد المتكلم"¹ . إن مسألة البحث عن المعنى مشكلة فلسفية قديمة وتتجاذبها نظريات علم الدلالة الصورية التي تأخذ بالمعنى الحرفي لبنية الكلمة و نظريات علم الاستعمال التي تهتم بدراسة المعنى في إطار الاستعمال اللغوي القائم على التواصل والتخاطب، وشعارهم في ذلك " لا تسأل عن المعنى و اسأل عن الاستعمال" ولنأخذ

1 حسن بدوح ، آليات الاستدلال على المعاني الضمنية في اللغة العربية،مجلة اللسانيات وتحليل الخطاب، شتبر 2015 ،

مثلاً: "كم الساعة؟" فهي عند السوريين سؤال عن الوقت فقط ، لكنها عند اللاسوريين معناه متغير بتغير المقام و نية المتكلم ، فقد يسأل المتكلم حقا و قد يقصد بسؤاله توبيخ التلميذ على تأخره .وإذا سألت ابنك ليلا هل أحضر لك الشاي فرد عليك: الشاي يبقيني نشطا ، ففي ظاهر المعنى لا يوجد جوابا واضحا ولكن إذا أخذنا في الحسبان نية المتكلم و الزمن المتأخر من الليل فسنفهم أنه لا يريد الشاي لأنه وقت النوم ، و إذا كان مقبلا على المذاكرة وقت الامتحان ستعني إجابته تلك أنه موافق على إحضار الشاي ليزداد نشاطه ، فتحديد المعنى كما نرى مرتبط بالقصد و الاستعمال. ويعد بول غرايس أحد فلاسفة اللغة الذين انشغلوا بمسألة تحديد المعنى من خلال "مقالته (المعنى) التي دون فيها محاولاته الأولى لبيان ما عساه أن يكون المعنى على وجه الدقة"¹، وهذا ما دفع بول غرايس "فيلسوف المعنى"² إلى أن يتساءل كيف "أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون ، وقد يقصدون عكس ما يقولون ، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال what is said و ما يقصد what is meant"³ فقد يقول المتكلم شيئا و يعني شيئا آخر ، كما يسمع المخاطب كلاما و يفهم غير ما سمع ؟ فجاء بفكرة الاستلزام التخاطبي لإيضاح الخلاف بين ما يقال و ما يقصد ،و ذلك في نظرية " مبدأ التعاون" الذي تتفرع عنه أربعة قواعد، يؤدي انتهاك إحداها إلى الاستلزام التخاطبي.فما مفهومه؟

1 صلاح إسماعيل،النظرية القصدية في المعنى عند غرايس،حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية .الكويت، الحولية 25 ،الرسالة 230 ، 2005 ، ص 25

² المرجع نفسه، ص 13

³ أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33

1- الاستلزام التخاطبي: ¹ المصطلح والمفهوم:

"يأتي مصطلح الاستلزام implicature بالإنجليزية من الفعل implicate الذي يعني أن تشمل أو تضمن شيئاً ، وأصله من اللاتينية implicar بمعنى يورط أو يوحد ، وهو في الاصطلاح النقدي (التداولي): "مكون لمعنى المتكلم الذي يشمل جانباً مما يعنيه ملفوظ المتكلم من دون أن يكون جزءاً مما يقال" وقد وضعه بصيغته المعروفة فيلسوف اللسانيات (بول كرايس 1913.1988 paul grice) ووضع قواعده².

و لفهم الاستلزام ذي البعد المنطقي يتوجب علينا معرفة المنطق الذي هو "علم يبحث في قوانين الانتقالات من أقوال مسلم بها إلى أقوال مطلوبة"³ ويقوم تعريف المنطق على ثلاثة مفاهيم هي: القول و الانتقال والطلب ، وجاء العلماء المسلمون بمصطلح منطقي جامع لتلك المفاهيم هو (اللزوم) الذي يفيد معنى الانتقال ، فلزم شيء من شيء ، أي تولد منه بنقله مخصوصة ، ويستعمل بصدد الأقوال فيقال لزم من قوله كذا كذا، ويسمى القول الذي لزم منه قول آخر بالملزوم ، ويسمى هذا القول الآخر باللازم، وعليه فالمنطق إجرائياً يبحث في قوانين اللزوم ، وعليه فقد صح أن يحد اختصاراً ب" علم اللزوم"، وقد فرق طه عبد الرحمان في معنى "اللزوم" بين عملية الانتقال و "حاصل عملية الانتقال" بمعنى النتاج و الأثر الذي يصاحب مختلف أطوار عملية الانتقال و ليست النتيجة ، وقد اشتق لعملية الانتقال لفظ

¹ - ترجع نشأة البحث في الاستلزام الحوارى إلى الفيلسوف (بول غريس 1913-1988) في محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد عام 1967 في إطار بحثه "المنطق والحوار" الذي حاول فيه التقريب بين ما يقال وما يقصد في الخطابات المختلفة. ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 32

² انمار إبراهيم احمد و خالد سهر محبي ، في مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي ، مجلة ديالي ، العدد 71 ، 2016 ، ص99

³ طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافى العربى ، ط1 ، 1998 ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص87

"الاستلزام" ويمكن رد حد المنطق إلى "علم الاستلزام"¹ لكن الاسم الأشهر في هذا المعنى هو الاستنتاج فسموه علم الاستنتاج ، وحاصل العملية استعملوا له لفظ الدليل فلذلك يمكن تسمية المنطق بعلم الدليل.

ثم أن هناك مصطلح المنطقيين المسلمين "الاستدلال" الدال على فعل الانتقال و أثر الانتقال و بالتالي فهو يفيد المعنيين معا "الاستنتاج" و "الدليل" علاوة على أن صيغته الصرفية "استفعل" تتضمن معنى الطلب و عليه فهو أقرب الالفاظ دلالة على ما يدل عليه "اللزوم" بحيث يصح قولنا : "المنطق هو علم الاستدلال" لكن الفارق البسيط بين اللزوم والاستدلال هو أن اللزوم يدل بمضمونه على معنى الاقتضاء و هو أقوى من معنى الطلب الذي يدل عليه الاستدلال فكل اقتضاء طلب و ليس كل طلب اقتضاء²

و بالتالي فإن الاستلزام (اللزوم) أعم و أشمل من الاقتضاء ، و يخالف طه عبد الرحمن ما ذهب إليه عادل الفاخوري من توظيف مصطلح الأصوليين "الاقتضاء" لأداء معنى "الاستلزام التخاطبي" عند غرايس³. أما مسألة استعمال مصطلح الاستلزام الحوارية أو الاستلزام التخاطبي فالمصطلحان متداولان إلا أنه يوجد فرقا دقيقا بينهما ، فالتخاطب من المخاطبة وهي مراجعة الكلام بحضرة من يخاطبه ، وضدها المغايبية ، والحوار أصله من الحور وهو الرجوع عن الشيء و إلى الشيء، والتحاور : تراجع الكلام فهو متفق مع التخاطب إلا أن التخاطب أخص منه لأنه يكون بحضرة من يخاطبه ، وأما الحوار فإنه أعم من ذلك فيمكن

1 ينظر: المرجع السابق، ص 88

² ينظر : المرجع نفسه، ص 89

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 109

أن يحاوره من هو غائب عنه ، كمن يحاور غيره كتابة"¹.و بما أنني أدرس الخطابة وهي فن قولي يتكلم فيها الخطيب أمام جمهور الحاضرين فإنني أفضل استعمال الاستلزام التخاطبي.

2-أنواع الاستلزام التخاطبي: هو المعنى المستفاد من السياق، ويعد من أهم المبادئ التداولية وهو عند "غرايس" قسمان: استلزام عرفي واستلزام حوارى، فالعرفي ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تتغير بتغير السياق والتركيب، أو هي المعاني الاصطلاحية الصريحة التي تلازم الجملة في مقام معين دون المجازية (المعنى الحرفي) مثل "لكن" التي يستلزم دائما أن ما بعدها مخالف لما يتوقعه السامع مثل "زيد غني لكنه بخيل" ، أما الاستلزام الحوارى فهو متغير دائما بطروف إنتاج العبارة اللغوية². فحين يقال: "كم الساعة؟" فإن مقصد المتكلم يختلف حسب السياق الذي وردت فيه الجملة، فقد يكون سؤالاً وقد يكون توبيخاً للتأخر...

3-الاستلزام التخاطبي: الأصول والمنطلقات والسياق الفلسفي:

ذهب فلاسفة أكسفورد في الأربعينيات من القرن العشرين على أن المنطق الكلاسيكي لا يستطيع أن يقدم تفسيراً دقيقاً لدلالة التعبيرات في اللغة الطبيعية حيث يقول "ستراوسون" في ختام مقاله: "الإشارة" 1950: "لا تعطي قواعد أرسطو ولا قواعد رسل المنطق الدقيق لأي تعبير في اللغة العادية، لأن اللغة العادية ليس لها منطق دقيق"³ ، وبعد عامين من مقاله السابق قدم كتابه:"مقدمة لنظرية منطقية" انتقد فيه وجهة النظر القائلة : إن روابط منطق

1 عبد المحسن بن عبد الله التخيفي ، أدب التخاطب في السنة النبوية ، ص 06
<https://www.alukah.net/web/tekhifi/10317/19265>

² - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33.

³ صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند غرايس ، ص 82

القضايا او منطق الأدوات الصورية مثل (.) و (V) و (C) يستطيع تفسير معاني روابط اللغة الطبيعية المناظرة لها و هي (واو العطف) ، (أو) ، (إذا). منطلقا من نزعتة السياقية في المعنى فالرابط المنطقي "الواو" يمتلك معنى ضعيفا في منطق القضايا وهو مجرد الاشتراك في الصدق (صدق القضية) مثل: المتنبي شاعر و زكي نجيب محمود فيلسوف فلو غيرنا ترتيب المعطوفين لا يتغير المعنى ويؤكد أن شروط صدق الصيغة متغيرة من الناحية السياقية ومعنى الرابط فيها أقوى فقد تدل على الترتيب و التعقيب مثل: تزوج محمد وفاطمة وأنجبا عددا من الأطفال أو تدل على السببية مثل: تجرع سقراط السم ومات . ويتطلب المعنى القوي تصورا معيناً لمنطق الزمان يفترق إليه منطق القضايا¹.

4- رأي بول غرايس :

لكن بول غرايس لم ينح منحى سترافسون في نقد منطق القضايا ، ولم يذهب مذهب أنصار هذا المنطق ، بل رأى أن الفلاسفة الذين يقولون بوجود اختلافات في المعنى بين الروابط المنطقية و نظرائها في اللغة الطبيعية ينقسمون إلى اتجاهين : اتجاه صوري و اتجاه لا صوري ، ويمثل الاتجاه الأول فلاسفة الوضعية المنطقية الذين أظهروا نقائص اللغة الطبيعية بأنها لا تقي بحاجات العلم من جانب الدقة والوضوح ، و نادوا ببناء لغة مثالية أو كاملة منطقيا ، ويرد اللاصوريون بأن اللغة تؤدي أغراضا كثيرة لا تقل في أهميتها عن أغراض البحث العلمي . و الرأي عند غرايس أن الصوريين واللاصوريين مخطئون في أن الأدوات الصورية(الروابط المنطقية) و نظائرها في اللغة الطبيعية تختلف في المعنى ، و أن الخطأ ينشأ من انتباه غير كاف إلى طبيعة الشروط التي تحكم التخاطب و أهميتها ، والصواب انه لا واو العطف و لا القضايا العطفية غامضة و عن شروط صدق (ق و ك)

1 ينظر: المرجع السابق، ص من 82 إلى 85

"المتنبي شاعر و زكي نجيب محمود فيلسوف" ثابتة لا تتغير كلما تغير السياق ، وغنما هي مستقلة عن السياق ، ويقال مثل هذا عن روابط اللغة الطبيعية . فالقضايا العطفية في اللغة الطبيعية تملك معنى محددًا هو معنى شرط الصدق الذي ينسبها إليها منطق القضايا ، والجوانب الأخرى من معناها تفسر في حدود استعمال اللغة بوصفها استلزام ، و بعبارة أخرى فإن المعنى الأول للعطف هو مجرد الاشتراك في الصدق ، أما المعنى الثاني فلا يزيد على أن يكون استلزامًا تخاطبيًا¹.

5- علاقة الاستلزام التخاطبي بنظرية الأفعال اللغوية:

تعتبر مقالة غرايس (1975) البداية الحقيقية لتناول الفعل اللغوي غير المباشر ، إنه باشتغاله بأفعال اللغة غير المباشرة كما أثارها سيرل يولي كل اهتمامه في الأبحاث التي قام بها إلى أصول الحوار ، إذ كان يركز على الشروط المناسبة لاستعمال العبارات لاعتقاده ان تعدد الفعل اللغوي المباشر لا يمثل حلاً لمشكلة المعنى ساعياً على وضع القواعد العامة الضابطة للحوار و التخاطب ، و نشير إلى إن ظاهرة الفعل اللغوي المباشر اهتم بها الفلاسفة التحليليون مؤكدين أنه ينبغي عدم تهميشها في إطار النظرية اللغوية ، بالنظر إلى وجود جمل تحتمل تأويلين دلاليين اثنين أي عند انجاز جملة ما يمكن حسب مقامها الذي أنجزت فيه أن نقوم بفعالين لغويين : الأول فعل لغوي مباشر تطفو دلالاته على سطح الجملة تؤشر عليه مؤشرات بنيوية (دلالة لغوية مباشرة)، و الثاني فعل لغوي غير مباشر لا تطفو دلالاته على سطح الجملة ، ولا توجد قرائن بنيوية تدل عليه(دلالة لغوية غير مباشرة) ومثال ذلك قوله تعالى: "ربنا آتانا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة" فالآية الكريمة تتجزأ فعلاً لغويًا مباشرًا "الأمر" يستدل عليه بقريئة بنيوية(افعل) غير أن المنجز للآية في السياق

1 ينظر: صلاح إسماعيل، المرجع السابق ، ص 85 ، 86 ، 87

القرآني الذي وردت فيه ينجز فعلا لغويا غير مباشر يتمثل في المعنى المشتق من المعنى الأصلي وهو الدعاء و وقد سمى غرايس هذه الظاهرة بالاستلزام التخاطبي وأصبح يميز في نظرية الأفعال اللغوية بين القوة الانجازية الحرفية المدركة مقاليا والقوة الانجازية المستلزمة المدركة مقاميا ، فالآية السابقة قوتها الانجازية الحرفية هي الأمر و قوتها المستلزمة هي الدعاء وهذا يقودنا على القول بوجود مستويات دلالية ثلاثة :

المحتوى القضوي: مجموع معاني المفردات المكونة للآية

القوة الانجازية الحرفية: الأمر

القوة الانجازية المستلزمة: الدعاء

لكن السؤال الذي يفرض نفسه ما الآليات التي يتوسل بها في الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر ؟

6-مبدأ التعاون عند غرايس: نورد في هذا الصدد اقتراح غرايس الذي جاء بمبدأ تداولي للتعاور باسم مبدأ التعاون (co-operative principle)¹ بين المتكلم والمخاطب وهو مبدأ حوارى عام يشتمل على أربعة مبادئ فرعية هي:

1- مبدأ الكم: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

2- مبدأ الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

3- مبدأ المناسبة: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

¹ ينظر: العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارى في التداول اللسانى ، دار الأمان ، الرباط ، ص 95 ، 96 ، 97

4- مبدأ الطريقة: كن واضحا ومحدودا، فتجنب الغموض وتجنب اللبس و أوجز و رتب كلامك.

هذه هي المبادئ التي بها يتحقق التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولا إلى حوار مثمر¹ و ناجح وللتوضيح نورد هذا المثال وهو حوار بين زوج وزوجته:

الزوج: أين مفاتيح السيارة؟

الزوجة: على المائدة.

فمبدأ التعاون هنا متحقق، فالزوجة أجابت إجابة واضحة (الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة أو نقصان (الكم) وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بإجابة زوجها (المناسبة) ولذلك لن يتولد عن قولها أي استلزام لأنها قالت ما تقصده².

و يتم الحصول على ظاهرة الاستلزام الحوارية إذا تم خرق إحدى القواعد الأربعة السابقة، فيحاول المخاطب البحث عن المعنى الحقيقي المتخفي متجاوزا المعنى الصريح ليفهم قصد المخاطب، فالحوار الآتي بين الأم وولدها:

الأم: هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟

الولد: اغتسلت.

¹ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 34.

² - ينظر: المرجع نفسه ، ص 35.

ففي هذا الحوار خرق وانتهاك لمبدأ الكم لأن الأم سألته عن أمرين فأجاب عن واحد وسكت عن الثاني؛ أي أن إجابته أقل من المطلوب ويستلزم هذا أن تفهم الأم أنه لم يضع ثيابه في الغسالة ولم يجب بنعم حتى لا تشمل الإجابة شيئاً لم يقم به ولم يرد أن يواجهها بتقاعسه عن الأمر الثاني الذي سكت عنه¹.

وللاستلزام الحوارية عند "غرايس" خواص تميزه عن الاستلزام التقليدي (الاصطلاحي) تتمثل في:

أ- أنه يمكن إلغاؤه، ويكون ذلك عادة بإضافة قول من قبل المتكلم يسد الطريق أمام الاستلزام ويحول دونه كقولك "لم اقرأ كل كتبك" قد يستلزم أنك قرأت بعضها، فتلغي هذا الاستلزام بقولك "الحق أنني لم اقرأ أي كتاب منها".

ب- لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي؟ أي أن الاستلزام الحوارية متصل بالمعنى الدلالي لما يقال ولا علاقة له بالصيغة اللغوية الشكلية للعبارة فلا ينقطع مع استبدال المفردات والعبارات كالحوار الآتي بين الأختين:

1- لا أريدك أن تتسلي إلي غرفتي على هذا النحو.

2- أنا لا أتسلل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء، فرغم تغير الصياغة في القول (2) فإن ما يستلزمه القول من عدم الرضا على السلوك لا يزال قائماً.

ج- الاستلزام متغير بتغير السياقات التي يرد فيها مثل سؤالك أحدهم: "كم عمرك" قد تعني "طلب العلم" في سياق، كما قد تعني "التوبيخ" في سياق آخر.

¹ - ينظر: المرجع السابق ، ص 36.

د- الاستلزام يمكن تقديره، بمعنى أن المتكلم بإمكانه أن يقوم بمجموعة من الاستنتاجات أو العمليات الذهنية بناء على ما سمعه من كلام وصولاً إلى الاستلزام المطلوب بعيداً عن المعنى التركيبي لقريظة مانعة من إرادة ذلك المعنى مثل: "فلانة مصنوعة من الفولاذ"، فلا يراد المعنى الحقيقي، بل يراد أنها تتصف بالصلابة، أو المرأة الحديدية ، يراد الحزم والقوة وهي تعابير استعارية.

وهكذا نجد أن الاستلزام الحوارى عند "غرايس" يمثل نظرية متكاملة حاول الباحثون إيضاحها وتطويرها واستكمال جوانب النقص والقصور فيها¹.

ثانياً: الدرس التطبيقي -الاستلزام التخاطبي في الخطب المختارة:

1-الاستلزام التخاطبي في الخطبة البتراء :

لقد حل زياد بالبصرة وهي يومئذ في اضطراب سياسي و أخلاقي مما جعله في مواجهة مباشرة في نظره مع المفسدين و المتمردين على الخلافة الأموية فكانت اللغة أكثرها تصريحاً تتناسب مع المواجهة المباشرة مع توظيف اللغة غير المباشرة الذي لا تخلو اللغة العربية منها فهي أقدر في تبليغ الفكرة و أشد تأثيراً في النفس ، ومن مظاهرها انتهاك "مبدأ التعاون" فهل انتهاك الخطيب أحد قواعده الأربعة؟

يقول زياد بن أبيه: «وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والمطيع بالعاصي والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول: (انج سعد فقد هلك سعيد)، أو تستقيم لي قناتكم»²، وهو بهذا القول خرق مبدأ

1 - ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع السابق ، ص 38 وما بعدها

² أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ج 2 ، ص 258

الكيف حيث قال ما يعتقد أنه غير صحيح فعلى المخاطبين البحث عن المعنى الحقيقي المختفي وراء المعنى الصريح للوصول إلى الفهم الصحيح الذي يقصده المتكلم. و لذلك رد عليه أبو بلال مرداس ابن أديّة و هو من رؤساء الخوارج وهو يهمس و يقول: أنبأنا الله بغير ما قلت. قال الله تعالى: « وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » فسمعها زياد ، فقال: « إنا لا نبلغ ما نريد فيك و في أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوفاً ¹، لقد أصر زياد على خرقه لمبدأ الكيف و قصده من ذلك التهديد و التخويف ، و قد أفلحت سياسته في بسط الأمن . و حقا ما جاء به من أحكام جديدة جعلته أول عربي يسن قانون الأحكام العرفية الاستثنائية في التاريخ. وفي قوله: « فإنهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذي إليه تأوون » انتهك مبدأ الطريقة في تجنبه اللبس و التزام الوضوح حيث استعمل المجاز في جعله الساسة كهوفا تأوي الناس. كما انتهك مبدأ الكم في الفقرة الأولى من الخطبة حيث استفاض في شرح وتعداد مظاهر الفساد بعد أن ذكرها مجملة في مستهل الخطبة فالإجمال في قوله: « أما بعد: فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغيّ الموفى بأهله علي النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام » و التفصيل من قوله: « ينبت فيها الصغير و لا يتحاشي عنها الكبير...إلى قوله: ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء » و خرقه لمبدأ الكم مقصود وهدفه إدراكهم بكشف حقيقتهم و مواجهتهم بجرائمهم ، و أن مرواغاتهم لا تنطلي عليه ففي منظوره هم المرضى و هو الطبيب الصارم الذي أعد لكل داء دواء. و من اختراقه لمبدأ المناسبة قوله: « وقد كانت بيني وبين قوم إحنٌ فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي » فلم يراع الخطيب العلاقة بين المقال و المقام ، فهو يتكلم عن قانون المعاملة بالمثل الذي أسنه ، ثم يتحدث عن الضغائن القديمة بينه وبين بعض الأقسام. وفي هذ الخرق لفت الانتباه وتهيئة السامع إلى ما سيقول

¹ المرجع السابق، ص 261

وهو أنه لن يعاقب على حقد خفي مستور إلا إذا ترجم إلى أفعال . كما أن الخطيب انتهك مبدأ الكيف إذ أنه قال ما ليس له عليه دليل في قوله : « نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا » ، والقصد من هذا الخرق إضفاء طابع القداسة على حكمه وحكم الخلافة لإقناع العامة بالتسليم للقضاء و القدر . وفي خرق آخر لمبد الكيف استعمل المجاز وهو غير حقيقي : « ولا تشربوا قلوبكم بغضهم » و غرضه دعوة الناس إلى الانصراف إلى شئون حياتهم الطبيعية وترك الحقد على الحكام وفي هذا مصلحة للدولة والخلافة بنزع عوامل الفتنة و استتباب السلم . وفي قوله: « و أيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة » انتهاك لقاعدة الكيف فهو يقول كلام ليس له دليل عليه لأنه يقع في المستقبل و هو من علم الغيب الذي يعجز البشر عنه ، وقصده التخويف والتحذير . و قد انتهك زياد مبدأ الطريقة متعمدا اللبس والغموض في قوله: « وإياي ودعوى الجاهلية، فأني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه » فأى دعوى من دعاوى الجاهلية يقصد؟ مع العلم أن سياسة بني أمية كانت تعتمد إلى إحياء العصبيات و الروح الجاهلية عموما ، فاهتمامه الأول ينصب على منع التمرد السياسي وضبط الأمور الأمنية ولذلك يجعل مما قاله حجة لتحقيق هدفه المذكور .

2-الاستلزام التخاطبي في خطبة داوود بن علي:

لما صعد الخطيب المنبر كان لسد الفراغ الذي تركه مرض الخليفة أبي العباس السفاح وعدم استطاعته استكمال خطبته ، لذلك سار على نهجه في ذم بني أمية وتأكيد شرعية بني العباس و طلب نصره الكوفيين وهذا ما يدفعه لتتويع لغته بين الصريح والضمني الذي يعد الاستلزام الحوارى أحد أشكاله ، انتهاك مبادئ التعاون:

انتهاك مبدأي الكم و الكيف: اخترق الخطيب مبدأي الكم والكيف معا في مطلع خطبته : « أيها الناس ! الآن أفضت حنادس الدنيا ، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، و

طلعت الشمس من مطلعها، و بزغ القمر من مزغته ، و أخذ القوس باريها ، و عاد السهم إلى النزعة ورجع الحق إلى نصابه ، في أهل بيت نبيكم « فانتهاكه لكم تمثل في أنه تكلم أكثر من الحاجة ، فكان يكفي قوله : "أيها الناس قد رجع الحق إلى نصابه ، في أهل بيت نبيكم " إلا أنه تكلم في نفس المعنى بكلام طويل لغرض الإلحاح و التأكيد ، وفي اختراقه لقاعدة كيف استعمل التعابير غير الحقيقية وذلك لبلاغة المجاز و أثره في المخاطبين ، فهو يعلم أن ما قاله ليس حقيقي لكنه يريد إيضاح المعنى من خلاله ، فهبوب الرياح و إزاحتها للسحاب يقصد به أن العباسيين أزاحوا الأمويين عن حكمهم الجائر، وقد وصف بني العباس بالشروق و الشمس و القمر ، أما تعابير: صاحب القوس ، و عودة السهم إل نزعته فالقصد منها عودة الحق (الخلافة) إلى أصحابه الشرعيين . وقوله « استلذوا تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي» يعني به أن الأمويين اعتادوا على الغي و الضلال فأصبح من مظاهر حياتهم اليومية ، وهو بذلك يوجه السامعين إلى الحل البديل وهو الحكم العباسي الجديد، و في قوله «و اعلموا يا أهل الكوفة ! ألا و إنه ما سعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، و أمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس» انتهك الخطيب مبدأ كيف فهو يقول ما يعلم هو والحاضرين أنه غير صحيح لغرض مقصود يريد أن يصل إلى أذهان السامعين: وهو أن كل من صعدوا منبركم ليسوا أصحاب حق إلا من ذكرهم، وهدفه من وراء ذلك تثبيت شرعية بني العباس و آل البيت في الحكم، وكل من حكم سواهم فهو مستبد لا شرعية له . كما انتهك مبدأ الطريقة المتعلق بالإيجاز إذ أكثر من التفصيل فيما يمكن إيجازه كقوله: « أيها الناس ! إنا والله ما خرجنا لهذا الأمر لنكثر لجينا ولا عقيانا، ولا نحفر نهرا ولا نبني قصرا، وإنما أخرجتنا الأنفة من انتزاع حقنا والغضب لبني عمنا، وما كرثنا من أموركم و بهظنا من شئونكم ، و لقد كانت أموركم ترمضنا و نحن على فرشنا ، ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم، و خرقهم بكم ،

واستذلالهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم و مغانمكم عليكم « لقد أسهب في شرح سبب الخروج على الحكم الأموي و الثورة عليه إذ كان يكفي قوله من "أيها الناس...إلى...و بهظنا من شئونكم" ، أما الكلام الباقي فهو تفصيل لقوله: "وما كرثنا من أموركم و بهظنا من شئونكم".

وما يلاحظ من توظيف الاستلزام التخاطبي في خطبتي زياد بن أبيه و داود بن علي هو أنه تم خرق أحد المبادئ الأربعة المشكلة لمبدأ التعاون في حالات متعددة مما أنشأ الاستلزام التخاطبي وهذه الانتهاكات كانت على مستوى الخطبة البتراء في سبع مناسبات هي كالاتي:

أ- زياد بن أبيه:

انتهاك مبدأ الكيف: قول ما يعتقد أنه غير صحيح

انتهاك مبدأ الكم: أسهب في الكلام أكثر من الحاجة

انتهاك مبدأ المناسبة: عدم مراعاة العلاقة بين المقال و المقام

انتهاك مبدأ الكيف: قول ما ليس له عليه دليل

انتهاك مبدأ الكيف: قول ما يعتقد أنه غير صحيح(المجاز)

انتهاك مبدأ الكيف: قول كلام ليس له عليه دليل

انتهاك مبدأ الطريقة: تعمد اللبس و الغموض

ما يلاحظ هو أن الإكثار من انتهاك مبدأ الكيف من خلال قول ما يعتقد أنه غير صحيح ، ثم قول ما ليس له عليه دليل، يتلائم مع ما تضمنته الخطبة من ابتداعه لقوانين غير مسبوقة

في سنن العرب و نواميسهم ، و لهذا يعتبر أول من وضع قانون الطوارئ و الأحكام العرفية في السياسة العربية.

ب-داود بن علي:

انتهاك مبدأ الكم: تكلم الخطيب أكثر من الحاجة

انتهاك مبدأ الكيف: استعمال المجاز

انتهاك مبدأ الكيف: استعمال المجاز

انتهاك مبدأ الكيف: قول ما يعلم أنه غير صحيح

انتهاك مبدأ الطريقة: تفصيل في مكان الإيجاز

وفي هذه الخطبة أكثر المتكلم كذلك من انتهاك مبدأ الكيف بقوله ما هو غير حقيقي ، ثم قول ما يعلم أنه غير صحيح ، وهذا يتناسب مع مقام شرح أسباب الثورة و الخروج على الأمويين من منظوره ، ثم محاولة إقناع الناس بحق العباسيين الشرعي في الخلافة.

المبحث الثاني: متضمنات القول

أولاً: الدرس النظري: من مباحث الضمني إضافة إلى الاستلزام التخاطبي نجد متضمنات القول وهي « مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره، ومن أهمها»¹:

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 30

أ- الافتراض المسبق¹: حيث يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس ما يفترض سلفاً أنه معلوم له، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل وهي محتواة ضمن السياقات و البنى التركيبية العامة². ففي الملفوظ "أعزني سيارتك"، والملفوظ "سأرجعها لك في المساء"، في كليهما خلفية "افتراض مسبق" مضمونها أن المتكلم و المخاطب " كليهما لديهما رخصة سياقة ".وتقول أركيوني في تعريف الافتراض المسبق: " هو تلك المعلومات التي لم يفصح عنها ، فإنها و بطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلاً بغض النظر عن خصوصيته"³

ب- « الأقوال المضمرة: هي النمط الثاني من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية، تقول "أوركيوني": «القول المضمرة هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث»⁴.

مثال: يقول الأب لأبنائه: "لقد حل الصيف يا أولاد" إن السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوهم إلى:

الذهاب إلى المدرسة القرآنية

الاستعداد لرحلة ممتعة لقضاء العطلة

¹ مصطلح (الافتراضات المسبقة) من وضع الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجة". ينظر: المرجع السابق، ص 31

² - ينظر المرجع نفسه، ص ص 30-31.

³ ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، دار الأمل للنشر والطباعة والتوزيع، ص 124

⁴ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 32.

استغلال العطلة في الأنشطة الرياضية والتربوية و الكشفية

فالملاحظ أن التلفظ لا يحمل خبرا فقط، بل يتضمن معاني أخرى تفهم من السياق تجعل المخاطب يحاول جاهدا فهمها وتفسيرها.

ثانيا: الدرس التطبيقي:

1-متضمنات القول في خطبة أبي بكر الصديق:

الافتراض المسبق:

في قول الخطيب: "أما بعد" يفترض أن هناك كلاما قيل قبل هذه العبارة الفاصلة بين ما قبلها وما بعدها، وقوله: "إني قد وليت عليكم" يفترض أنه حديث عهد بالولاية و أنه لم يختار نفسه بل وقع عليه الاختيار. و قوله: « و لست بخيركم » يقودنا إلى افتراض أن هناك فئة ترى أنه الأفضل بعد رسول الله ﷺ، يكون سمعها منهم مباشرة أو رويت له أو استنتجها بنفسه . وقوله: « لا يدع قوما الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل » مفترضا أنه قد يكون هناك من يتخاذل و يتقاعس وهم فئة ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم كانوا يتخلفون عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم.

2-متضمنات القول في الخطبة البتراء:

أ-الافتراض المسبق:

في قول زياد: « أما بعد » يفترض أنه تكلم بكلام قبل هذه العبارة حتى ولم يكن حمدا لله عز وجل كما ورد أن هذه خطبة بتراء لم يحمد الله فيها. وقوله: « حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدمًا و إحراقًا » فيه افتراض أنه وجد الفساد يعم البلاد من أقصاها إلى

أقصاها وأن الداء استشرى ولا ينفع إلا البتر. وقوله: « إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي » يفترض أنه ينوي أن ينفذ بصرامة كل كلمة تخرج من فيه. ومن هذا أنه أقسم أن لا يرى رجلا بعد وقت منع الخروج ليلا إلا قتله ، وفي أحد الأيام جاؤوه بأعرابي، فقال له زياد : «هل سمعت النداء؟ قال: لا والله، قدمت بملوية لي و غشيني الليل ، فاضطرتها إلى موضع، فأقمت لأصبح ، ولا علم لي بما كان من الأمير، قال: أظنك والله صادقا، ولكن في قتلك صلاح هذه الأمة، ثم أمر به فضربت عنقه»¹. وقوله: « فإياي و دلج الليل ، فاني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه » يبين أن تحذيره لمدلجي الليل وتهديده لهم بالقتل يدفع إلى افتراض أنهم قاموا في هذا الوقت من الليل بجرائم خطيرة سابقا ، مما استلزم منع الخروج ليلا. وقوله: « أيها الناس: إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم زادة» يجعلنا نفترض أن زمن ولاية زياد على البصرة هو وقت بدايات الحكم الأموي في هذه المناطق.

ب-الأقوال المضمرة:

إن قول الخطيب زياد بن أبيه: " حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا." يتضمن العقاب بأنواعه أو بأشد الأنواع قسوة وغيرها مما يخطر على بال المخاطبين ، ثم على من يسلط هذا العقاب، وقوله: " قرب مبتئس بقدمنا سيسر، ومسرور بقدمنا سيبتئس" يتضمن أنه من ابتئس لمقدم زياد بن أبيه إلى البصرة قد يجد خيره فيما كان يعتقد شره له من أمور كثيرة منها: الأمن ، العدل ، الانضباط...والعكس صحيح فمن أصابه السرور لمقدم الوالي زياد اعتقادا منه أنه ضعيف كالولاة السابقين و ليستمر في إفساده فسيجد شره أمام عينيه من قتل ، سجن ، قطع يد وفي قوله: « اسأل الله أن

¹ أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ج2، ص 259

يعين كلا على كل» يشتمل على أقوال مضمرة منها: طلب الإعانة على التحكم في تسيير الولاية في كل الجوانب الأمنية والاجتماعية وغيرها ، أو الإعانة على المتمردين و المفسدين ، ومن الجانب الآخر طلب الإعانة للرعية على طاعة الحاكم .أما في قوله: « وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على إذلاله» فيضمن تهديدا مبطنا فمن لن ينفذ الأوامر كما هي حرفيا فقد يعاقب أو يقتل .

3-متضمنات القول في خطبة داوود بن علي:

أ-الافتراض المسبق:

قال الخطيب : «الحمد لله الذي أهلك عدونا» وهذا ما يفترض أن للخطيب و العباسيين جميعا عدو بغض النظر عن معرفة من يكون ، و قوله : « و أصر إلينا ميراثنا من نبينا محمد ﷺ» يفترض أن لهم ميراث كان مغتصب وهو الحق في الخلافة ، و قول الخطيب"الآن أقشعت حنادس الدنيا ، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، و طلعت الشمس من مطلعها، و بزغ القمر من مبرغه ، و أخذ القوس باريها ، و عاد السهم إلى النزعة ورجع الحق إلى نصابه،في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم" إن هذا القول يفترض أن الدنيا قبل نجاح ثورة العباسيين كانت مظلمة بسبب الظلم الذي مارسه الأمويين ، ولما يقول الخطيب العباسي: "رجع الحق إلى أصحابه" يفترض أن هذا الحق كان مغتصبا من قبل و رجع إلى أهله ، وهذا ما يجعل السامع المتعاطف يتجاوب و يتأثر ، وقوله: " في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة بكم" فالمفترض في هذا القول أن الأمويين لم يرحموكم و لم يرأفوا بكم لأنهم ليسوا أهلا لذلك ، ولما يقول: « لكم ذمة الله تبارك و تعالی و ذمة رسوله صلى الله عليه وسلم و ذمة العباس رحمه الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله» فالافتراض هنا أن بني أمية الذين خالفوا أمر الله في حكمهم ، وقوله: " و أدالنا الله من مروان،... ورد إلينا حقنا و

إرثنا" يصب هذا القول فيما ذكرناه سابقا وهو أنه يفترض أن الحق في الحكم كان مسلوبا و تم استرداده، وقوله: "أيها الناس ! إن أمير المؤمنين -نصره الله نصرا عزيزا-، إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك".يقودنا هذا القول إلى الافتراض بأن أبي العباس السفاح قد صعد المنبر قبل الصلاة لخطبتي الجمعة، ثم عاد بعد الصلاة ليخطب خطبة البيعة بالخلافة .

ب-الأقوال المضمرة: وهي أقوال تتطوي على معنى أو معاني ضمنية يعتمد تفسيرها والوصول إلى قصد المتكلم منها على كفاءة المستمع ، و عادة ما يلجأ المتكلم إلى الضمني و يتمتع عن التصريح لأسباب مختلفة مقامية و نفسية و غيرها ، لاسيما إن كان الكلام أمام جمع غفير متعدد المشارب و في مناسبة خطيرة كخطبة البيعة التي تحدد فيها الخطوط العريضة لسياسة الحكم و الاجتهاد في ترك انطباع أولي مطمئن للجميع ، ومما ورد منها قول الخطيب: « الحمد لله، شكرا شكرا شكرا، الذي أهلك عدونا» الذي ينطوي على معنى خفي وهو أن الله معنا في ما نقوم به ولذلك نصرنا، و إذا تأملنا في الخطبة نجد أن جانبا كبيرا منها خصص لإبراز جرم و ظلم الأمويين و هزيمتهم والضمني في ذلك في قصد المتكلم أن ما فعلناه بهم هو تحقيق للعدل فقط، وقوله: « أيها الناس ! إن أمير المؤمنين -نصره الله نصرا عزيزا- إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك» إن شرحه لتصرف الخليفة بخشية كراهة الخلط بين كلام الجمعة وكلام آخر يعني أنه رجل يتقي الشبهات وبالتالي له كفاءة الحكم والسياسة .

المبحث الثالث: الإشارات

أولاً: الدرس النظري

نتناول دراسة المشيرات باعتبارها مبحثاً تداولياً لأنها عند أغلب اللسانيين صنفاً من الوحدات لا تتحدد دلالتها إلا بمعطيات من خارج اللغة إذ تستلزم مفسراً مقامياً حاضراً في المقام التخاطبي¹، «ليست الإشارات² مبحثاً مستحدثاً و لا مستجداً على حقل الدراسات اللغوية، إذ تناوله النحاة في مصنفات كثيرة ، وانشغلوا بالتعديد له وبيّنوا خصائصه الصرفية والتركيبية والدلالية ، كما تناولها الفلاسفة في مؤلفاتهم ، في علاقتها بقضية الدلالة والإحالة المرجعية ، وانشغل بها اللسانيون أيضاً محاولين كشف أبعادها المختلفة . إلا أنها لم تحظ بالعناية المطلوبة³ ، و إذا رجعنا إلى بداية ظهور التداولية اللسانية ، فإننا نجد أن شارل موريس الذي جعلها البعد الثالث في السيموزيس ، قد اتضح له آنذاك أن مجال التداولية لا يعدو العناية بضمائر الكلام والظروف الزمانية و المكانية ، و التعابير المختلفة التي تستقي مرجعيتها من مقامات التواصل ، ورغم أنه لم يتوسع في تحليل المباحث إلا أنها حازت الريادة ومهدت الطريق للدراسات اللسانية اللاحقة المهتمة بقضايا التلفظ⁴. فكان بروز الاهتمام بها مع فجر الفلسفة المعاصرة للغة لكثرة تداولها و استعمالها ، حيث رأى "بارهيليل": أن أكثر من تسعين بالمائة من التلفظات التي ننطق بها في سياق حياتنا اليومية هي تلفظات إشارية يحددها السياق التلفظي الذي وردت فيه ، وانطلاقاً من هذا اعتبرت

1 ينظر : نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي 2009 ،تونس ، ص 01

2 لقد كان "شارل ساندرس بيرس" صاحب تعبير "الإشارة" و "العلامة الإشارية" ينظر: فراسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية ، ص 41 ،

3 جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها ، ص 75 ، 76

4 ينظر: المرجع نفسه، ص 76

الإشارات مكونا لسانيا تتغير مساهمته الدلالية بتغير سياق التلفظ قصد إنجاز وظيفة إحالية معينة ، ذلك أن النسبية السياقية لهذه العبارات تؤثر في إحالتها.¹ و من خلال ما سبق يتبين أن الإشارات كلمات لا معنى معجمي ثابت لها وهي مفردة ، و إنما يتغير معناها بتغير سياق التلفظ الذي وردت فيه. فالضمان مثل تحليل على مراجع مختلفة باختلاف سياق التلفظ و ظروف الاستعمال فلو قلت: "سأمر من هنا و أغير موضع هذا إلى هناك " فهي ملفوظ يفهم في حينه أما إذا حاول القارئ فهم الملفوظ فإنه سيجد صعوبة في فك الرموز اللغوية والشفرات بسبب العناصر الإشارية التي لا معنى لها في ذاتها إلا بتعيين و تحديد المرجع الذي تشير إليه و معرفة سياق التلفظ، وهذا ما دفع "لفنسون" بالقول: "أن التعبيرات الإشارية تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه و تظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما نشير إليه، فيسود الغموض"².

1- مفهوم الإشارات: تتوعت مصطلحات التعبير عن هذا المفهوم ما بين التعبير الإشاري عند بار هيليل، أو المؤشر أو دليل التلفظ أو القرائن الإشارية ،و عند رومان جاكبسون القرائن المدمجة أو الواصلة embrayeurs ، و الوحدة الإشارية index عند شارل بيرس ، كما يطلق عليها المعينات الإشارية déictiques وهي صيغة الجمع لمفردة المعين الإشاري (déictique) ، وهي مصطلح عام ذو مدلول يشمل أطراف التلفظ و السياق التواصلية للمتكلمين و يرتبط بالاستعمال الشفوي و التلفظي للخطاب ، مع تشغيل الحركات و الإشارات و إيماءات التعيين و توظيف وحدات التأشير الدالة على تعيين الأشخاص و

1 ينظر: يوسف السيساوي، الإشارات مقارنة تداولية، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق : حافظ اسماعيلي علوي، ص 441

2 محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 16 ، 17

التعيين الزمني و المكاني. و يراد بالمعينات *déictiques لغة*: الإشارة والتعيين و التحديد و العرض و التمثيل و التبيين والتأشير، وهو مشتق من الكلمة اليونانية *deiktikos* ، أما اصطلاحاً: فهي مجموعة من المرجعيات الإحالية المبنية على شروط التلفظ الخاصة وظروفه ، كهوية المتكلم و مكان التلفظ و زمانه (أنا ، هنا ، الآن) ويعني هذا أن كل ملفوظ يتكون من المتكلم والمخاطب و مكان التلفظ و زمانه هذا ما يسمى ب (المؤشرات أو المعينات أو القرائن السياقية) ، و بناء عليه فإنه يقصد بالمعينات أو القرائن الإشارية : تلك الوحدات اللغوية (الكلمات، التعابير ، الروابط) التي ترد في ملفوظ شفهي أو كتابي تحت الظروف الخاصة للتلفظ وتحيل على السياق الزمني و المكاني و على أطراف التواصل لعملية التلفظ الجارية و كل المؤشرات اللغوية التي تعين الشخص و الأشياء من قبل المتكلم . ويرى إيميل بنفنست أن المعينات تحدد اللحظة المكانية و الزمانية الآتية أثناء لحظة التلفظ بضمير التكلم¹، ويمثل العنصر الإشاري معلماً (*index*) لذاته ، لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره ، و تمثل العناصر الإشارية فيه جملة الذوات التي تكون العناصر الأساسية الدنيا في عالم الخطاب ، و تتصل هذه الذوات مباشرة بالمقام دون توسط عناصر إحالية أخرى ، فهي ترتبط بالحقل الإشاري (*deictic field*) ارتباطاً أنياً محدوداً مباشراً لا يتجاوز ملاسبات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل، وهي في ذلك تقابل العناصر الإحالية التي ترتبط بالسابق و ما يتعلق به من ملاسبات² و يعرف جورج يول الإشارات بقوله: " التأشير *deixis* مصطلح تقني يستعمل لوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام ، والتأشير يعني الإشارة من خلال اللغة ، ويطلق على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح " التعبير الإشاري " *deictic expression* عندما تلاحظ شيئاً

1 ينظر: جميل حمدوي، التداوليات و تحليل الخطاب ، ص 16 ، 17

2 الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص 116

غريبا و تسأل ما هذا؟ فإنك تستعمل تعبيرا إشاريا (هذا) للإشارة إلى شيء ما في السياق المباشر ، تسمى التعابير الإشارية أيضا الإشارات indexicals ، وهي أولى الصيغ التي ينطق بها الأطفال الصغار وتستعمل للإشارة على الأشخاص من خلال التأشير الشخصي person deixis (أنا ، أنت) أو إلى المكان من خلال التأشير المكاني spatial deixis (هنا ، هناك) ، أو إلى الزمان من خلال التأشير الزماني temporal deixis (الآن ، هناك) وتعتمد جميع هذه التعابير في تفسيرها على متكلم و مستمع يتشاركان في السياق ذاته¹ ومن خلال هذا التعريف نجد أن جورج يول حدد ثلاثة أنواع للإشارات: إشارات شخصية، و زمانية و مكانية، و اجتماعية. وهناك من يضيف إليها الاجتماعية و الخطابية أو النصية.

2-أنواع الإشارات: تعد الإشارات مفتاح الدخول إلى فهم معنى الملفوظ من خلال معرفة المرجع الذي تشير إليه وهي:

أ- الإشارات الشخصية: وتتمثل في أسماء الإشارة والأسماء الموصولة و الضمائر المنفصلة والمتصلة التي تشير إلى المتكلمين والمخاطبين ومن شاركوا في الحوار يضاف إليها شرط الصدق، فإذا قالت امرأة مثلا: "أنا أم طارق بن زياد" فلا يكفي أن يكون مرجع الضمير هو تلك المرأة، بل لابد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة، أما ضمير الغائب فيدخل في الإشارات إذا كان حرا أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي ، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشارات² ، ويدخل النداء في الإشارات الشخصية وهو ضميمة إسمية تشير إلى

1 جورج يول ، التداولية ، pragmatics ، ص 27

2 محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص 18.

المخاطب لتبنيها أو توجيهه أو استدعائه منفصلة عما يتلوها من كلام بتتغيم يميزها، ولا يفهم النداء إلا باتضاح المرجع الذي يشير إليه¹.

ب- الإشارات الزمانية: تحيل إلى زمن أحداث الخطاب، والزمان نوعان: نحوي وكوني خارجي، فالزمن النحوي زمن الجملة، والزمن الكوني الذي يفترض سلفاً تقسيمه إلى فصول وسنوات أشهر وأيام وساعات... الخ². ولنفهم الخطاب فهما صحيحا يجب أن ندرك لحظة التلفظ فهي مرجع الإشارات الزمانية، فإذا قال المتكلم: سأعود بعد ساعة، فعلى المخاطب أن يعرف لحظة التلفظ حتى يمكن له توقع عودة المتكلم الحقيقية³ "الزمن في اللغات الطبيعية مفهوم نحويّ أولاً وقبل كل شيء، وله لفظ ذو مظهر صرفي؛ إذ يدلّ الفعل على زمنه بصيغته الصرفية ولا يفهم المعنى الزمنيّ الدقيق إلا بتوضيح اللفظ الدالّ على الزمن، في سياق التركيب. تتكوّن دلالة الزمن في سياق الكلام من تداخل الصيغ فتجد الصيغة الدالّة على الماضي تدلّ على الاستمرار. ومعنى هذا أنّ مرجع فهم الزمن ليس صيغة الفعل الصرفية وحدها، ولكنها الصيغة مركبة في سياق الجملة"⁴.

ج- الإشارات المكانية: وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ومن الإشارات المكانية: هذا، ذلك، والظروف: هنا، هناك، فوق، تحت،... الخ، ويدخل فيها:

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 18.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 21.

³ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 83

⁴ عبد الرحمان بودرع، مفهوم الزمن في النحو والصرف، كُتِب : 06-20-2019، www.m-a-arabia.com

أسماء الأماكن، ويرى بعض الباحثين أن "ال" التعريف تدخل في العناصر الإشارية والفرق أن اسم الإشارة يزيد عليها بالدلالة على القرب أو البعد¹.

د- إشارات الخطاب: قد تلتبس إشارات الخطاب بالإحالة إلى سابق أو لاحق لذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشارات، ومنهم من ميز بينهما فرأى أن الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه مثل: "زيد كريم وهو ابن كرام أيضا"، فالمرجع الذي يعود إليه "زيد" و "هو" واحد، أما إشارات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع بل تخلق المرجع، فإذا كنت تروي قصة ثم ذكرت بقصة أخرى فقد تشير إليها، فالإشارة هنا إلى مرجع جديد، على أن هذا التمييز ليس حاسما، ذلك بأن الإحالة ضرب من إشارات النص أو هي أساس فيها². و من أمثلة الإشارات الخطابية التي تحيل على جزء من الخطاب و تشير إلى العلاقة بين الملفوظ والخطاب المتقدم : لذلك ، و مع ذلك ، لكن ، بل ، على أية حال ، نتيجة لذلك ، فضلا عن ذلك ، و هكذا ، و في الواقع ، و على الجملة ، و لذا ، و أخيرا ، وبناء عليه ، ومن خلال ما سبق ...الخ³

هـ- الإشارات الاجتماعية: وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة ومودة، ففي العلاقة الرسمية يكثر استعمال "أنتم" للمفرد المخاطب تبجيلا له أو مراعاة المسافة الاجتماعية بينهما و "نحن" للمفرد المعظم لنفسه، وتشمل الألقاب مثل فخامة الرئيس و جلالة الملك و سمو الأمير وغيرها، وتشمل السيد، الأنسة، حضرتك، ... أما في العلاقة غير الرسمية فهو منفك من هذه القيود

¹- ينظر: ، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ص 21-22.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص 24.

³ ينظر: محمد صادق الأسدي، تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ صدوق ،مركز عين للدراسات و البحوث المعاصرة، ط 1 ، 2018 ، ص 270

جميعا فيستعمل النداء بالاسم المجرد أو باسم التدليل، والتحيات مثل: صباح الخير، صباح الفل، صباح العسل، ... الخ¹.

ثانيا: **الدرس التطبيقي:**

1-الإشارات الشخصية

أ - الإشارات الشخصية في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق:

إن معرفة ما تحيل عليه المعينات الإشارية مهم جدا لفهم الملفوظ و مقاصده و أغراضه فلو أخذنا على سبيل المثال "إني وليت عليكم" فسنجد أننا أمام ملفوظ يحتاج إلى توضيح من المتكلم و من الخاطب و بمعرفة المرجع الذي تمت الإحالة عليه يتحدد المعنى . ومن الإشارات الشخصية في هذه الخطبة نجد الاستهلال بالتنبيه من خلال المشير الشخصي النداء الذي يكتفه الغموض ما لم يفصح فيه عن أطراف التواصل في قوله: "أيها الناس" والذي يشمل نداء جميع الحاضرين دون تخصيص للفت انتباههم و تهيئتهم لما سيلقى على مسامعهم من قول ، وفي النداء لا بد من معرفة من المنادي و من المنادى عليه ويتحدد ذلك من خلال فعل النداء المحذوف "أنادي" الذي يحوي ضمير المتكلم المستر "أنا" الذي يشير إلى ذات أبي بكر الصديق و المشار إليه "الناس" ، ومن المشيرات الشخصية تنوع ضمائر المتكلم والمخاطب بما يتماشى مع طبيعة الموقف و الظرف. حيث تشير "الأنا" في الخطبة إلى ذات الخطيب التي تجعل المتلقي يدرك سلطة المتكلم و مدى تمكنه و إدراكه لما يقول، ف"الأنا" تريد إبلاغ السامعين بتمام البيعة للمتكلم و حسم الأمر ، و أنه هو الخليفة على المسلمين و أن هذا الأمر لا يعني أنه أفضلهم ، و إنما هي مسؤولية ثقيلة كلف

¹- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ص 25-26.

بها وما طلب العون و الدعم من الناس في إصلاحه و تقويمه، و الالتزام بتحقيق العدل و المساواة و مواصلة الجهاد و نكران الفاحشة و وصيته بالطاعة له في ما يرضي الله إلا دليل على طلب أبي بكر للأخرة و نيل رضا الله في كل عمل يقوم به بدون أن يغتر بالمنصب و الجاه. أما المخاطبون فتمت الإشارة إليهم بين "كاف" المخاطبة" المتصلة بميم الجمع و "واو الجماعة" المتصلة بفعل الأمر ، و في هذا إشارة إلى أن المخاطب جماعة من المسلمين يريد الخليفة أن يعلن لهم عن الخطوط العريضة لسياسته التي لا استبداد فيها و إنما منهجها هو منهج النبوة.،وقد طغى التقابل بين "الأنا" و "الأنتم" ، فطبيعة العلاقة المتسمة بالقرب بين أبي بكر الصديق و سائر الصحابة جعلها تسير في هذا التقابل الإشاري من أولها إلى آخرها ما ساعد في الكشف عن قصد المتكلم واتضح الأبعاد التداولية للمشيرات .و قد مثل ثنائية الخطاب بين المتكلم و المخاطبين توظيف ضمير المتكلم أربعة عشر مرة مقابل ضمير المخاطب إحدى عشر مرة . ولم يلجأ الخطيب إلى تنويع الإشارات المختلفة مما جعل الخطبة بسيطة سلسلة تتعد عن الصعوبة و الانغلاق ، كما أن الخطبة تغيب فيها البنى السطحية للضمائر (الضمائر المنفصلة الظاهرة) مثل "أنا" و نحن و أنتم" وكأن الخطيب يحاول تجنب كل أشكال الإفراط في تخيم الذاتية و الاستعلاء. ولقصر الخطبة جمعنا الملفوظات التي تشتمل على العناصر الإشارية الشخصية في قوله:

..إنيوليت.....عليكم.....لست.....بخيركم...إن أحسنت...أعينوني...إن أسأت...قوموني....الضعيف فيكم...قوي عندي...القوي فيكم..ضعيف عندي...أخذ الحق منه...أطيعوني..ما أطعت الله...فإذا عصيت...فلا طاعة لي...عليكم..قوموا إلى صلاتكم
يرحمكم الله.

وقد قسمت الجدول إلى: نوع الضمير والعناصر الإشارية الشخصية والمرجع المشار إليه:

نوع الضمائر	العناصر المحيطة	المرجع المشار إليه
المتكلم	إني	أبو بكر الصديق
المتكلم	وليت	أبو بكر الصديق
المخاطب	عليكم	أبو بكر الصديق
المتكلم	لست	أبو بكر الصديق
المخاطب	بخيركم	المسلمون
المتكلم	أحسنتم	أبو بكر الصديق
المخاطب و المتكلم	أعينوني	المسلمون و أبو بكر الصديق
المتكلم	أسأت	أبو بكر الصديق
المخاطب و المتكلم	قوموني	المسلمون و أبو بكر الصديق
المخاطب	الضعيف فيكم	المسلمون
المتكلم	عندي	أبو بكر الصديق
المخاطب	القوي فيكم	أبو بكر الصديق
المتكلم	عندي	أبو بكر الصديق
المتكلم	أخذ	أبو بكر الصديق
المخاطب و المتكلم	أطيعوني	المسلمون و الخليفة
المتكلم	أطعت الله	أبو بكر الصديق

أبو بكر الصديق	عصيت	المتكلم
أبو بكر الصديق	لي	المتكلم
أبو بكر الصديق	عليكم	المخاطب
المسلمون	قوموا	المخاطب
المسلمون	صلاتكم	المخاطب
المسلمون	يرحمكم	المخاطب

ب-الإشارات الشخصية في الخطبة البتراء لزياد بن أبيه:

العناصر الإشارية الموجهة للمخاطب "الأنث": تتوعد ضمائر المخاطب في هذه الخطبة مثل ضمير المخاطبة "الكاف" المتصلة بميم الجمع ، وهو من العناصر الإشارية الشخصية يشير إلى المخاطب المقابل للمتكلم في المقام حيث يتشاركان و يتفاعلان لتحقيق التواصل بينهما وإنجاز التبليغ و من أمثلة توظيف ضمير الكاف قوله : سفهاؤكم ، حلماءكم ، كأنكم ، كما استعمل "واو الجماعة" من قبيل: لم تقرأوا ، لم تسمعوا . ثم وظف ضميري المخاطبة أنتم و تاء المخاطبة للزيادة في تخصيص نسبة التهم الموجهة إليهم "ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء" ، وكلها مشيرات شخصية تشير إلى أهل البصرة المخصوصين بالخطاب، إذ بادر الخطيب بالهجوم المباشر و العنيف ملصقا عديد التهم إليهم ، وغرضه توبيخهم و تفريعهم ليستفيقوا من غيهم و ضلالهم ، لأنه -كما قال أبو بكر الصديق-: لا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء . و من العناصر الإشارية الشخصية الاسم الموصول في ملفوظات مختلفة مثل: من غرق ، من أحرق ،من نبش ، و المشار به إلى المفسدين و المجرمين الذين لا يمثلون للقانون ثم قوله: "من كان منكم محسنا فليزدد إحسانا ، و من كان منكم مسيئا فليزدد عن إساءته" وهنا يشير بالاسم الموصول "من" إلى أهل البصرة عامة دون تخصيص بضرورة إتباع الطريق المستقيم والابتعاد عن الانحراف، ومن أنواع الإشارات الشخصية : النداء في قوله: "أيها الناس" مشار به إلى السامعين للفت انتباههم لما سيأتي من كلام بعده .

العناصر الإشارية الشخصية "الأنث": لم يكن ل"الأنث" حضور في الخطبة في الربع الأول منها حيث خصص للهجوم على البصريين و توبيخهم على أفعالهم و أول استعمال لها كان في قوله: "إني رأيت آخر هذا الأمر.." ثم "إني أقسم " حيث أكثر من توظيف ياء المتكلم المشيرة إلى ذات الأمير زياد بن أبيه، و واضح من أن اتصال الضمير بإن التوكيدية يوحي

بتعزيز سلطة منتج الخطاب عند المخاطبين خاصة و أن ما بعدها يحمل إعلانا عن السياسة الجديدة المنتهجة من قبله ، و وعدا و وعيدا، ومن أمثلة ياء المتكلم : لي ، علي ، معصيتي... الخ ، و استعمل الضمير المنفصل "أنا" المحدد للذات المتكلمة وحضورها بكل ثقلها و مكانتها بقوله: "فأنا ضامن لما ذهب منه"، كما أشار الخطيب إلى نفسه بتاء المتكلم في قوله: "ضربت عنقه" ، و "جعلت ذلك دابر أذني" ، و كان لضمير جماعة المتكلمين المشار به إلى شخصه "نحن" حضور بارز في النصف الثاني من الخطبة سواء في سياق الوعيد مثل : "من أحرق قوما حرقناه" أو في سياق تأكيد ممارسة السلطة الفعلية المخولة له و من ذلك قوله: " إنا أصبحنا لكم ساسة ..نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا" و يسمى العنصر الإشاري "نحن" بضمير الحضور للزوم حضور صاحبه أثناء التلفظ به ، وقد قسمت "لا كوف" هذا العنصر الإشاري على قسمين:

1. "نحن" الشاملة ، التي تشمل جميع المشاركين في الخطاب من متكلم و متلقي

2. "نحن" القاصرة، وتقتصر على ذات المتكلم وحده فقط وتستعمل لإبراز الذاتية والتعظيم و سنتطرق إليها في الإشارات الإجتماعية¹ ، و قد وظفها الخطيب في ملفوظات متعددة.

و قد تبين مما سبق ما للعناصر الإشارية من دور في جلاء المعنى بتحديد أطراف التواصل اللغوي من خلال سياق التلفظ الذي يكون من المتكلم إلى المخاطب ، و قد استطاع الخطيب إبراز ذاتيته و التمكين لسلطته و زرع هيبته وسط السامعين الذين حد من غطرستهم و تكبرهم عليه و جعلهم ينقادون له، و قد كان لحسن استعمال ضمائر المخاطب الأثر البالغ في التأثير على نفسيتهم.

¹ ينظر: محمد صادق الأسدي، تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ صدوق ، ص 278

تبادل أدوار الكلام و أثره في تحول المرجع الإشاري في الخطبة البتراء:

لا بد من التنبيه على أن الإشارات و إن كانت هامة جدا في تحديد و تعيين المشار إليه لتوضيح المعنى في الملفوظ الموجه من المتكلم إلى المخاطب فإنه لما يكون هناك تبادلا للحديث و الكلام فسيختلط الأمر على القارئ في تعيين مرجع المشيرات و تحديد من المتكلم ومن المستمع ، أين يكون المتكلم مخاطبا و المخاطب متكلما ، و هنا تصبح المشيرات بالغة الأهمية في توضيح الصورة من خلال القيام بوظيفتها في تحديد المرجع المشار إليه ، وفي آخر الخطبة التي ألقاها زياد بن أبيه كان هناك حديث متبادل بين بعض ممثلي طوائف أهل البصرة و الأمير زياد أمام السامعين ، وقد ورد في ثلاث أقوال:

الملفوظ الأول: و فيه تدخل عبد الله بن الأهمتم أحد أعيان البصرة ، فقال: " أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة و فصل الخطاب" ، فقال له: كذبت . ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه " ، فالمتكلم الذي كان معروفا طوال الخطبة بأنه الخطيب ذاته دون سواه ، ففي هذا الملفوظ يتحول المتكلم إلى شخصية أخرى هي "عبد الله بن الأهمتم" والعنصر الإشاري الشخصي المحيل عليه هو الضمير المستتر "أنا" في الفعل "أشهد" أما النداء "أيها" فيشير به إلى المخاطب الذي دل عليه السياق اللغوي في كلمة "الأمير" و المقصود به "زياد بن أبيه" كما أشار إليه عن طريق تاء المخاطب في الفعل " أوتيت" ، أما تاء المخاطب في الملفوظ "كذبت" فيشار بها إلى المخاطب "عبد الله بن الأهمتم" والمتكلم صاحب الملفوظ لا يظهر في عنصر إشاري صريح و إنما نجده في البنية العميقة للضمير في الملفوظ "أنا أقول كذبت" ويشار به إلى "زياد بن أبيه"، وهكذا نرى أن تبادل أدوار الكلام يتبعه تبادل المراكز ومرجع العناصر الإشارية فالمتكلم يرجع مخاطبا و المخاطب يعود متكلما مما يجعل القارئ يلتبس عليه الأمر، وبالتالي تكون الإشارات هي مفتاح إزالة اللبس و الغموض.

الملفوظ الثاني: فقام الأحنف بن قيس سيد بني تميم ، فقال: " إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، و إنا لن ننثي حتى نبثلي " ، فقال له زياد: صدقت." نجد في هذا الملفوظ ضمير المتكلم المفرد في البنية العميقة "أنا أقول إنما الثناء..." المشار به إلى "الأحنف بن قيس" ، وضمير جماعة المتكلمين في البنية السطحية المشار به إلى المخاطبين المستمعين، وقد تكرر للتأكيد "إنا لن ننثي..." و قول زياد "صدقت" فيه ضمير المتكلم في البنية العميقة "أنا أقول صدقت" المشار به إلى ذات الأمير زياد بن أبيه ، و ضمير المتكلم (تاء المخاطب) في البنية السطحية المشار به إلى "الأحنف بن قيس".

الملفوظ الثالث: فقام أبو بلال مرداس ابن أدية (أحد رؤساء الخوارج) و هو يهمس: " أنبأنا الله بغير ما قلت . قال الله تعالى: " و إبراهيم الذي وفى ، ألا تزر وازرة وزر أخرى ، و أن ليس للإنسان إلا ما سعى " و أنت تزعم أنك تأخذ البرئ بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمدير ، فسمعها زياد ، فقال: " إنا لا نبلغ ما نريد فيك و في أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً". ففي هذا الملفوظ نجد أن العنصر الإشاري الشخصي في "أنبأنا" و هو ضمير جماعة المتكلمين يشار به إلى "أبي بلال مرداس ابن أدية وجماعة المسلمين" ، أما تاء المخاطب في "قلت"، و ضمير "أنت" و كاف المخاطب قي "أنك" و البنية العميقة للضمير في "تأخذ" فيشار بهم إلى المخاطب " زياد بن أبيه" وفي رد زياد و جوابه على "ابن أدية" يتحول من المخاطب إلى المتكلم والضمير الذي يشير إليه هو "إنا" التي تسمى "نحن القاصرة" لاقتصارها على المتكلم دون سواه ،وهي مكررة في بنية الضمير العميقة "لا نبلغ"، أما "ابن أدية" فتغيرت وضعيته من المتكلم إلى المخاطب و يشار إليه بضمير "كاف المخاطب" المكرر ثلاث مرات في قوله: " فيك وفي أصحابك ..إليكم.." ، و قد اتصلت بالكاف ميم الجمع في الثالثة ليكون الكلام موجه لأصحابه جميعا الذين ينهجون مذهبه (الخوارج).

نوع الضمائر	العناصر المحيطة	المرجع
المخاطب	سفهاؤكم	أهل البصرة
المخاطب	حلماءكم	أهل البصرة
المخاطب	كأنكم	أهل البصرة
المخاطب	تقرؤوا	أهل البصرة
المخاطب	تسمعوا	أهل البصرة
المخاطب	أ تكونون	أهل البصرة
المخاطب	لا تذكرون	أهل البصرة
المخاطب	أنكم	أهل البصرة
المخاطب	أحدثتم	أهل البصرة
المخاطب	لم تسبقوا	أهل البصرة
المخاطب	ترككم	أهل البصرة
المخاطب	منكم	أهل البصرة
المخاطب	قريتم	أهل البصرة
المخاطب	باعدتم	أهل البصرة
المخاطب	تعذرون	أهل البصرة
المخاطب	تغضون	أهل البصرة

أهل البصرة	ما أنتم	المخاطب
أهل البصرة	اتبعتم	المخاطب
أهل البصرة	قيامكم	المخاطب
زياد بن أبيه	علي	المتكلم
زياد بن أبيه	أسويها	المتكلم
زياد بن أبيه	إني	المتكلم
زياد بن أبيه	أقسم	المتكلم
زياد بن أبيه	لأخذن	المتكلم
زياد بن أبيه	تستقيم لي	المتكلم
أهل البصرة	قناتكم	المخاطب
زياد بن أبيه	علي	المتكلم
أهل البصرة	حلت لكم	المخاطب
زياد بن أبيه	معصيتي	المتكلم
زياد بن أبيه	مني	المتكلم
زياد بن أبيه	عندي	المتكلم
أهل البصرة	منكم	المخاطب
زياد بن أبيه	أنا ضامن	المتكلم

زيد بن أبيه	فإني	المتكلم
زيد بن أبيه	سفكت	المتكلم
زيد و أهل البصرة	أجلتكم	المتكلم والمخاطب
أهل البصرة	إليكم	المخاطب
زيد بن أبيه	أجد	المتكلم
زيد بن أبيه	قطعت	المتكلم
أهل البصرة	أحدثتم	المخاطب
أهل البصرة	كفوا	المخاطب
زيد بن أبيه	أكف	المتكلم
أهل البصرة	عنكم	المخاطب
زيد بن أبيه	يدي	المتكلم
زيد بن أبيه	لساني	المتكلم
زيد بن أبيه	ضربت	المتكلم
زيد بن أبيه	جعلت	المتكلم
زيد بن أبيه	أذني	المتكلم
زيد بن أبيه	قدمي	المتكلم
أهل البصرة	منكم	المخاطب

أهل البصرة	أحدكم	المخاطب
أهل البصرة	فاستأنفوا أموركم	المخاطب
أهل البصرة	و أعينوا على أنفسكم	المخاطب
أهل البصرة	لكم . عنكم . عليكم	المخاطب
أهل البصرة	مناصحتكم	المخاطب
أهل البصرة	اعلموا	المخاطب
زياد بن أبيه	أني	المتكلم
زياد بن أبيه	قصرت . لن أقصر	المتكلم
زياد بن أبيه	لست محتجبا	المتكلم
أهل البصرة	منكم . لكم	المخاطب
أهل البصرة	ادعوا . أئمتكم . ساستكم	المخاطب
أهل البصرة	تشربوا . قلوبكم	المخاطب
أهل البصرة	غيظكم . حزنكم	المخاطب
أهل البصرة	تدركوا . حاجتكم	المخاطب
اهل البصرة	لكم .	المخاطب
زياد و أهل البصرة	رأيتموني	المتكلم والمخاطب
أهل البصرة	فيكم	المخاطب

المتكلم والمخاطب	أنفذه	زياد وأهل البصرة
المتكلم	لي	زياد بن أبيه
المخاطب	فيكم. منكم	أهل البصرة

في الخطبة تقابل إشاري بارز بين المتكلم الخطيب و المخاطبين أهل البصرة و قد تم توظيف المخاطب أكثر من ثلاثة و أربعين مرة أما المتكلم ثلاثون مرة وهذا مرتبط بالحالة النفسية التي كان عليها الخطيب فقد كان في سياق توبيخ وتقريع متتابع لهم مما استلزم توالي ضمائر المخاطبين أكثر من المتكلم نفسه ، وهذا لينفس عن غيظه منهم .ولم يستعمل النداء إلا مرة واحدة في سياق تقرير حقيقة جديدة وهي : أيها الناس: "إنا أصبحنا لكم ساسة " ليلفت انتباههم إن كانوا غافلين عن هذا.

ج-الإشارات الشخصية في خطبة داوود بن علي:

تختلف هذه الخطبة عن سابقتها في أن الخطيب أكثر من توظيف ضمير المتكلم الجمعي "نا " الجماعة، و ذلك لأن الخطيب لا يتحدث بلسانه ، و إنما بلسان الخليفة الذي ناب عنه في هذه الخطبة المهمة في بداية تأسيس أركان الخلافة العباسية ومنها: عدونا ، ميراثنا ، نبينا..و يشار بها إلى بني العباس أصحاب السلطة والسيادة ، وقد استعملها بصيغ مختلفة منها الضمير المتصل الظاهر، والضمير المنفصل "نحن" مثل:"و نحن على فرشنا"و الضمير المستتر في: " نحكم فيكم ..نعمل فيكم.." إن هذه الوفرة و التنوع في الإشارة ب"نحن" إلى بني العباس له من الدلالات و الإشارات ما يجعل المخاطبين يدركون المغرى

و الغرض ، ومنها الإيحاء بالعصبة والمنعة والقوة والإتحاد و هذا ما يشعر المخاطبين بالطمأنينة . وفي الإشارات الشخصية الموجهة للمخاطب قد وظف الخطيب النداء في قوله: "أيها الناس" وكررها ثلاث مرات بنفس الصيغة لما كان محتوى الخطبة يتناول سبب ثورة العباسيين و تعداد مساوئ بني أمية وفي الرابعة كان النداء بقوله: "يا أهل الكوفة" منتقلا من العموم إلى التخصيص لما كان محتوى الحديث خاصا يتناول العلاقة الودية بين أهل البيت و أنصارهم ومنهم أهل الكوفة الذين نعتهم بأنهم موطن ومصر أهل البيت. كما نوع في ضمائر المخاطب المشار بها إلى أهل الكوفة ومنها: كثرة توظيف كاف المخاطب المتصل بميم الجمع لأنه يخاطب جماعة من الناس لا واحدا مثل: نبيكم ، أموركم ، شئونكم ... الخ كما أشار إليهم بواو الجماعة مثل: و ادعوا الله لأمر المؤمنين...، و خذوا ..، و الزموا .

نوع الضمائر	العناصر المحيطة	المرجع
المتكلم	عدونا . إلينا ميراثنا.نبيينا إنا . ما خرجنا . نكثر . نحفر نبنينا . أخرجنا . حقنا . عمنا كرثنا . بهظنا . ترمضنا . فرشنا علينا . نحكم . نعمل . نسير أدالنا . نقدر . شرفنا . عزنا إلينا . حقنا . إرثنا . إنا .	كل ضمائر المتكلم الواردة ترجع إلى الخطيب العباسي داوود بن علي الذي يتكلم بلسان بني العباس .

	<p>مازلنا . مظلومين . مقهورين . حقنا . لنا . شيعتنا . حقنا . حجتنا . دولتنا . طاعتنا . فينا . منا نسلمه . أبلانا . أولانا .</p>	
المرجع	العناصر المحيلة	نوع الضمائر
كل ضمائر المخاطب ترجع إلى أهل الكوفة يوم إلقاء الخطبة	<p>نبيكم . بكم . عليكم .أموركم شئونكم . ترمضنا . فيكم . بكم لكم . منكم . ادعوا . أبدالكم أراكم . كنتم . تنتظرون تتشوفون . وجوهكم . أدالكم . إليكم . عليكم . خذوا . أتاكم . الزموا أمركم . إنكم . منبركم . اعلموا .</p>	المخاطب

2-الإشارات الزمانية

أ-الإشارات الزمانية في خطبة أبي بكر الصديق :

ما يلاحظ في هذه الخطبة غلبة الزمن النحوي المتمثل في أزمنة الأفعال الدالة على الحاضر و المستقبل ليتناسب مع طبيعة ظرف الذي أقيمت فيه الخطبة التي كانت مناسبة لإعلان السياسة المستقبلية المنتهجة في الحكم والتي لخصها الخطيب في أن مرجعها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. فلم يكن الخطيب منشغلا بالماضي و شئونه لأن الزمن حاسم لا يحتمل الإطالة في الكلام و الاستفاضة فيه، بل هي عبارات موجزة تحدد للأمة و ترسم لها معالمها ليتم بعد ذلك التفرغ للإتمام البيعة و الانطلاق الفعلي في العمل تحت السلطة الجديدة ، و أول ما كان ينتظر المسلمين آنذاك هو حلول وقت الصلاة ولا يجوز أن يبقوا دون إمام إلى أن يفوت وقتها، وتحديد الإمام يأتي بعد إتمام البيعة له و هذا ما حدث . هذا و رغم غلبة الزمن النحوي إلا أنه وظف ألفاظا قليلة جدا للزمن الكوني و هي : بعد ، و ما المصدرية الظرفية ، و إذا الظرفية ، فقوله " أما بعد " إشارة للزمن الفاصل بين ما قبلها و ما بعدها حيث يستل الخطيب خطبته بمقدمة تتضمن حمد الله و الثناء عليه ثم المرور إلى صلب الموضوع يكون عبر فاصل يتمثل في ظرف الزمان المسبوق ب"أما"التفصيلية الشرطية و المعنى: " أما بعد قولي... أو أما بعد ما قلته...، و في قوله: " أطيعوني ما أطعت الله ورسوله" وظف العنصر الإشاري "ما المصدرية الظرفية" الدالة على مدة زمنية معينة ، و معنى قوله: أطيعوني معشر المسلمين طيلة المدة الزمنية التي أكون فيها مطيعا لله و رسوله ، كما وظف "إذا الظرفية" في قوله:"فإذا عصيت...فلا طاعة لي عليكم" و هي ظرف لما يستقبل من الزمان .

و من زمن الأفعال في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق:

المرجع الزمني الذي تحيل عليه	زمنها النحوي	الصيغة الإشارية
الحاضر	الماضي	وليت
الماضي والحاضر	الماضي	لست
المستقبل	ماضي يفيد المستقبل	إن أحسنت
الحاضر و المستقبل	الحاضر	أعينوني
المستقبل	ماضي يفيد المستقبل	إن أسأت
الحاضر والمستقبل	الحاضر	قوموني
المستقبل	الحاضر	حتى أريح
المستقبل	ماضي يفيد المستقبل	إن شاء الله
المستقبل	الحاضر	حتى آخذ
جميع الأزمنة	الماضي	لا يدع
جميع الأزمنة	الماضي	ضربهم
جميع الأزمنة	الماضي	لا تشيع
الزمن المستمر	ظرف زمان للماضي	قط
جميع الأزمنة	الماضي	عمهم
الحاضر و المستقبل	الحاضر	أطيعوني

الزمن المستمر مدة الخلافة	ماضي يفيد المستقبل	ما أطعت
المستقبل	ماضي يفيد المستقبل	إذا عصيت
الحاضر	المستقبل	قوموا
الحاضر والمستقبل	الحاضر	يرحمكم

ب-الإشارات الزمانية في الخطبة البتراء:

مزج الخطيب بين إشارات الزمن الكوني و الزمن النحوي بحسب ما يتطلبه المقام و ما يقصده المتكلم، فمن إشارات الزمن الكوني: الاستهلال ب"أما بعد" موظفا الظرف "بعد" الدال على الزمن المتأخر و غرضه الفصل بين الكلام السابق و الكلام اللاحق له ، كما استخدم لفظ "الزمن السرمدى" الدال على الزمن الدائم بعد البعث ، وفي حديثه عن جرائم المفسدين من أهل البصرة و ظف ألفاظا محددة لزمن تلك الأحداث وهي: "النهار و الليل" فإن كان الليل زمنا معتادا و مناسبا عند المجرمين لارتكاب جرائمهم فإن الفساد استشرى في البصرة إلى درجة أنه أصبح في النهار المبصر ، و في هذا دليل واضح على ما للعنصر الإشاري من أهمية في توضيح المعنى لاسيما إذا أحسن المتكلم استعمالها.

إشارات الزمن النحوي في الخطبة البتراء: لا يتحدد الزمن في الصيغة الصرفية للفعل دائما ، و إنما يتعين من خلال السياق ، و بالاستعانة بالقرائن اللفظية و المعنوية مع القرائن الحالية التي تعين المقام الآتية من خارج السياق و الكامنة في ذهن السامع أو القارئ ، و ذلك لأن متطلبات المعنى و المبنى تجعل الأحداث الماضية ترد بصيغة المضارع أو أن

الأحداث المستقبلية ترد بصيغة الماضي بشرط أمن اللبس و الالتباس¹، إضافة إلى حسن اختيار المتكلم للصيغة و العناصر اللغوية المناسبة ، كل هذه العوامل مجتمعة ترشد المتلقي إلى الزمن المقصود من قبل المتكلم. و سنأخذ أمثلة من الخطبة على الزمن النحوي من خلال صيغ الأفعال الثلاثة(الماضي و المضارع و الأمر) و دلالتها الزمانية المتغيرة بحسب الاستعمال و السياق الذي وردت فيه.

1 - الفعل الماضي و دلالاته:

أ - دلالاته على الماضي: يدل الفعل الماضي على زمن ماضٍ في صيغته الصرفية المجردة ، و في الزمن النحوي (السياقي) يكون توظيف الفعل زمنياً بحسب مراد المتكلم ، و في حالة توظيفه للدلالة على الزمن الماضي فإنه يستعمل صيغة الفعل الماضي الخالية من القرائن المؤثرة في الدلالة الزمنية ، ومما ورد منها في هذه الخطبة: (أعد ، طرفت ، سدت ، أختار ، كانت ، ...) وقد جاءت مناسبة للتذكير بما ارتكبه من جرائم و انتهاكات ، حيث أن ما أخبر به الأمير قد حدث في الماضي وكانت النتيجة هذا التوبيخ و التهديد .

ب - دلالة الفعل الماضي على الحال: وظف المتكلم أفعالاً عديدة بصيغة الماضي إلا أنها جاءت في السياق دالة على الحاضر ومنها: (أحدثتم، قريتم ، باعدتم ، اتبعتم ، انتهكوا ، أظرقوا) و هي أفعال يسرد من خلالها جرائم مجرمي البصرة التي لم تكن قد انتهت بل كانت مستمرة حتى زمن إلقاء هذه الخطبة وما بعدها فالأمير في بداية توليه المسؤولية ولم يعرف المجرمون بعد صرامته ، والدليل على استمرار الجرائم إلى يوم الخطبة هو سماعه في تلك

¹ ينظر: كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008 ، ص 55 ، 56

الليلة أصوات لأناس بصدد ارتكاب جرائمهم المعتادة¹ ، و جاءت دلالة الفعل الماضي (رأيت) للزمن الحاضر حيث أن المتكلم زياد بن أبيه وهو يبين معالم سياسته الجديدة يعلن لهم و يصرح بما يراه مناسباً لهم في حين التلفظ ، وبالتالي فهو الحقيقة يرى ما يرى في الحال و اللحظة ، لا أنه رأى ذلك في الماضي. و في الفعل (أحدثنا) الذي ورد بصيغة الماضي فإنه زمنه المقصود هو الحاضر فالخطيب استخدم الفعل للدلالة على ما يقوم به ابتداء من لحظة تلفظه بالفعل ، فهو بمثابة مرسوم أميري يجري سريانه مع التلفظ به مباشرة ما يسمى في نظرية أفعال الكلام بالأفعال الإعلانية التي تعتبر منجزة مع تمام النطق بها. و في قوله: (أصبحنا) فعل ماضي دال على الزمن الحاضر كذلك فالفعل ورد في تركيب "إنا أصبحنا لكم ساسة" فزمن الفعل يتماشى مع السياق الحالي للمعنى وهو الإعلان الرسمي عن تولي الأمير ولاية البصرة. وفي الفعلين الماضيين: (أعطانا ، حولنا) دلالة زمنية حالية ففي " أعطانا" يتحدث عن السلة التي أعطاها الله عز وجل لهم في الحاضر و نقس الأمر في الفعل "حولنا" و للفعلين الماضيين: (أوتيت و كذبت) دلالة الزمان الحاضر ، فأوتيت الحكمة الآن في حين التلفظ بالخطبة ، و "كذبت" الآن كذلك رداً على من قال : أوتيت الحكمة. و كذلك الأمر في قول زياد للآخر : (صدقت) دالاً به على الحالية ، أما ملفوظ بلال بن أديّة: " أنبأنا الله بغير ما قلت" فيشتمل على فعلين ماضيين في الصيغة فقط فالفعل "أنبأنا" يحمل دلالة الاستمرارية لأن ما ورد في القرآن الكريم من نبأ و إخبار فهو لا يختص بزمن معين و إنما لكل زمان ويقصد به المتكلم هنا الزمن الحالي المستمر ، أما "قلت" فيقصد به ما قلته الآن يا زياد في خطبتك.

¹ "لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة و نزل ، سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال: ما هذا؟ قالوا: إن البلد مفتون ، و إن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتیان الفساق ، فيقال لها : نادي ثلاثة أصوات ، فإن أجايبك أحد ، و إلا فلا لوم علينا فيما نصنع " أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج2 ، ص258

ج - دلالة الفعل الماضي على المستقبل: يحتاج الخطيب في وضعيات سياقية معينة أن يوظف هذا النوع من الأفعال لتأكيد كلامه و حتى يعلم المخاطب أن ما تلفظ به المتكلم سيتحقق ، و في الخطبة البتراء حديث عن السياسة الجديدة المنتهجة يقابله مخاطبون طبع في أنفسهم التمرد على الحكام الأمويين لذلك خاطبهم بما سيصنع معهم متوعدا و مهددا بصيغ الماضي الدال على المستقبل لتأكيد تحقيق وقوع الفعل و أن لا يظنوا أنه حاكم ضعيف يقول لمجرد القول فقط ، ومن هذه الأفعال ما ورد في الملفوظات التالية : " فإذا تعلقتم علي بكذبة ، فقد حلت لكم معصيتي" ، فالفعلين الماضيين "تعلقت" " حلت" وردا في سياق الجملة الشرطية و جوابها فجاءت دلالتها على الزمن المستقبل ونفس الشيء في الفعلين الواردين في هذا الملفوظ " فإذا سمعتموها مني ، فاغتمزوها في" ، و في هذا القول: "من نقب منكم عليه، فأنا ضامن لما ذهب منه" دل زمن الفعل الماضي "نقب" على الزمن المستقبل في سياق تعهد الأمير بضمان استرداد أملاك المعتدى عليهم ، وقوله: " فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه" استخدم الفعلين "أوتى" و "سفكت" بصيغة الماضي كذلك ذات الدلالة المستقبلية ، أي من سيأتي متلبسا بجرم سأسفك دمه ، وغرضه من الإتيان بالفعل على صيغة الماضي لتحقيق و توكيد وقوع العقوبة و كأنها حدثت بالفعل، وفي الملفوظ: " لقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة و يرجع إليكم" ، استعمل الفعل الماضي " أجلتكم" للدلالة على المستقبل ، لأنه كان بصدد إعلان القوانين فقط حين التلطف ، و لذلك فالمفصود سيؤجلهم بمقدار المدة التي ذكرها ، ومن وجده يتجول يقتله لمخالفته الأمر، و هذا كان في سياق إعلان "حظر التجول ليلا" ، و في قوله: " فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه" وظف الفعلين الماضيين: "دعا" و "قطعت" للدلالة على المستقبل حيث جاءت بعد الفعل المضارع و لأنها في سياق التهديد والوعيد المتواصل والذي يتناسب مع مستقبل من الزمان ، و في هذه الأقوال المتتابعة الآتية نجد الأفعال الماضية كله وردت في سياق الشرط وجوابه دالة على الزمن المستقبل المناسب لطبيعة التعهد و الالتزام ،

و تعدد الإتيان بها على صيغة الماضي ليبث من خلالها الخوف في نفوس المجرمين ليعلموا أن وعده بمثابة التنفيذ في الوقت ذاته وهي : " من غرق قوما غرقناه ، و من أحرق قوما أحرقناه ، و من نعب بيتا نقبنا عن قلبه ، و من نبش قبراً دفناه حيا فيه " ، و في قوله : " و إلا ضربت عنقه " يتوعد بصيغة الماضي الذي يدل على المستقبل حتى يعلم من قام بالجرم أن رأسه في حكم المقطوع سابقا ، أما قوله الآتي : " فمن كان منكم محسنا ... ، و من كان منكم مسيئاً ... " فيرتبط فيه الفعل " كان " بسياق الشرط الدال على المستقبل ، و في الملفوظ : " إنني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي ... " ورد الفعلان " علمت " و " قتله " بصيغة الماضي كذلك دالان على المستقبل مرتبطان بسياق أسلوب الشرط ، و المقصود : لو سأعلم ، و سيقته السل ، لكن الصيغة الماضية أبلغ تأثيراً في المخاطب و أكثر غوراً ، و في الملفوظ : " و اعلموا أني مهما قصرت " و ظف الفعل الماضي " قصرت " قاصداً به " سأقصر " في الزمان المستقبل .

2 - **الفعل المضارع و دلالاته** : وهو ما كان على " يفعل " و هو ما يسمى بالفعل المضارع و هو الذي يدل في أكثر استعمالاته على وقوع الحدث في زمن التكلم¹ (الحاضر) ، أما سيبويه فقد جعل المضارع (يفعل) دالاً على الحال و المستقبل ، فقد ورد في شرح الكتاب لسيبويه : " و الحال و المستقبل الذي ليس بأمر يختصان ببناء واحدا ، إلا أن يدخل عليه حرف يخلص له الاستقبال و هو سوف و السين و أن الخفيفة"² . و لما يكون و لم يقع (المستقبل) وهو الذي يحدث عن وجوده في زمان لم يكن فيه و لا قبله ، و لما هو كائن لم ينقطع (الحاضر) أي كون الإخبار عن وجوده هو زمان وجوده و يكون زمن التلفظ به و ما يقال

¹ كمال رشيد ، الزمن النحوي في اللغة العربية ، ص 40

² أبي سعيد السيرافي ، شرح كتاب سيبويه ، ج 1 ، تح : أحمد حسن مهدي و علي سيد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2008 ، ص 18 ،

عليه الفاصل بين ما مضى و يمضي¹ ، أي أن الزمن الحاضر حدوده بلحظة النطق بالفعل المضارع و هناك من جعل زمن الحال أطول نسبيا فجعلوه بين نهاية الماضي و بداية المستقبل ، لأنه لو أخذنا بتعيينه زمن النطق به فقط لأصبح الفعل ماضيا بعد انتهاء التلفظ مباشرة ، و لذلك يقول السيد أحمد الهاشمي أن الفعل المضارع "ما يدل على حدث يقوم في زمان التكلم أو بعده"².

أ - دلالة المضارع على الحال و المستقبل: معلوم لنا أن الفعل المضارع ما دل على حدث في الزمن الحاضر أو المستقبل ، و لهذا سنقوم بدراسة دلالة الفعل في الزمنين (الحاضر والمستقبل) ، حيث يختص الفعل المضارع بالدلالة على زمن الحال أو المستقبل إذا اتصلت به قرائن لفظية أو معنوية ، و من أمثلة الزمنين في الخطبة البتراء قول زياد بن أبيه: "ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماءكم..." حيث دل الفعل "يشتمل على الزمن الحاضر لحظة التلفظ ، أي أن الجهل و الضلال هو ما أنتم عليه الآن من فساد ، ثم يقول لهم معاتبا: "أكونون كمن طرفت عينيه الدنيا..." فكان الفعل المضارع "تكونون" دالا على الحال أي في الوقت الذي يخاطبهم المتكلم ، ولنتقل إلى قوله: " في الزمن السرمدى الذي لا يزول" فالفعل "لا يزول" اختص بالمستقبل لتعلقه بالزمن السرمدى الدائم ووصفه له بهدم الزوال ، ولاقترانه بلا النافية، وفي قوله في وصف ما يصنع المجرمين وتماديهم في ذلك: " صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا"، فالفعلان "لا يخاف و لا يرجو" دالا على المستقبل لاقترانهما بلا النافية و مجيئهما في سياق ما يتضمن المستقبل و يقع فيه وهي (العاقبة و المعاد) ، و قوله: " حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدمًا و إحراقًا"، فالفعل المضارع "أسويها" ورد في سياق الوعد دال على ما يستقبل من الزمان ، ويمكن أن نفهم من سياق

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 18

² أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية في اللغة العربية، دار الرجاء، عنابة، الجزائر، ص 18

الكلام أنه يقصد المستقبل القريب جدا لأنه حرم على نفسه الأكل والشرب و هذا لن يدوم طويلا ، و لأن الجرم خطير لا يستحق التأجيل ، وفي قوله في سياق الوعد والوعيد: " و إنني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى ...حتى يلقي الرجل منكم أخاه ، فيقول: "أنج سعدا فقد هلك سعيد" أو تستقيم لي قناتكم" فالفعل "أقسم" دال على الحال فزمنه هو لحظة التلفظ به ، ووظف أفعالا مضارعة دالة على المستقبل وهي "آخذن" فالأخذ بجريرة المذنب يكون في المستقبل وتحديده الزمني يكون بارتكاب الجرم ، و كذلك الشأن في الأفعال: "يلقى ، يقول ، أنج" فزمنها يختص بالمستقبل ، فقد وردت في إطار الوعيد و تحديد زمنها يكون بعد إنجاز الخطيب لوعده و تنفيذ العقوبة .ومن أمثلة هذه الأفعال ما ورد في هذا الملفوظ: "...لم أكتشف له قناعا ، و لم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته"، فجاءت الأفعال "أكتشف ، أهتك ، يبدي" دالة على المستقبل إذ وردت في سياق الشرط والوعد الذي قطعه الخطيب على نفسه ، ويضاف إلى الفعل "حتى يبدي" اقترانه بأداة النصب "حتى" ، و في قوله: "فرب مبيتس بقدمونا سيسر ، و مسرور بقدمونا سيبتس" جاء الفعلان المضارعان " سيسر و سيبتس" دالان على المستقبل القريب لاقترانهما بحرف التنفيس "السين" ، وفي الملفوظ: "لن أقصر عن ثلاث" اقترن الفعل "أقصر" بأداة النصب "لن" فدل على المستقبل ، وفي الملفوظ: "و متى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم ، فيشتد لذلك غيظكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم" جاءت الأفعال المضارعة دالة على المستقبل لوقوعها في جملة الشرط وجوابه "يصلحوا ، تصلحوا" و لاقترانها ب"لا الناهية" "ولا تشربوا" ، و لاقترانها بأداة نصب المضارع المتمثل في "فاء السببية الواقعة بعد طلب" في "فيشتد" ومثله "و يطول" المعطوف على الفعل المضارع المنصوب قبله و كلاهما دلا على ما يستقبل من الزمان. و في الفعل "لا تركوا" اقترن بلا الناهية كذلك فدل على الاستقبال ، وفي قوله: "أسأل الله أن يعين كلا على كل" دل فيه الفعلان المضارعان على المستقبل لمجيئهما في سياق الدعاء ، وفي قوله: "إذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر" فالفعل "أنفذ جاء في جملة شرطية مفيدا بذلك المستقبل. و في قول

عبد الله بن الأهمم مخاطبا الأمير زياد: " أشهد أيها الأمير... " جاء المضارع "أشهد" دالا على الحال ، وهو زمن التلفظ بالفعل ، أما قول الأحنف بن قيس مخاطبا الأمير أيضا: "إنا لن نثني حتى نبثلي" أفاد الفعلان الواردان فيه الزمن المستقبل لاقترانهما بأداتي النصب "لن" و"حتى" ، أما ملفوظ ابن أديّة: " و أنت تزعم أنك تأخذ البريء بالسقيم " فيشتمل على الفعل "تزعم" الدال على الحال زمن التلفظ به فالمقصود أنت تزعم الآن في قولك ، أما الفعل "تأخذ" فهو دال على المستقبل لوقوعه في سياق الوعد الذي وعده الخطيب، وفي الملفوظ الوارد على لسان زياد بن أبيه: "إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوفا" جاء الفعل "نبلغ" بعد لا النافية دالا على المستقبل يتبعه الفعل "نريد" الواقع في نفس السياق و جاء الفعل "نخوض" مقترنا ب "حتى" الناصبة مفيدا الاستقبال.

ب - دلالة المضارع على الماضي: قد تتحول دلالة الفعل المضارع من زمن الحال و الاستقبال إلى الزمن الماضي إذا اتصلت به قرائن لفظية أو معنوية ، ومن الأفعال المضارعة صيغة وإعرابا الماضية معنى و زمنا ما جاء في قول الخطيب: " كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، و لم تسمعوا ... "، حيث دل الفعلان المضارعان (لم تقرأوا ، لم تسمعوا) على الماضي لاقترانهما ب"لم" أداة الجزم والنفي و القلب وظيفتها أنها تقلب زمن المضارع من الحاضر إلى الماضي، و في الملفوظ التالي: "أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه" جاء فيه الفعل "لم تسبقوا" متغيرا زمنه إلى الماضي لاقترانها بلم ، وهكذا بالنسبة للمثاليين الآتيين : ألم يكن منكم نهاية؟" ، و " فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام"، فالفعلان: "لم يكن" و "لم يزل" دل زمنهما على الماضي . ورغم أن الفعل المضارع تتحول دلالاته الزمانية من الحال و الاستقبال إلى الماضي بدخول "لم" عليه ، إلا أن للسياق العامل إلا أن هذا لا يعني تجاوز سياق التلفظ ، فقد يقترن المضارع بلم ولا يدل على الماضي بل يفيد المستقبل و لاسيما إذا وقع في ملفوظ تضمن معنى الشرط مثل ماورد في

الخطبة في: "إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم اكشف له قناعا ولم أهتك له سترا، .. فإذا فعل ذلك لم أناظره" فكما نرى تغلب زمن المستقبل لأن الشرط سبق اقتران الفعل ب"لم".

3- دلالة فعل الأمر على الزمن: اقترن فعل الأمر بالمستقبل و ذلك لأنه يتضمن طلب القيام بفعل ما ، و عادة ما تكون بداية زمن المستقبل بعد انتهاء صيغة التلطف على الأقل ، و من أفعال الأمر في هذه الخطبة ما ورد في الملفوظ التالي: " و اعلموا أن عندي أمثالها" أي طلب العلم فيما سيأتي من أمثالها تباعا ، فالطلب كما نرى يكون بعد انتهاء التلطف بالأمر. و في قوله "فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا ، ...فلينزح عن إساءته" ، فلم يأت الأمر على صيغة "افعل" و إنما بصيغة المضارع المقترن ب"لام الأمر"دالا على المستقبل ، إضافة إلى وقوعه في سياق الشرط.وفي قوله: " فادعوا الله بالصالح لأئمتكم" دل الأمر بطلب الدعاء على المستقبل الذي يبتدىء بعد التلطف بالطلب ، وفي الملفوظ: " و إذا رأيتموني ..فأنفذوه على إذلاله" ، جاء الفعل دالا على المستقبل لأنه أمر مختص به يضاف إليه سياق الشرط ، وفي الملفوظ: "فليحذر كل امرئ أن يكون من صرعاي"جاء الفعل "فليحذر" دالا على المستقبل لأنه فعل أمر ، كما أنه ورد في سياق الوعيد .

الصيغة الإشارية	الزمن الكوني	المرجع	الغرض التداولي
بعد	الزمن المتأخر	دالة على ما بعدها	الفصل
الزمن السرمدى	بعد الموت	الآخرة	تذكير و تأنيب
في النهار المبصر	النهار	النهار وقت الحركة	التوبيخ
دلج الليل	الليل	أول الليل	التوبيخ
إيأي و دلج الليل	الليل	أول الليل	بداية منع التجول
مدلج	الليل	الذي يسير ليلا	عقاب الساري
طارقا بليل	الليل	من له حاجة بليل	السعي في قضاء حوائج الناس ولو ليلا

أكثر الخطيب زياد بن أبيه من توظيف زمن "الليل" بلفظه و بمعناه مثل "الوقت المتأخر" وهذا لأنه في مقام التهديد والوعيد بسبب ما ساد في البصرة من جرائم التي تحدث عادة بالليل و في وقت متأخر ثم إن ردة فعله على المجرمين كان منع التجول في وقت نشاطهم المفضل (الليل).

الغرض التداولي	المرجع	الزمن النحوي	الصيغة الإشارية
التوبيخ	أهل البصرة	الحاضر	ما فيه سفهاؤكم
التوبيخ	أهل البصرة	الماضي	لم تقرأوا. لم تسمعوا
التوبيخ	أهل البصرة	الحاضر	لا تذكرون
التوبيخ	أهل البصرة	الماضي	أحدثتم
السياسة الجديدة	زياد بن أبيه	الماضي القريب	إني رأيت
السياسة الجديدة	زياد بن أبيه	الحاضر	إني أقسم بالله
السياسة الجديدة	زياد بن أبيه	المستقبل	لأخذن الولي بالمولى
الحزم في التطبيق	أهل البصرة	ماضي للمستقبل	إذا تعلقتم
الحزم في التطبيق	أهل البصرة	ماضي للمستقبل	فقد حلت
التحدي و الصرامة	أهل البصرة	المستقبل	اعلموا
تطبيق العدل	أهل البصرة	الماضي	من نقب منكم عليه
تطبيق العدل	زياد بن أبيه	المستقبل	فأنا ضامن
الحزم في التطبيق	زياد بن أبيه	ماضي للمستقبل	لا أوتى
الحزم في التطبيق	زياد بن أبيه	ماضي للمستقبل	سفكت
الجزاء بالمثل	أهل البصرة	ماضي للمستقبل	من غرق
الجزاء بالمثل	زياد بن أبيه	المستقبل	أغرقناه

المعاملة بالمثل	أهل البصرة	المستقبل	كفوا
المعاملة بالمثل	زياد بن أبيه	المستقبل	أكف
حث على الصلاح	أهل البصرة	المستقبل	فليزدد. فليززع
تقرير الأمر الواقع	زياد بن أبيه	الحاضر	إننا أصبحنا. نسوسكم
السياسة المنتهجة	زياد بن أبيه	المستقبل	لست محتجبا.
السياسة المنتهجة	زياد بن أبيه	المستقبل	لاحابسا. ولا مجمرا
توجيه وإرشاد	أهل البصرة	المستقبل	ادعوا الله. لا تشربوا.

لقد نوع الخطيب في توظيف الزمن بين الماضي المناسب للتذكير بجرائم المفسدين و الحاضر الذي يناسب الحال التي وجدهم عليها من تلبس بالجرم و الحال الجديدة المتمثلة في تعيينه واليا عليهم مما ينبئ بالتغيير، أما المستقبل ففيه توافق مع ما سنه من قوانين جديدة لفرض الأمن والنظام في البلاد.

ج-الإشارات الزمنية في خطبة داوود بن علي: لم تخل خطبة داوود بن علي من مختلف الإشارات الزمنية سواء منها الكونية أو النحوية ، ومنها:

إشارات الزمن الكوني: وظف الخطيب "الآن" التي تشير إلى الزمن الحاضر و يقصد به زمن التلفظ ، فتحديد مرجع المشيرات الزمنية مفيد جدا في فهم الخطاب لتغير دلالاتها و مرجعها بحسب استعمالها في السياقات المختلفة ، فدلالة "الآن" و مرجعها في هذا الملفوظ

تختلف عن دلالتها و مرجعها في ملفوظ آخر ، و في الملفوظ: "آثروا في مدتهم و عصرهم العاجلة على الآجلة" حيث وظف كلمتي "مدتهم وعصرهم" التي تشير إلى الفترة الزمنية التي حكم فيها بنو أمية ، و في قوله: " فأتاهم بأس الله بياتا و هم نائمون" ، استعمل كلمة "بياتا" مشيرا بها إلى زمن الليل الذي يعد الزمن المفضل للمصائب التي تأتي على حين غرة ، و قد استعمل لفظة الجمعة مشيرا بها على يوم من أفضل أيام الأسبوع عند المسلمين في قوله: "أن يخط بكلام الجمعة غيره".

إشارات الزمن النحوي:

1 - الفعل الماضي و دلالاته:

أ - دلالاته على الماضي: ورد في خطبة داوود بن علي قوله « الذي أهلك عدونا » مستعملا الفعل الماضي "أهلك" دالا على زمن بني أمية المنصرم ، وفي الملفوظ: « و ما كرتنا من أموركم ، و بهظنا من شئونكم ، ولقد كانت أموركم ترمضنا» جاءت الأفعال الماضية دالة على أحداث قام بها بنو أمية أثناء حكمهم قبل زواله، مع الإشارة إلى الماضي القريب خاصة في اقتران الفعل "كانت" بقد التي تعيد تقريب الزمن الماضي إلى الحال ، و في قوله: « آثروا في مدتهم و عصرهم العاجلة على الآجلة...فركبوا الآثام و ظلموا الأنام و انتهكوا المحارم و غشوا الجرائم ، و جاروا في سيرتهم في العباد...استلذوا تسربل الأوزار .. مرحوا ، و ركضوا في ميادين الغي» كلها أفعال ماضية تشير إلى الزمن الماضي الذي يتناسب مع سرد الوقائع و الأفعال التي قام بها الأمويون في زمنهم ، وفي قوله: «فأتاهم بأس الله بياتا و هم نائمون ، فأصبحوا أحاديث ، و مزقوا كل ممزق» استعمل أفعالا ماضية للدلالة على الزمن الماضي لأنه في سياق سد ووصف ما جرى لبني أمية، وفي هذا الملفوظ: « وقد غره بالله الغرور ، أرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه »

وصف لحال الخليفة الأموي المقتول و كيفية هزيمته لذلك وطف الزمن الماضي القريب من الحاضر ، بدخول "قد" على الفعل "غره" ، فهو في سياق وصف ما وكان ووقع بالأمس القريب فقط ، أما قوله: « فظن عدو الله أن لن نقدر عليه فنادى حزبه و جمع مكائده و رمى بكتائبه ، فوجد أمامه ... ما أمات باطله و محق ضلاله و جعل دائرة السوء به » فقد سرد أحداثا انتهت واكتملت و أینعت ثمرتها وهي نجاح الثورة العباسية ،أما في الملفوظ: « الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها» فيشير زمنه إلى الماضي غير القريب لأنه يقصد السلف الصالح الماضين، و في قوله: « ألا و إنه ما سعد منبركم هذا خليفة... » ، فيشير إلى الماضي و لاسيما زمن رسول الله ﷺ ، و زمن خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ب - دلالة الماضي على الحاضر: لا تقتصر دلالة الفعل الماضي الزمنية على الماضي سواء البعيد منه أو القريب ، وإنما تتغير دلالاته في الاستعمال و في سياق التلفظ إلى أزمنة أخرى و منها الزمن الحاضر ومما ورد منه في هذه الخطبة نجد ما قاله داوود بن علي في سياق استرجاع الحكم من الأمويين: « و أصار إلينا ميراثنا من نبينا » حيث استعمل الفعل الماضي "أصار" مشيرا به للزمن الحاضر وهو يحمل معنى التحول ، وقد جاء في هذا السياق متحولا من زمن الاضطهاد و الثورة السرية إلى زمن الانتصار و استرداد حق الخلافة ، و في قوله: « الآن أقشعت حنادس الدنيا ، و انكشف غطاؤها ، و أشرقت أرضها و سماؤها ، و طلعت الشمس من مطلعها ، و بزغ القمر من مبرغه ، و أخذ القوس باريها ، و عاد السهم إلى النزعة ، و رجع الحق إلى نصابه» اقترن الفعل "أقشعت" بظرف الزمان "الآن" مما جعله يدل على الحاضر وجاءت الأفعال الماضية الأخرى معطوفة على الفعل المقترن ب"الآن" مما جعلها تشير على نفس الزمن ، وفي الملفوظ التالي: « إنا و الله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجينا ، و إنما أخرجنا الأنفة ...» وردت الأفعال في سياق تبرير سبب الخروج على الأمويين فجاءت دالة على الحاضر الذي حدث فيه التعليل و

التفسير المؤكد بالقسم ، و في قوله: « و أدالنا الله من مروان » وظف الماضي الدال على الحاضر لأن الفعل يحمل معنى انتهاء الحكم إلى العباسيين وهو الحاضر الذي يتحدث عن الخطيب ، وفي نفس السياق وردت الأفعال الماضية مشيرة إلى الزمن الحاضر في: « و أحيأ شرفنا و عزنا ، ورد إلينا حقنا و إرثنا » ، أما في الملفوظ: «إن أمير المؤمنين ... إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، و إنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك ، ... ، فقد أبدلكم الله بمروان ... الشاب المقتدي بسلفه الأبرار» وردت الأفعال الماضية دالة على الحاضر ، فالخطيب يتحدث عن أمر جرى و يجري في المسجد الذي يخطب فيه وهو أن أمير المؤمنين لم يكمل خطبته بسبب المرض فتقدم عمه صاحب هذه الخطبة ليواصل الكلام بدلا من الخليفة ، فكانت الأفعال ماضية صيغة لكن زمنها يختص بالحاضر مما جعلها تقييد التأكيد ،أما في القول:«فجع الناس له بالدعاء» فإن الفعل "عج" يدل على الحاضر لأن الناس دعوا لأمير المؤمنين أثناء الخطبة، و في قوله: « حتى أتاح الله لنا أهل شيعتنا.. فأحيأ بهم حقنا ، و أفلج بهم حجتنا ، و أظهر بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون... فأظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيض به وجوهكم و أدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام ، ومن عليكم بإمام منحه العدالة و أعطاه حسن الإيالة... » كل ما في هذا القول من أفعال ماضية عدا "ما كنتم" هي دالة على الحاضر الذي هو في سياق التغيير الذي حدث في الخلافة و انتقال الحكم للعباسيين ، وفي القول: « و أشار بيده إلى أبي العباس» استعمل الفعل الماضي "أشار" للمعنى المقصود "يشير" فجاء في السياق دالا على الحاضر.

ج - دلالة الماضي على المستقبل: « لكم ذمة الله تبارك وتعالى و ذمة رسوله صلى الله عليه و سلم و ذمة العباس رحمه الله » وردت الأفعال: "تبارك" و"تعالى" و "صلى" و"سلم" بصيغة الماضي في اللفظ لكنها لا تشير إلى زمن محدد من الأزمنة المعروفة. أما الفعل

في: "رحمه الله" فهو ماضي يدل على المستقبل لوقوعه في سياق الدعاء. و في القول: «إن أمير المؤمنين -نصره الله نصرا عزيزا» جاء الفعل الماضي "نصر" في سياق الدعاء كذلك دالا على المستقبل .

2 - الفعل المضارع و دلالاته:

أ - دلالة المضارع على الحاضر و المستقبل: « إنا والله ما خرجنا في هذا الأمر لنكثر لجينا و لا عقيانا ، ولا نحفر نهرا ، ولا نبني قصرا» ففي هذا الملفوظ وظف الأفعال المضارعة "نكثر، نحفر ، نبني" مشيرة إلى الزمن المستقبل ، أي لن نفعل فعلا من هذه الأفعال المذكورة ، و في الملفوظ: « لكم نمة الله... أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل... و نسير ... بسيرة رسول الله ﷺ» جاءت الأفعال المضارعة في سياق الوعد مشيرة إلى المستقبل الزمن المناسب للالتزام و التعهد ، و في القول: «ولا تخدعوا عن أنفسكم» أشار المضارع إلى المستقبل لمجيئه في صيغة النهي ، و في القول: «حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم» دل الفعل "نسلمه" على المستقبل لاقترانه بأداة النصب "حتى" و سياق التلطف الدال على زمن مستقبل .

ب - دلالة المضارع على الماضي: « و لقد كانت أموركم ترمضنا ... و يشد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم» ففي ذا الملفوظ وقع الفعلان المضارعان: "ترمضنا" و "يشد" دالان على الماضي لمجيئ الأول في خبر "كان" و لعطف الفعل الثاني على ما قبله ، أما في: « فظن عدو الله أن لن نقدر عليه» فقد وقع المضارع دالا على الماضي لمجيئ في سياق الماضي "ظن" ، وفي قوله: « و أراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تتشوفون» ورد الفعلان المضارعان في سياق خبر "كان" فدلا على الزمن الماضي ، أما القول: « أنه كره

أن يخلط بكلام الجمعة غيره» فالفعل "يخلط" يشير إلى الماضي القريب من الحاضر لوقوعه في سياق الفعل الماضي قبله ، و لأن الخطبة جرت بعد هذا الحدث بلحظات فقط .

3- دلالة فعل الأمر على الزمن: يختص فعل الأمر بالزمن المستقبل و منه ما ورد في: « و ادعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية » حيث طلب الخطيب من السامعين بالدعاء للخليفة بالشفاء ،وقي المفوظ: « فخذوا ما أتاكم الله بشكر ، والزموا طاعتنا » يطلب من الرعية التزام الشكر و الطاعة ،وفي قوله: «فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا» يطلب من الاعتقاد و العلم اليقين بأن الخلافة ستبقى لهم لآخر الزمان ، وكل هذه الأوامر الطلبية مرتبطة بالمستقبل.

الصيغة الإشارية	الزمن الكوني	المرجع	الغرض التداولي
الآن	الحاضر	بنو العباس	انتصار العباسيين
أشرفت...وسماؤها	شروق الشمس	الدنيا	رجوع الحق لأهله
طلعت الشمس	شروق الشمس	الدنيا	رجوع الحق لأهله
بزغ القمر	الليل	الليل	رجوع الحق لأهله
مدتهم و عصرهم	41هـ - 132هـ	زمن حكم بني أمية	كشف مساوئهم
بياتا	الليل	بنو أمية	كشف مساوئهم
الجمعة	اسم اليوم	وقت صلاة الجمعة	إظهار ورع الحاكم
نسلمه إلى عيسى بن مريم	آخر الساعة	الخلافة العباسية	استمرار الخلافة العباسية إلى آخر الزمان

الغرض التداولي	المرجع	الزمن النحوي	الصيغة الإشارية
تعبير عن الامتنان	داوود بن علي	الحاضر	شكرا
شماتة في أعدائه	الله عز وجل	الماضي	أهلك
ابتهاج بالنصر	الله عز وجل	ماضي للحاضر	أصار
انتصار العباسيين	الدنيا	ماضي يفيد الحال	انكشف.أشرقت.طلعت.
رجوع الحق لأهله	العباسيين	ماضي يفيد الحال	بزغ.أخذ.عاد.رجع
الثورة على العدو	العباسيين	الماضي القريب	ما خرجنا
كسب ثقة الرعية	العباسيين	الحاضر	لنكثر.نحفر.نبني.
كسب ود الرعية	العباسيين	الماضي	أخرجنا.بهظنا.كانت.ترمضنا
السياسة الجديدة	العباسيين	الحاضر والمستقبل	نحكم.نعمل.نسير
تحقير بني أمية	الأمويين	الماضي	آثروا.ركبوا.ظلموا.انتهكوا
جزاء بني أمية	الأمويين	الماضي القريب	أتاهم.أصبحوا.مزقوا.
رد الحق للعباسيين	الله عز و جل	الحاضر	أحيا.أفلح.أظهر.
النصر المشترك	الله عز و جل	ماضي يفيد الحال	أراكم.أدالكم.نقل.من
ابتهاج بالنصر	أهل الكوفة	حاضر يفيد الحال	تنتظرون.تتشوفون.
صلاح الخليفة	أبو جعفر السفاح	ماضي يفيد الحال	منحه.أعطاه.

خذوا. الزموا. لا تخذعوا	الحاضر	أهل الكوفة	حث على الطاعة
اعلموا. حتى نسلمه	الحاضر والمستقبل	العباسيون	التشبث بالخلافة إلى آخر الزمان

في قراءة للزمن النحوي في هذه الخطبة نجد أن داود بن علي نوع في الأزمنة الثلاثة لتتناسب مع أغراض و مقاصد الخطبة ، فالماضي يتماشى مع حديثه عن بني أمية و شماتته في هزيمتهم و نعتهم بالصفات المذمومة، أما الحاضر فيناسب التعبير عن الامتتان و الشكر لأهل الكوفة على نصرتهم و التهئة بالنصر و إعلان البيعة للخليفة العباسي ، والمستقبل ينسجم مع الالتزام بالثبات على الكتاب و السيرة النبوية في تسيير شئون الحكم.

3-الإشارات المكانية:

أ-الإشارات المكانية في الخطبة البتراء:

تحيل الإشارات المكانية إلى أماكن لها مدلول و مقصد عند المتكلم المتلفظ بها و يحتاج المخاطب إلى تفسيرها لتغير معناها بتغير الاستعمال و سياق التلفظ لفهم الملفوظ و الوصول إلى المعنى ، فإذا قال المتكلم و و بعيد عن وطنه: " اشتقت إلى هواء البلاد" فكلمة "البلاد" مبهمة تحتاج إلى تحديد ، وهنا يجتهد المخاطب في تعيينا أهى الوطن أم القرية ... ومن العناصر الإشارية المكانية في الخطبة البتراء ما ورد في قول الخطيب: «...و الغي الموفي بأهله على النار» حيث تشير النار إلى مكان العذاب و العقاب للعصاة أهل الغي و الضلال و هي ذات مقاصد لا تخفى على أطراف التخاطب ، وفي قوله: « كمن طرفت عينيه الدنيا» يشير ب"الدنيا" إلى دار الحياة الأولى و سياق استعمالا له مغزى معين هو عدم الركون إليها و الجري ورائها ، و في الملفوظ: « هذه المواخير المنصوبة» إشارة إلى

مكان الرذيلة وغرض التوجه بالإشارة إليه هو الزجر و التوبيخ ، و في الملفوظ: « ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب» أشار بظرف المكان "في" لمكانس الريب و هي مجالس الفساد والسوء و غرضه توبيخهم ،أما قوله: « إن كذبة المنبر بقاء مشهورة» حيث وظف المكان "المنبر" لغرض في نفس الخطيب وهو إعلان التحدي لهم في أن يثبتوا عليه كذبة واحدة أي قول من أقواله في الخطبة وعلى المنبر لم ينفذه على وجهه و أصله ، في قول آخر: « وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم» حيث استعمل العنصر الإشاري المكاني لغرض تحديد المهلة التي أعطاها لأهل البصرة قبل بدء سريان منع التجول ليلا.

الغرض التداولي	المرجع (المشار إليه)	الصيغة الإشارية(المشير)
بيان مصير سفهاء البصرة	مكان العذاب في الآخرة	النار
بيان تعلق البصريين بالدنيا	الحياة الدنيا الفانية الأولى	الدنيا
توبيخ لانتشار الفساد في البصرة	المواخير (بيوت الرذيلة)	هذه
التوبيخ	بيوت الفساد	في مكانس الريب
تحدي البصريين بتنفيذ ما أمر به	منبر مسجد البصرة	المنبر
وظفها لتحديد مهلة منع التجول	مدينة بالعراق	الكوفة

و يمكن أن نفسر ما ذكره من إشارات مكانية بالآتي:

أعلن من منبر مسجد بلدتكم أنكم ترددتم على أمكنة السوء في الدنيا(بيوت الفساد) فمكانكم المناسب (النار).

ب-الإشارات المكانية في خطبة داوود بن علي:

وظف الخطيب داوود بن عبد الله بعض العناصر الإشارية المكانية مثل : "الدنيا" الواردة في الملفوظ: « الآن أقتضت حنادس الدنيا وانكشف غطاؤها» و المشار إليه الحياة الدنيوية التي وظفها لغرض الابتهاج باسترجاع الحق في الدنيا ، و في قوله: « فرجع الحق إلى نصابه ، في أهل بيت نبيكم » وظف المشير المكاني لإضفاء الشرعية على تولي الخلافة ، وفي الملفوظ: « إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة» استعمل المشير المكاني "المنبر" لغرض ربط الخليفة بالإمامة الدينية مما يعزز الثقة في النفوس ، كما استعمل العنصر الإشاري "الكوفة" في قوله: « يا أهل الكوفة» للتخصيص بالخطاب و المودة ، و استعمل المشير "خراسان" لإظهار دعم أهلها و مساندتهم للثورة العباسية ، و استعمل "الشأم" دالاً بها على موطن الخصوم والأعداء الأمويين.

الصيغة الإشارية(المشير)	المرجع (المشار إليه)	الغرض التداولي
الدنيا	الحياة الفانية الأولى	الفرح بأخذ الحق في الدنيا
بيت نبيكم	بيت رسول الله	شرعية الخلافة العباسية
المنبر	منبر مسجد الكوفة	إظهار صلاح الخليفة
الكوفة	مدينة عراقية	التودد للكوفيين

معدل الثورة العباسية	مدينة فارسية	خراسان
موطن الأعداء و الخصوم	دمشق	الشام

لقد وظف "الدنيا" للدلالة على البهجة و الفرح بالنصر ، واستعمل المشير المكاني "بيت النبوة" ليضفي الشرعية على الخلافة العباسية في نفوس الناس ، واللجوء إلى توظيف "المنبر" لم يرمز إليه من صلاح و تقوى من يرتقيه و لا سيما إن كان ملكا ليكسب ثقة رعيته، و في استعماله لأسماء ثلاثة أمكنة تعبير عن المحبة لأهل الكوفة و خراسان و تعبير عن قلي و بغض أهل الشام.

4-الإشارات الاجتماعية:

أ-الإشارات الاجتماعية في الخطبة البتراء:

تكشف الإشارات الاجتماعية عن العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب و تحديد مكانتهم و مهامهم الرسمية ، وتشير إلى ما بينهم من تباعد أو تقارب و أثر كل ذلك في مسار الخطاب ، وفي هذه الخطبة سارت المشيرات الاجتماعية في اتجاه واحد وهو استعمال الخطيب لضمير جماعة المتكلمين "نحن" مشيرا به إلى نفسه في كامل أجزاء الخطبة وغرضه وضع مسافة فاصلة بينه و بين الرعية لأنهم غير مؤتمنين و في خانة الخصوم بالنسبة له ، ولزيادة هيئته في أنفسهم .

الصيغة الإشارية	المرجع	الغرض التداولي
أحدثنا. غرقناه. أحرقناه. نقبنا. دفناه بقدمنا. أصبحنا. عنكم. نسوسكم. أعطانا. نزود عنكم. خولنا. فلنا. أحببنا. علينا. ولينا. عدلنا. فيئنا. لنا	زياد بن أبيه	تعظيم الخطيب لنفسه للحفاظ على المسافة الفاصلة بينه و بين الرعية لزرع الهيبة والخوف في أنفسهم.

تعتمد الخطيب الإكثار من الإشارات الاجتماعية بصيغة الضمير "نحن" للمفرد للتعبير عن المكانة الاجتماعية التي يتبوأها الأمير و ليشعر العامة من الناس أن هناك حدود فاصلة بينهم و بين الحاكم عليهم أن لا يقربوها ، ليسهل عليه تمرير رسالة التهديد والوعيد و بذلك يصل إلى هدفه وهو بث الخوف لتحقيق الأمن.

ب-الإشارات الاجتماعية في خطبة داوود بن علي:

استعمل الخطيب داوود بن علي لقب "أمير المؤمنين" مشيراً به إلى ابن أخيه الخليفة أبي العباس السفاح وقد كرره مرتين ، وفي الثانية أضاف إلى الإشارة اللغوية الإشارة باليد في : « وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - و أشار بيده إلى العباس-» وهذا لغرض التأكيد على أنه الخليفة الجديد و حتى يبعد الوهم ممن يعتقد أن الخطيب "داوود بن علي هو الخليفة" ، و في الملفوظ: «مروان عدو الرحمن و خليفة الشيطان» استعمل هذا اللقب لخصمه لغرض تحقيره و التقليل من شأنه ، وفي قوله: « من عليكم بإمام منحه العدالة» وظف المشير "إمام" للإعلاء من قدر الخليفة دينياً وسياسياً ، و في قوله: « أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب» أشار إلى علي بن أبي طالب بهذا اللقب للتبنييه بأنه صاحب الحق الوحيد في الخلافة طيلة المدة التي سبقت حكم العباسيين و غرضه حصر حق الخلافة في أهل بيت النبي ﷺ.

الصيغة الإشارية	المرجع	الغرض التداولي
أمير المؤمنين	أبو العباس السفاح	التعظيم
عدو الرحمان	مروان بن محمد	تحقير الخليفة الأموي
خليفة الشيطان	مروان بن محمد	تحقير الخليفة الأموي
إمام	أبو العباس السفاح	الأحقية بالإمامة
أمير المؤمنين	علي بن أبي طالب	الأئمة الشرعيون
أمير المؤمنين عبد الله بن محمد	أبو العباس السفاح	إظهار استحقاقه للإمامة والخلافة

ما ميز الإشارات الاجتماعية لدى داود بن علي هو توظيفه للألقاب من قبيل أمير المؤمنين لما فيه من إحياء بالعظمة و المسؤولية ثم إنه استعمل هذا اللقب لشخصين هما علي بن أبي طالب و أبي العباس السفاح و دلالاته ربط الصلة بين الأمرين الشرعيين في نظره بعد رسول الله ﷺ و من الألقاب الموظفة عدو الرحمان و خليفة الشيطان دلالة على مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين الذي صوره في أسوء صورة خدمة لأغراض سياسية.

خاتمة الفصل:

كثيرا ما نلجأ في خطاباتنا اليومية إلى التلميح و نجتنب التصريح لدواعي عديدة أهمها التأدب في الحديث -كما ذكر سيرل-، ولقد شد مبحث الضمني اهتمام الباحثين فعلاوة على غرض توظيفه فهو يثير شغف البحث و تنشيط الذهن و من أشكاله إضافة إلى أفعال الكلام غير المباشرة التي سبقت دراستها ، نجد الاستلزام التخاطبي و متضمنات القول و هي مباحث تداولية رئيسية تدخل في صلب دراسة المعنى في الاستعمال ، لقد طرح "غرايس" أسئلة عديدة في هذا الشأن من قبيل: كيف أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون و قد يقصدون أكثر مما يقولون أو عكس ما يقولون ، ولإيضاح الخلاف بين ما يقال و ما يقصد جاء بفكرة الاستلزام التخاطبي ، و من الضمني نجد متضمنات القول كالاقتراض المسبق وهو معلومة داخل القول غير معلنة يحدد على أساس معطيات لغوية ، أما الأقوال المضمره فتحدد على أساس معطيات غير لغوية ، فهي مرتبطة بوضعية الخطاب و مقامه تفهم من سياق القول ، وتناولت في هذا الفصل الإشارات التي تعد أقدم القضايا التداولية ، حيث كانت التداولية تعني الاهتمام بالضمائر و الظروف الزمانية والمكانية و التعبيرات التي تستقي مرجعيتها من مقامات التواصل ، و تتجلى أهمية الإشارات في كونها مفتاح الدخول إلى فهم معنى الملفوظ من خلال معرفة المرجع الذي تشير إليه ، وقد رأينا أن تبادل أدوار الكلام قد يتحول المتكلم إل مخاطب والمخاطب إلى متكلم مما يجعل للمشيرات دورا أكبر في تحديد المرجع. و الإشارات تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه ، وتظهر أهميتها حين يغيب عنا ما نشير إليه فيسود الغموض.

الفصل الخامس

الحجاج في الخطب السياسية

المختارة

الفصل الخامس: الحجاج في الخطب السياسية المختارة-دراسة نظرية تطبيقية

أولاً: الجانب النظري

المبحث الأول: الخطابة والحجاج

المبحث الثاني: التداولية والحجاج

المبحث الثالث: مفهوم الحجاج

ثانياً: الجانب التطبيقي: التقنيات الحجاجية في الخطب المختارة

أولاً: تقنيات الحجاج عند بيرلمان و تيتيكا

ثانياً: الحجاج اللغوي عند ديكر و أنسكومبر

المبحث الأول: الخطابة و الحجاج:

الإنسان يعيش ضمن جماعة بشرية ومحيطه لا يخلو من نزاعات بين أعضائه وطوائفه سواء على مستوى الأقوال أو الأفعال، وهذا ما يتطلب بناء نماذج خطابية حجاجية كفيلة بتدبير النزاعات، مما يقتضي منه التَّمَرُّس على السبل الكفيلة بالإقناع لرفع الخلاف أو الاختلاف القائم بين الفاعلين، فقد لابتست الخطابة البلاغة وارتببت بها عبر تاريخها الممتد، وانطوت منذ ميلادها الأول على حمولة الإقناع و سطوة التأثير¹. وإذا عدنا إلى نشأة الخطابة الغربية عند الإغريق نجد أن ميلادها كان استجابة لحاجة حجاجية جماعية ملحة، فقد ألف السفسطائي الصقلي "كوركس" أول خطابة سماها "بارط" "الخطابة الكوراكسية" وهي

¹- ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013، ص 27.

بمثابة دليل عملي فيه وصايا تخص مسالك التأثير في القاضي فهي قضائية بالدرجة الأولى¹.

فالقصد الأول للخطابة كان مطالبة بالملكية ودفاعا عنها، وفنا للقول يتوخى الانتصار في خضم صراع حياتي ومنازعات بشرية، ومن المعلوم أن إدعاء الحق والدفاع عنه وبالأحرى نيله، لا يستقيم إلا بالمرافعة والاحتجاج.

واشتهر السوفسطائيون باعتمادهم سلطة الخطابة لنشر آرائهم وإتقان الاحتجاج لها، واعتبروا أن الخطيب البليغ يستطيع أن ينصر الحق كما يستطيع أن ينصر الباطل بقوة حججه، أو براعته بالأقيسة والقضايا الظاهر منها والمضمر، ونجد أن كوراكس صاحب التخطيط النموذجي للخطبة طوال قرون قد أكد على حاجية الخطابة من خلال تحديده للأجزاء الخمسة الكبرى وهي: الاستهلال، السرد، الاحتجاج، الاستطراد، الخاتمة فبالاحتجاج تتحقق الاستمالة ويحصل الإقناع².

والخطابة لدى أرسطو لا تتحدد ببعدها الإمتاعي بل بمهمة الإقناع التي تضطلع بها ، لذلك عرفها بقوله: «إنها الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان». وإنتاج الاعتقاد في الخطابة يرجع عنده إلى أركان ثلاثة هي الخطيب (Ethos) والقول (Logos) والسامعون (Pathos).

فالخطيب حجة مقنعة في الاستدلال الخطبي بأخلاقها وعنصر الثقة فيها. ولا بد في الإقناع من التهيئة الانفعالية والاجتماعية للسامعين من أجل استدراجهم وتحقيق انقيادهم واقتناعهم بما يطرحه الخطيب ولا يتحقق الإقناع بالخطيب والسامعين فقط بل يتوقف كذلك على القول الذي يجب بناؤه حاجيا وتعبئته بالأدلة القادرة على إقامة الاعتقادات أو تغييرها.

¹ - ينظر: هشام الريفي، الحجج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 248.

² - ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة ، من ص 28 إلى ص 32.

ولا يلغي أرسطو دور المقومات الأسلوبية والتصويرية في الفعالية التأثيرية للقول، بل إن جمالية القول تعد مساهمة في بناء الإقناع¹.

وفي العصر الحديث ظهر علمان بارزان حاولا إحياء بلاغة الإقناع وهما يطوران نظرية الحجج استنادا إلى المدونة البلاغية القديمة خاصة عند أرسطو وهما "شايم بيرلمان" و"أولبريخت تيتيكا" من خلال مؤلفهما "مصنف في الحجج" عام 1958 نجدهما يربطان بين الخطابة والحجج من خلال هذا القول: «الغاية من تقربنا بين الحجج والخطابة أن نلح على أنه لا حجاج بدون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويسلم ويصدق على ما يعرض عليه»، ولذلك فالإستراتيجية الحجاجية تبنى على المستمع في نظرية الحجج كما كان الوضع في الخطابة القديمة، فالرهان قائم على دفعه للاقتناع ، ومن ثم فبتغيير المستمع يتغير شكل الحجج².

وفي التراث العربي الإسلامي نجد صلة الخطابة بالحجج وثيقة خاصة عند الجاحظ أول من أفاض الحديث عن الخطبة وتوسع فيها ودور كل طرف من أطرافها: المتكلم والسامع والقول في جعله بليغا مؤثرا مقنعا، حيث ربط الخطابة بأهداف إقناعية ، فالقول الخطبي عنده يكون للخصومة والمنازعة ومناضلة الخصوم والاحتجاج على أرباب النحل ومقارعة الأبطال ومحاجة الخصوم و مناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان، والخطيب مطلوب عنه الإفصاح بالحجة والبصر بها والمعرفة بمواضع الفرصة، وأن يعرف كيف يضطر الخصوم بالحجة ويطبّقهم بها، والغاية من ذلك أن تكون الأعناق إليه أميل، والنفوس إليه أسرع، والعقول عنه أفهم، والعلو على الخصم. وعموما، فربط الخطابة بالإقناع تجلّى في مشروع الجاحظ من خلال العناية الخاصة التي أفردّها الوظيفي الإفهام والإقناع في القول الخطبي ثم من خلال تركيزه على عنصرى المقام والمستمع³. ويرى الدكتور محمد العمري أن

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص ص 54-55.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 86.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص ص 61-62.

ربط الخطابة بالإقناع عند الجاحظ يرجع إلى أنه انتبه إلى سلطان الكلام وعارضة الاحتجاج وما لهما من مفعول قوي في الاستمالة وجلب انخراط السامعين¹.

التداولية والحجاج:

للحجاج علاقة وثيقة بالتداولية وهو ركن أساسي من أركانها لاعتبارات كثيرة و منها: أن الحجاج يتسم بخصائص بنائية تواصلية، فهو تفاعلي تشاركي يقوم على التواصل بين أطراف التخاطب ذو بعد وظيفي يهدف إلى إحراز المنفعة بالتأثير على المخاطب و إقناعه لجعله يسلم و يذعن ، سواء بتثبيت اعتقاد لديه أو تغييره أو إنشاء اعتقاد جديد ، ، كما يهتم باستعمال اللغة في مقامات متعددة « فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي و اجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ، و مطالب إخبارية ، و توجهات ظرفية ، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية ، إنشاء موجها بقدر الحاجة² » حيث يراعى في فهم الخطاب الحجاجي الأبعاد التداولية التي تعين في تفسير الكلام الصادر من المتكلم إلى المخاطب كالسياق و المقصدية و التلفظ و الملائمة ، « وبعبارة أخرى إن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير و الفعالية ، وبالتالي قيمة و مكانة أفعال الذوات التخاطبية . هكذا ينتمي القول أو النص الحجاجي إلى مجال التداوليات³ ، و يتجلى البعد الحجاجي في أفعال الكلام في كونها تتجاوز مجرد التلفظ و الإخبار إلى مجال الإنجاز والتأثير على المخاطب ، فمن أقسام الفعل الكلامي الفعل الإنجازي الذي يتوقف نجاحه على التأثير في المخاطب و دفعه إلى تنفيذ و إنجاز ما قيل له فإذا طابق الملفوظ مراد المتكلم فهو فعل إنجازي مباشر، أما الفعل الإنجازي غير المباشر هو الذي يخالف مراد المتكلم ، فالفعل الإنجازي يؤدي على نحو غير مباشر من خلال فعل

¹ - ينظر: عبد اللطيف عادل، المرجع السابق، ص 64.

² طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ، ط 2 ، 2000 ، ص 65

³ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري" ، مجلة عالم الفكر، العدد 01 ، المجلد 50 ، 2001، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، ص 101 ، 102

إنجازي آخر¹ ، ولينجح الفعل الإنجازي تتم الاستعانة بالسياق اللغوي و غير اللغوي كالعرف و الثقافة و قدرات السامع على الاستدلال. «ويفترض "سورل" أن الانتقال من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر يتم عبر سلسلة من الاستدلالات قوامها المعرفة المتقاسمة (اللغوية وغير اللغوية) بين المتخاطبين»². و يرى "فان أيمرين و غروتندورست" أن أفعال اللغة تسهم بأدوار مختلفة متباينة في الحجاج ،فليست كلها ذات دور حجاجي و إنما بعضها فقط، فالمتكلم يستعمل معظم الأفعال التقريرية لإثبات وجهة نظره أو تأكيدها و دعمها أو للتراجع عنها متخذاً موقفاً محدداً من نقطة الخلاف ، والهدف من الخطاب الحجاجي هو إزالة شك المخاطب في الرأي موضوع الخلاف ، أما الأفعال الالتزامية فمن أوجه استعمالها عند قبول وجهة النظر ، أو عند الرغبة في الحجاج من عدمه و في مواقف التحدي ، الدفاع عن موقف ، أو تأييد رأي أو مخالفة له ، وفي الأفعال التوجيهية يستعمل منها ما يلائم الحجاج مثل التحدي للدفاع عن رأي ، أو طلب الحجاج³ ، إن ما توصلت إليه نظرية أفعال الكلام من أن جميع الجمل إنشائية حتى الخبرة منها ، وأن الفاعلية اللغوية كلها ما هي إلا جزء من نظرية الفعل ستشكل المنطلق لأعمال ديكرو و أنسكومبر في بناء النظرية الحجاجية اللغوية ، وقد تم وصل الحجاج اللغوي بنظرية الأفعال الكلامية من خلال اعتبار أن الملفوظ عموماً و لا سيما الحجاجي منه ما هو إلا إنجاز للفعل المتضمن في القول المصحوب بقصد فعلي محدد يسعى المتكلم لإنجازه بواسطة الكلام⁴ ، و لم يعد يقتصر دور الحجاج في الدراسات الحديثة على التوظيف الانتقائي باعتباره عنصراً خارجياً ثانوياً يوظف في مواقف تواصلية معينة بل تحول مع التداولية

¹ ينظر: علي محمود الصراف، في البراجماتية، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، ص 55 ، 56

² - أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية -مدخل نظري-، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2010، ص 31.

³ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، آليات الحجاج و أدواته ، مقال ضمن كتاب : الحجاج مفهومه و مجالاته ، ج 1

،إعداد : حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، 2010 ، ص 84

⁴ ينظر: رشيد الراضي ، المظاهر اللغوية للحجاج ، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية ، المركز الثقافي العربي، ط 1 ،

2014 ، الدار البيضاء ، المغرب ،ص 27 ، 28

الدمجة إلى عنصر كامن في اللغة ، وبناء عليه أصبح الحجاج فعلا كلاميا تجب دراسته في نطاق دراسة اللغة لا في البحث عما هو خارجها¹، لكن نجاح خطاب حجاجي لا يكفي فقط بحشد طائفة من الأفعال الكلامية الحجاجية .

فنجاح الملفوظ الحجاجي مرتبط بمدى نجاحه في السياق الذي قيل فيه و وفق شروط المناسبة التي وضعها التداوليون ، فالسياق مؤطر تداولي لأي خطاب حجاجي وحسن توظيفه من شأنه أن يضمن نجاح الخطاب الحجاجي². و ما جاءت به التداولية من شروط نجاح الملفوظ و التواصل يتوافق مع جاء في التراث العربي و الغربي الأرسطي، فالمتكلم في الخطاب الحجاجي ينبغي له تخير اللغة المناسبة للموضوع و مراعاة الأحوال النفسية و الاجتماعية و غيرها للمخاطب و جعل لكل مقام ما يناسبه من المقال ، فمخاطبة الخاصة وإقناعهم مثلا تختلف عن مخاطبة العامة و إقناعهم كما تختلف عن مخاطبة أهل اللدد في الخصومة ، يقول الله عز وجل في القرآن العظيم: "و ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن"³ ففسرها الألويسي بأن دعوة النبي ﷺ متفاوتة حسب تفاوت مراتب الناس فمنهم الخاصة أصحاب النفوس المشرقة المستعدين لإدراك المعاني الميالين إلى اليقين فهؤلاء يدعون بالحكمة وهي الحجة القطعية المزيحة للشبه، ومنهم عوام ذوو نفوس ضعيفة الاستعداد شديدة الارتباط بالمحسوسات كثيرة التعلق بالعادات لكن لا عناد عندهم وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة و هي الخطابات المقنعة والعبر النافعة التي لا يخفى عليهم أنك تتاصحهم ، ومنهم المعاند المجادل بالباطل ليدحض به الحق الذي ترسخ في فكره الباطل من التقاليد والمعتقدات ما لا ينفع معه الموعظة فلا بد من إقامه الحجر

1 ينظر: رضوان الرقبي ، الاستدلال الحجاجي التداولي و آليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، العدد 02 ، المجلد 40 ،

2011 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص 70

2 ينظر: آمال يوسف المغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي - دراسة تداولية- ، الدار المتوسطة للنشر، ط1 ، 2016

، تونس ، ص 133 ، 135

3 سورة النحل ، الآية 125

بأحسن طرق الجدل ليلين جانبه و تزول شكيمته¹ ، ولذلك يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون ، أحببون أن يكذب الله و رسوله"²، ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"³ كما أن العلماء العرب أفاضوا في هذا الموضوع ومنهم على سبيل المثال الجاحظ و السكاكي و أبو هلال العسكري ، وعند اليونان نجد ارتباط الحجاج بالسياق من خلال الربط الذي أقامه أرسطو بين الخطابة و مقام المستمعين .

ومن مستويات تجلي البعد التداولي في الخطاب الحجاجي المستوى الحواري الذي هو مكون لكل كلام و ظاهرة تخاطبية صميمة في كل خطاب ، و خاصية الاستعمال التداولي الحواري هي الخاصية التداولية الأولى للحجاج و التفاعل التواصلي المتعلق بالمتحاورين فهو يؤسس اتصالا ظاهريا مع الآخر في سياق و مقام تواصلين محددين . و قد اهتم بيرلمان بالحوار كفعالية تداولية في نظريته الحجاجية منطلقا من فكرة⁴ « أن الحجاج في النهاية ليس سوى دراسة لطبيعة العقول ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها ، ثم محاولة حيازة انسجامها الايجابي ، والتحامها مع الطرح المقدم ، وإلا كان الحجاج بلا غاية و بلا تأثير ، وهذا الحوار قد يكون صريحا عند اتخاذ مواقف علنية معينة ، وقد يكون ضمنيا عندما يجرده المتكلم من نفسه محاجبا و محاورا خاصا يتناول معه هموم المخاطبين و هو ما يسميه بيرلمان بالمخاطب المتخيل الذي يجرده المتكلم من نفسه و من المقام لبناء خطة حجاجية ممنهجة⁵ ، ولا ننكر أهمية المستوى الحواري التداولي في الحجاج فمن خلاله نضمن استمرارية التواصل و تبادل الرأي للوصول إلى الإقناع و التأثير فالتواصل القائم على الحوار

1 ينظر : أبو الفضل شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 14 ، إدارة

الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ببلن ، ص 254

2 بدر الدين أبي محمد محمود العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ج2 ، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود عمر،

منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2001 ، ص 308

3 المرجع نفسه ، ص 308

4 ينظر: آمال يوسف المغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي - دراسة تداولية- ، ص 136

5 المرجع نفسه ، ص 137

طريق للتغيير الإيجابي دون عنف وإكراه محقق لمقصدية المتكلم وهذا من صميم القصد التداولي.

الحجاج : argumentation

مفهوم الحجج: الحجج في اللغة من حاجته أحاجه حجاجا و محاجة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحجة البرهان ، و قال الأزهري: الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، وهو رجل محجاج أي جدل ، والتحاج: التخاصم ، وجمع الحجة حجج و حجاج ، وحاجه محاجة وحجاجا ، نازعه الحجة، واحتج بالشيء ، اتخذه حجة ، قال الأزهري إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد لأن القصد لها و إليها ، وفي حديث الدجال: إن يخرج و أنا فيكم فأنا حجيجه ، أي محاجه و مغالبه بإظهار الحجة عليه ، والحجة الدليل و البرهان¹. فالحجاج كما يتضح لنا من التعريف اللغوي يكون تفاعليا تشاركيا و هو الإدلاء بالحجج و عرضها من قبل المتكلم نحو المخاطب لحمله على الإذعان والتسليم، ويكون الحجج في مقام النزاع و الخصومة .

الحجاج في السياق الغربي القديم :

يرى رولان بارط أن العامل الرئيسي لنشأة الحجج عند اليونان قديما كان بفضل منازعات التجار الذين كانوا يترافعون في " سيراكوزة " ، و"أثينا" في نفس الوقت مطالبين باسترجاع أملاكهم التي استولى عليها طاغيتان من صقلية "جيلون" ، و"هيرون" سنة 485 ق م، وكان السوفسطائيون ، (محترفو الذكاء والمعرفة وأصحاب الحكمة و الكفاءة) يعلمونهم كيف يسترجعون أملاكهم و يقنعون في مرافعاتهم و احتجاجاتهم ، وتطور الأمر إلى أن أصبح تعليم الناس فن القول الخطابي مادة للتدريس، و لذا يرجع فضل الاعتناء بالبلاغة والحجاج إلى السفسطائيين اليونانيين في خطبهم ومحاوراتهم (فن القول الإقناعي)². كما لا ننكر

¹ ابن منظور، لسان العرب ج2 ، مادة حجج، ص 228

² ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 27

دور أفلاطون (تلميذ سقراط) الذي خالفهم محاولاً بناء حجاج بديل، فقد كان متبرماً من سلطة الخطباء الذين امتلكوا زمام الشعب حيث اعتبر أن حجاج السوفسطائيين مموها مزيفاً، وأن البديل هو حجاج الفيلسوف الذي يبني الخطابة الحقيقية ويكون ذلك بمعرفة الخطيب للموضوع الذي ينوي التكلم فيه معرفة تامة، ويقصد الحجاج المبني على الحقيقة لا على الظن¹، ثم يلعب نجم تلميذه أرسطو طاليس، وقد تهيأت لبلاغة الإقناع شروط النضج داخل النسق المعرفي الأرسطي فقد حول الإسهامات السابقة (السوفسطائيون وأفلاطون ...) بإضافاته وأبحاثه المستقصية إلى قواعد جامعة ومبادئ منظمة متمثلة في مصنفاة الحجاجية الثلاثة (الاورغانون): 1 - المواضيع *topiques*، ب - التبيكات السفسطائية *les réfutations sophistiques* ج - الخطابة *rhétorique*، وقد اقتنع بأن البرهان لا يكفي وحده لفهم الوجود و قوله، فهناك مجالات لا يحكمها البرهان بل تدخل ضمن مجال الظن والاحتمال و المشهور، فميز بين القياس البرهاني و القياس الجدلي، وهو بذلك يوسع مجال الاستدلال من حدود البرهان وضيقة إلى آفاق الجدل و سعته خدمة للقول الواقع في مجال المعقول لا العقلاني²، ويمكن القول أن أرسطو أخذ محاسن ما توصل إليه السوفسطائيون و أفلاطون، وبالمقابل خلص الخطابة من تصوراتهما المبالغ فيها، فالتوصل إلى الحقيقة قد يكون في الاحتمالي أو المنطقي مع تنظيم القول، والحقيقة واحدة لكنها في الواقع لا في عالم المثل، وأن العناية تكون بالخطاب في جانبه التقني خصوصاً تماشياً مع نظرتة للخطابة على أنها قوة وصناعة أو علم وفن ذو إطار ممنهج مدارها إنتاج قول تبني به الإقناع في مجال المحتمل و المسائل الخلافية القابلة للنقاش بنية تأثير المتكلم في

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 36، 42

² ينظر: المرجع نفسه، ص 46، 48، 49

المخاطب موجهها به فعله و سلوكه او مثبتا لديه اعتقاد أو منشئا لديه اعتقادا جديدا¹، وسنرى لاحقا كيف أن البلاغة الجديدة تتقاطع مع ما جاء به أرسطو .

الحجاج في التراث العربي الإسلامي : (بلاغة الإقناع)

لقد كان للحجاج حضوره في البلاغة العربية التي شكل البرهان والإقناع احد أهم مباحثها، وقد اقترن الإقناع بالجاحظ الذي عد مؤسسه بحكم منطلقه المذهبي المعتزلي الذي يعتبر أن اللغة والبلاغة هما سلاح المناظرين والمجادلين الذين يتوخون نصرة مذهبهم والإقناع به ، و بحكم اشتغاله في مشروعه البلاغي بالخطبة المرتبطة بمقاصد نفعية ، وقد كان ربط البلاغة بالإقناع جليا عنده من خلال الأهمية التي أولاها لوظيفتي الفهم والإفهام و الإقناع في القول ، ومن خلال عنايته بالمقام و المستمع² . كما يبرز الحجاج عند إسحاق بن وهب في كتابه " البرهان في وجوه البيان " وقد اهتم في مشروعه البياني بالقياس مستقيضا في تفصيل جوانبه ، كما بين أن آراء الناس و اعتقاداتهم مقتصرة عليهم ما لم يتشاركوها مع الآخرين بواسطة الحوار مما تركه يجعل الجدل مجادلة ليدل على ميزته التفاعلية كما ربطه بالاختلاف لاستحضار الآخر و اعتماد الحجة ، وقد كانت بلاغة الإقناع لديه قائمة على التصديق لا اليقين و على الظن والاحتمال لا على البرهان³، كما يتجلى البعد الإقناعي عند أبي يعقوب السكاكي في كتابه " مفتاح العلوم " حيث ركز في بلاغته على المقام والمستمع (لكل مقام مقال) وجوهر التصوير البياني عنده لا يقوم على مجرد التخيل بل هو استدلالي فالتصوير عملية استدلالية تقوم على الانتقال من المعنى إلى معنى المعنى أو من الدلالة

1 ينظر: حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ، ضمن كتاب :هم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من

أرسطو إلى اليوم، ص 12

² ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 61، 62

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 70 ، 71 ، 72

الوضعية إلى الدلالة العقلية وهدف البيان حجاجي عنده يبنى بالدليل لا بالتحسين الأسلوبى¹.

الحجاج في السياق الغربي الحديث:

كان ارتباط الحجاج الخطابى في نظر الكثيرين بالمغالطة و التمويه والزيغ سببا في جعل الخطابة موضع اتهام فشهدت تراجعا حادا في القرن التاسع عشر وكانت أعمال رينيه ديكرت "منهج الشك" ضربة موجعة لها و ذلك بسبب رفضه للجدل أحد أهم أركان الخطابة مؤكدا أن الحقيقة لا يمكن إلا أن تكون بديهية و هي واحدة ولا يمكن الاحتجاج لأمرين مختلفين أو متناقضين و هذا ما يحدث في الجدل والحجاج ، و إدراك الحقيقة يرجع إلى الذات و اعتماد العقل وحده، وقد ساء الفلاسفة التجريبيون الإنجليز في انكماش دور الخطابة بانتصارهم للتجربة في سبيل الحقيقة رافضين بزعمهم الحيل الأسلوبية للخطابة التي تؤدي إلى الانصراف عن التجربة وبالتالي عن الحقيقة ، ومن هؤلاء "ج لوك J. Locke" الذي سماها "فن الأكاذيب" ، وقد ظل الخوض في أمر الخطابة قائما للحاجة إليها، لكن الضربة القاضية لها كانت بسبب ظهور تيارين فكريين معارضين لها ، أولهما التيار الوضعي (lepositivisme) الذي رفضها باسم الحقيقة العلمية ، وثانيها التيار الرومانطى الذي رفضها باسم الصدق ، حيث رفع " فيكتور هيغو " شعار " السلم للنحو ، الحرب على الخطابة " ، ولم تشهد الأبحاث حول الخطابة كمنظرة حجاجية استفاقتها المثيرة وانبعائها الجديد إلا في القرن العشرين وتحديدا مع الستينات ، إذ أصبح الحديث شائعا حول خطابة جديدة (une nouvelle rethorique)² مع نخبة من الباحثين المحدثين كشاييم بيرلمان ch perlman ، وزميلته أولبريشت تيتيكا o tyteca، من خلال مؤلف (البلاغة الجديدة، مصنف في الحجاج) عام 1958م الذي يمثل العودة إلى بلاغة الإقناع اليونانية وتطوير

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 76، 78

² ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه ، ص 19 ، 20

نظرية الحجاج.¹ هذه العودة التي كانت ردة فعل على التصلب البرهاني للعقلية الديكارتية و المأزق الذي وقع فيه المنطق الصوري المعاصر و عجزه عن التعامل مع كثير من القضايا التي يصعب على الاختزال الشكلي و الحساب التعامل معها²

وتلخص مباحث الحجاج حديثا في الأعمال التالية : الخطابة الجديدة والحجاج اللغوي

. 1-الخطابة الجديدة : (الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا) ، (الخطابة الجديدة أو البلاغة الجديدة)

مفهوم الحجاج عند بيرلمان:

يعرف بيرلمان الحجاج بأنه مجموعة من الأساليب والتقنيات الحجاجية التي تضطلع بوظيفة حمل المتلقي على الإقتناع بما يعرض عليه أو الزيادة في درجة ذلك الإقتناع ، وهدف الحجاج الرئيسي هو التأثير في التلقي على نحو يدفعه على العمل أو يهيئه للقيام به³، ويظهر من التعريف استنادهما القائم على صناعة الجدل وصناعة الخطابة لكن مع الحرص أن يكون الحجاج ثالثا مغايرا لهما رغم اتصاله بهما ، فالحجاج حسب التعريف يأخذ من الجدل المتمثل في التأثير الذهني في التلقي و تسليمه وإذعانه لما يعرض عليه إذعانا نظريا مجردا لمضمون الخطاب ، ويأخذ من الخطابة فكرة توجيه السلوك أو العمل والإعداد له والحث عليه⁴ ، كما يتبين أن "بيرلمان" أعاد للبلاغة بعدها الحجاجي، كما أعاد لها البعد الفلسفي الذي أنكره عليها أفلاطون ، و إن كان "أرسطو" فصل بين الحجاج الجدلي و الحجاج الخطابى فإن بيرلمان جمع بين الجدل و الخطابة ، لكنه فرق بين البرهنة التي تبحث عن الحقيقة و تتميز بالضرورة والإلزام والحجاج الذي يبقى في إطار الشبيه بالحقيقة حيث لا

1 ينظر: المرجع السابق، ص 21

2 ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة، ص 84 ، 85

3 ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 21 ، 22

4 ينظر: المرجع نفسه، ص 22

مجال حقيقة ثابتة و نهائية، وبهذا الفصل عزل مجال الحقيقة البديهية -الذي هو في نظره مجال العلوم الدقيقة -عن مجال الشبيه بالحقيقة الذي يعده المجال الحيوي للخطابة¹ ويمكن القول أنه ليس كل الأمور يمكن قياسها فبعضها خاضع للرأي، و أن مدار الحجاج على المحتمل لا اليقينيّات لأن اليقينيّات محسومة مسبقا ، والبلاغة الجديدة (الحجاج) ليست خطابة و ليست جدالا ، فالخطابة كانت تعنى بإقناع الناس دون أن يكون لهم رأي فيما يقوله الخطيب ، والجدال القطعي و اليقيني لا حرية فيه للمستمع ، وفي البلاغة الجديدة له الحرية في أن يرفض أو يقبل ما يلقى عليه².

من مظاهر التجديد في الخطابة الجديدة:

تعد الخطابة الجديدة إحياء لبلاغة الإقناع القديمة و بعثا لها من جديد لكنها ليست صورة مطابقة لها وإن اعتمدت عليها في أمور كثيرة، بل هي نسخة مطورة لها، و من مظاهر التجديد فيها:

-لم يعد هدف الخطابة تأسيس الخطاب بل تأويله، حيث لم يعد ينظر إلى تعليم إعداد الخطابة على أنه جزء منها

-اتساع حقل الخطابة(الحجاج) فلم يعد مشاجري و مشاوري و تثبتي بل شمل كل أنواع الخطاب الإقناعي (الإشهار ، الشعر ، الوثائق الرسمية ...)

1- ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب ،

إعداد : محمد مشبال، دار الأمان ، الرباط، ط1 ، 2014 ، ص 150، 152

2- ينظر: أحمد قادم، بلاغة الحجاج الأصول والامتداد، https://www.youtube.com/watch?v=PH2jus_rwCo

-اتساع مجال الخطابة (فن الإقناع عبر الخطاب) فلم تعد مقتصرة على الخطاب الشفوي و المكتوب بل شملت مجال المرئي و المسموع (حجاج في لوحة إشهارية أو معلقة تنبيه أو شريط سينمائي...) ¹

-التوسيع من مدلول المستمع فلم يعد يقتصر على الحضور، بل أصبح عاما حاضرا كان أو غائبا² أو هو مستمع خاص ما تعلق بالعدد الحاضر، و مستمع كوني وهو كل كائن ذي عقل³

ويبدو أن بيرلمان وتيتكا قد عمدا إلى إحياء البلاغة القديمة قبل اختزالها، ولكن في ثوب جديد هو "الحجاج".

التقنيات الحجاجية في الخطب المختارة :

إن الخطابة بما هي فن قولي يهدف إلى إقناع الجمهور واستمالته والتأثير فيه لا يمكن أن نتخيلها بدون حجاج بل هما وجهان لعملة واحدة ، فالخطيب حينما يلقي خطبته فهو لا يهدف إلى إمتاع السامعين بل إقناعهم ولذلك تراه يتوسل إلى تحقيق هذا الهدف بتوظيف تقنيات الحجاج المختلفة وتعد الخطب السياسية من أليق الخطب لهذا الغرض ، وسأعتمد في الدرس التطبيقي على تقنيات "بيرلمان و تيتكا" الحجاجية ثم الحجاج اللغوي عند "ديكر وانسكومبر" .

1-تقنيات الحجاج عند "بيرلمان وتيتكا" : الحجاج عندهما هو دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تؤدي إلى استمالة المتلقين بما يعرض عليهم من القضايا أو إذعانهم

¹ ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 20 ، 21

² ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص 86

³ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب ،

أو أن تزيد في درجة تلك الاستمالة والإذعان¹ ، وقد جعلنا هذه التقنيات الحجاجية على نوعين من الطرائق : طرائق الوصل أو الاتصال procédés de liaison وطرائق الفصل أو الانفصال Procédés de dissociation

ويقصد بالأولى الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة في الأصل ومحاولة توحيدها وإقامة ضرب من التضامن بينها ، أما تقنيات الفصل فهي التي تستخدم لإحداث القطيعة وإفساد الترابط بين عناصر تشكل في الأصل نظام فكري واحد² ، وسأقتصر في الدرس التطبيقي على التقنيات الحجاجية التي تم توظيفها في المتن الخطابي وهي كالآتي:

الآليات الحجاجية في الخطب المختارة :

1 (الطرائق الاتصالية ومنها :

1- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية ومن أنواعها :

-التناقض وعدم الاتفاق incompatibilité التناقض contradiction : يحدث داخل النظام الواحد في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى نحو " المطر ينزل ولا ينزل" ، أما التعارض أو عدم الاتفاق فيحدث في علاقة الملفوظات بالمقام مثل :موقف من يمنع قتل الكائن الحي ، لكنه يوافق في علاج المرضى باستخدام البينيسيلين Pénicilline الذي يقضي على الجراثيم وهي كائنات حية ؟ فعلى الخطيب في هذه الحالة تحري عدم الوقوع في مأزق التعارض بين المقال و المقام³ . و قد لا نجد التناقض و عدم الاتفاق بشكل منطقي صريح ، و إنما يصنعه الخطيب ليبرر رأيا أو موقفا و لذلك يقول بيرلمان: « حالة عدم التوافق هذه تتوقف على قرار شخصي فتبدو أبعد ما يكون عن التناقض الصوري لأن انعدام

¹ -ينظر :محمد العبد ، "النص الحجاجي العربي" جذور ، ج 21 ، مج 9 ، سبتمبر 2005 ، ص 242

² - ينظر : عبد الله صولة ، "الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج" (الخطاب الجديدة) لبرلمان وتيتيكا ، ضمن كتاب " أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم" ، ص 324

³-ينظر : عبد الله صولة ، المرجع نفسه ، ص ص 325 ، 326

التوافق لا يفرض نفسه بل يفرض و لذلك يظل الأمر قائماً في أن ينفيه عند الاقتضاء قرار جديد¹. وفي قول أبي بكر الصديق في خطبة البيعة: « فَأَيُّ قَدْ وُلِّيْتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » يظهر التناقض و عدم الاتفاق في مضمون القول: وهو كالاتي: إني وليت عليكم وهذا يستلزم أني خيركم و أفضلكم ، ولكني لست خيركم ، هذا التناقض من صنع المتكلم ليكون حجة له على من ينشدون فيه الكمال ، رغم أن الصحابة لا ينكرون أسبقيته عليهم و فضله و مكانته عند النبي ﷺ و مبايعتهم له هو اعتراف منهم بكل ما ذكر، ولكن الخطيب قد يبرر هذا القول لاعتبارات منها أنه غير معصوم فلا عصمة إلا للنبي و أن البعض قد لا يراه هو الأفضل للمهمة الجديدة رغم الاعتراف بمكانته و غيرها من الافتراضات الممكنة ، وهذا يحسب لصالح الخطيب و يزيد من قناعة الناس بأنه غير طامع في الرياسة و إنما هي مسؤولية تولاهها فرضتها عليه الظروف وبإلحاح من بعض الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، وبالتالي فإن هذا القول له طاقة حجاجية هائلة تولدت من خلال صنع الخطيب للتناقض بين أطروحتين.

الحجج القائمة على العلاقة التبادلية و على قاعدة العدل و هي مما يعتمد فيه البنى المنطقية:

تتمثل هذه الحجج في معالجة وضعيتين متماثلتين تماثلاً مباشراً أو غير مباشر ويستلزم التماثل لتطبيق قاعدة العدل التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلية في مقولة واحدة² ، ومنها ما ورد في خطبة أبي بكر الصديق: « وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » فالتماثل بين الضعيف والقوي من أوجب شروط تحقيق العدل ، ولهذه الحجة تأثير كبير في الرعاية لأنها المطلب الأساسي للبشرية في كل زمان و مكان فالعدل أساس الملك .

1 سامية الدريدي ، الحجج في الشعر العربي ، بنيته و أساليبه ، ص 195

² ينظر: عبد الله صولة ، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجج" (الخطابة الجديدة) لبرلمان

وتيتيكا ، ص 328

وفي الخطبة البتراء ورد في قول زياد: وقد أحدثتم أحداثا وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، وقوله: من غرق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفناه حيا فيه ، فكفوا عني أيديكم و ألسنتكم أكفف عنكم يدي ولساني. ففي هذه التراكيب الحجاجية تظهر العدالة من منظور الخطيب في التعامل بالمثل متخذا شعار العقاب من جنس العمل - رغم أن ما سنه من قوانين أمر غير مسبوق - من خلال إحداث العقوبة بالتبادل والتماثل مع الذنب الذي أحدثه أهل البصرة وللحجة أثر قوي في النفوس فالكل أصبح يعلم أن السن بالسن والبادئ أظلم ، و أنه لا رحمة و لا شفقة في تطبيق هذه القوانين و أنه من فعل جرما سيفعل به مثل ما فعل و على رؤوس الأشهاد و هذا ما يكبح جماح المجرمين و يلجمهم بلجام من نار .

الحجج القائمة على التعديّة: وهي رابع أنواع الحجج شبه المنطقية المؤسسة على البنى المنطقية (الشكلية) ، فالتعديّة خاصية شكلية تتميز بها ضروب من العلاقات فإذا وجدنا علاقة بين أ و ب من ناحية و ب و ج من ناحية أخرى هي علاقة واحدة فإننا نستنتج تعديا و تجاوزا أن العلاقة نفسها موجودة بين أ و ج، وضروب علاقات التعديّة هي علاقات التساوي و التفوق و التضمن ، ومن أمثلتها الشهيرة: عدو عدوي صديقي¹ ، و مثال ذلك في خطبة داوود بن علي حين قال: " الحمد لله شكرا شكرا الذي أهلك عدونا " ، فالعداوة الأولى كانت بين الأمويين والعلويين ، وبما أن العباسيين أبناء عمومة للعلويين فقد ناصرهم ، فكانت النتيجة: الأمويين أعداء للعباسيين. أي عدو صديقي و قريبي هو عدوي .

2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية ، ومنها:

تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له : وهو تصور الكل على أنه مجمل أجزائه ، تبني عليه طائفة من الحجج يمكن تسميتها حجج التقسيم أو التوزيع كقولنا: الكلام : اسم وفعل وحرف . والغاية الأساسية منها حسب "بيرلمان" البرهنة على وجود المجموع ومن ثمّ تقوية الحضور ،

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 329

بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه¹ ، ومثال ذلك في خطبة زياد: . و لا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله، وهذه المواخير المنصوبة ؟ والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير القليل؟ ألم يكن منكم نُهأةً يمنعون الغواة من دلج الليل وغارة النهار؟ قريبتم القرابة وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر وتغضون عن المختلس! ليس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ؟ صنع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا؟... ففي هذه العبارات يذكر الخطيب زياد المجموع وهو أن أهل البصرة أحدثوا ذنوبا وجرائم جديدة ، وهذا غير كاف للتأثير فيهم باعتبارهم مرتكبيها ، فلذلك يلجأ إلى تعدادها و ذكرها بالتفصيل كل ذنب لوحده ، ليجعلهم يعترفون ويقرون و لو ضمنا وهذه بداية التغيير ، عندئذ نقول أن حجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له قد أصابت الهدف. و قوله: إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين في غير ضعف، و شدة في غير عنف، ففي هذه العبارة يلجأ إلى تفصيل المجل ليرهن على صحته من خلال شرح معنى صلاح آخر الأمر بصلاح أوله ، وقد ورد هذا النوع من الحجج في خطبة داوود بن علي في قوله: تبا تبا لبني أمية وبني مروان، آثروا العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام وظلموا الأنام، وارتكبوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي. فهنا لم يكتف الخطيب بوصف بني أمية بأنهم نسوا الآخرة ، لأن غرضه إظهارهم على أسوأ حال ليسهل عليه إقناع المستمعين بالبدل الجاهز وهو حكم العباسيين أهل البيت و أبناء الأئمة المقربين من رسول الله عليه الصلاة و التسليم ، والمعادلة هي كالتالي: أن بني أمية اختاروا الدنيا على الآخرة و بني العباس هم أهل الآخرة يعملون لأجلها والنتيجة : أيها المسلمون نحن الأولى بحكمكم فانصرونا و

¹ ينظر: عبد الله صولة، المرجع السابق ، ص 331

أطيعونا ، فلذلك عدد مساوئهم في نظره ليصل إلى ما ذكرناه . وقوله: و أراكم الله ما كنتم به تنتظرون، و إليه تتشوفون ، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم و بيض به وجوهكم و أدالكم على أهل الشام ، و نقل إليكم السلطان و عز الإسلام .فالكل هو: "أراكم الله ما كنتم به تنتظرون، و إليه تتشوفون" و التوزيع: أظهر الخليفة من هاشم - بيض به وجوهكم - أدالكم على أهل الشام - نقل إليكم السلطان وعز الإسلام، وكما نرى فإن التوزيع بعد الجمع يكسب الكلام تأثيرا كبيرا و يزيد من قناعة المخاطبين، فالكلام نشر، و السكوت طي ، ولا يفهم الكلام إلا بنشره ، و قد يحصل الإقناع بالنشر ما لا يحصل بالسكوت، فلكل مقام مقال.

3 - الحجج المؤسسة على بنية الواقع : وتستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مُسَلَّم بها ، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلماً بها ومن هنا كان التسليم بالأولى يؤدي إلى التسليم بالأخرى ما يجعلها حجة اتصالية . ومن ضروب الترابط بين هذه الأحكام :

الاتصال التتابعي الذي يكون بين ظاهرة ما ونتائجها ، والاتصال التواجدي الذي يكون بين شخص وبين أعماله وعموماً بين الجوهر وتجلياته كأن يقال عن طفل أنه عظيم باعتبار أن أباه فلان (قياس العرض على الجوهر) ¹. ومن وجوه الاتصال التتابعي:

الوصل السببي والحجاج ، ومنه الحجاج الذي يرمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي ومن أمثلته في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق: « فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَفَقِّمُونِي » أي إن أحسنت إليكم فبسبب ذلك الإحسان أعينوني ليزداد و يعم عليكم ، وإن بدر مني ما يسيء فبسبب ذلك السوء أرشدوني لأكف و أعدل عنه فلا يلحق الضرر بالمسلمين ، فالإعانة للخطيب مرتبطة بسبب إحسانه و التقويم له من الرعية بسبب إساءته المفترضة ، و قوله: «لَا يَدْعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ،

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 331 ، 332

وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ ، أَطِيعُونِي مَا أَعْطَى اللَّهُ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. « يذكرهم أبو بكر أن ترك الجهاد في سبيل الله سبب في تسليط الذل على هؤلاء ، والنتيجة هي الإقبال على الجهاد في سبيل الله ، ثم أن انتشار الفاحشة في مجتمع سبب في تسليط البلاء عليه ، والنتيجة هي الإقلاع عن الفواحش خوفا من العقاب الإلهي في الدنيا و الآخرة ، ثم يجعل الخطيب طاعته مرهونة بسبب طاعته لله ورسوله و معصيته لا تجوز من الرعية إلا بسبب معصيته لله ورسوله ، و لهذه الحجة أثر عميق في نفوس الرعية حيث أنها تجعل من المؤمنين منهم مناصرين و مؤيدين لأمير المؤمنين متعاونين إيجابيين مشاركين في الحكم ، لا مجرد أناس يترصدون الأخطاء ويحصون الزلات و العثرات ، وفي قوله هذا لا يترك مجالاً للاختلاف ، مما يجعل حجته ذات تأثير في المخاطبين.

وفي الوصل أو الربط السببي بين الحدثين يكون المرور في الاتجاهين من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب وهذا ما يدعى عند "بيرلمان" بالحجة البرغماتية l'argument pragmatique وهي الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما باعتبار نتائجه الايجابية أو السلبية ، ومن هنا كان لهذه الحجة تأثير مباشر في توجيه السلوك و عدت من أهم وسائل الحجج¹. ومنها قول زياد بن أبيه: فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرمة الإسلام ، فالسبب هو تقاعس و تخاذل أهل البصرة عن الضرب على يد المجرمين فكانت النتيجة هي انتهاك حرمة الإسلام والتمادي في ذلك ، وقوله: فإذا تعلقتم علي بكذبه فقد حلت لكم معصيتي و في هذا تحدي عن طريق ربط النتيجة بالسبب وهو من الحجج القوية التي تظهر المتكلم على أنه واثق و متحكم في الوضع ، مما يولد هيبة في نفوس الرعية ، و العبارات الحجاجية الآتية تسير في نفس الإتجاه الذي يوحى بثقة الخطيب في نفسه ويؤثر في السامعين خوفا و خشية وهذا ما يهدف إليه الخطيب زياد بن أبيه في

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 333

قوله: **فإياي و دلج الليل فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه**، حيث ربط السبب (المتجول ليلا) بالنتيجة (يسفك دمه)، أما قوله: **وإياي ودعوى الجاهلية فإني لا آخذ داعيا بها إلا قطعت لسانه**، فالسبب (إحياء دعوى الجاهلية) و النتيجة (قطع لسان من يفعل ذلك)، وقوله: **ولا تظهر على أحد منكم ريبة (شبهة) بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه**، ومعنى الحجة أنه يأخذ بالشبهة والمظنة، فالسبب (من أثار حوله الشبهة بتصرف بدر منه يخالف سلوك العامة) فالنتيجة (تضرب عنقه)، و في قوله: **إني والله لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته**، ففي هذا القول الحجاجي يشرح الخطيب للرعية أنه من كان يبغضه فليكنم فإنه لا يأخذ بسرائر النفوس و لو علم ذلك، أما من جهر ببغضه و عداوته للأمر فسيعاقب، فالسبب (من جهر بعداوته للأمر) والنتيجة (استوجب العقاب)، وقوله: **فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا**، والسبب هنا (إذا أعنتمونا بالنصح لنا)، والنتيجة (استوجبتم عدلنا) و قوله: **ومتى يصلحوا تصلحوا**، ويربط بهذه الحجة صلاح الرعية بصلاح الأمراء الحكام، فالسبب (صلاح الأمراء)، والنتيجة (صلاح الرعية)، ولا تشربوا قلوبكم ببغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا به حاجتكم. وفي خطبة داوود بن علي نجده يوظف الوصل السببي و الحجاج في سياق تبرير سبب خروج العباسيين على الأمويين في قوله: **وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبني عمنا، وما كرتنا من أموركم و بهظنا من شئونكم**. فسبب الخروج (ظلم الأمويين لنا ولكم) و النتيجة (أنا خرجنا عليهم) وفي قوله: **تبا تبا لبني أمية وبني مروان، آثروا العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام وظلموا الأنام، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد التي بها استلدوا تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار، ففي هذا القول الحجاجي يبين الخطيب أن وقوع بني أمية في الظلم (النتيجة) كان بسبب افتتانهم بالدنيا ونسيانهم للأخرة (السبب)، وفي قوله: **ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي، جهلا منهم باستدراج الله، وعميا عن أخذ الله، وأمنا لمكر الله، فأتاهم****

بأس الله بياتا وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق، فبعدا للقوم الظالمين. فالخطيب يريد أن يكشف أن سبب ما هم فيه من ضلال يرجع إلى جهلهم بالله عز و جل وما أعد للعصاة ، فلو عرفوه ما خالفوه ، فبحسب اعتقاد الخطيب أنه بسبب حب الأمويين الشديد للدنيا أوقعوا أنفسهم في الآثام والظلم و انتهاك المحارم وبعد اعتيادهم على ذلك لجهلهم استلذوا المعاصي فكانت النتيجة أن لحقهم بأس الله على غفلة منهم.

وإذا كنا قد تحدثنا في الحجج المؤسسة على بنية الواقع عن وجوه الاتصال التتابعي فإننا سنتطرق كذلك إلى وجوه الاتصال التوايدي ومنه :

الشخص وأعماله : يعد عمل الإنسان موضوع تقويم من قبل الآخرين فأعمال الشخص تجليات جوهره¹. حيث أنه كثيرا ما ترتبط بعض الأعمال و التصرفات بأشخاص معينين بسبب اعتيادهم عليها حتى أصبحت صفة ملازمة لهم كالإقدام في الحرب أو الكرم وقت الجذب أو الحكمة وغيرها ، وأحيانا «تعتمد هذه الحجة بطريقة عكسية فيعمد المؤسس للخطاب الحجاجي إلى كسر العلاقة بين الشخص و أعماله مشككا في ثبات الشخصية أو متعللا بتطور الظروف و تغير المقامات أو متخذًا التغير أو التقلب في ذاته مبررا لبتز هذه العلاقة حين يجعله من السمات المميزة للشخص المتحدث عنه»² وبالتالي فإن صاحب الخطاب الحجاجي يستعمل حجة الشخص و أعماله بطريقتين : الطريقة الأولى المذكورة وهي اتصاف الشخص حقا بعمل ينسب إليه أو الطريقة الثانية وهي عكسية بحيث يحاول صاحب الحجة زعزعة وخلخلة وبتز العلاقة بين الشخص وعمله لغرض وقصد مبيت ، و مثال هذه الحجة في قول داوود بن علي: ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم، وخرقهم بكم ، واستذلّالهم لكم، واستثنّارهم بفيئكم وصدقاتكم و مغانمكم عليكم. فالخطيب ليس بصدد تقييم لأعمال بني أمية و إنما يحاول أن يخرق و يكسر العلاقة بينهم وبين أعمالهم

1 ينظر: عبد الله صوله، المرجع السابق، ص 334

2 سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي، ص 230

فيصورها قاتمة لا خير فيها كلها شرور و آثام و معاصي وهذا ليقنع الناس بأحقية الثورة عليهم ، فالحجة كانت عكسية هنا ، و أعمال بني أمية كانت كافية في نظر العباسيين للخروج عليهم ، و مثلها قوله: تبا تبا لبني أمية وبني مروان، آثروا العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام وظلموا الأنام، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي، جهلا منهم باستدراج الله، وعميا عن أخذ الله، وأما لمكر الله. فالخطيب يسعى دائما لتصوير أعمال بني أمية على أنها ظلم وخروج عن الدين لينقلب العمل على الشخص فيكون حجة ضده لا له، وقوله: و أدالنا الله من مروان، وقد غره بالله الغرور، أرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه ، فظن عدو الله أن لن نقدر عليه ، فنادى حزبه وجمع مكائده ، ورمى بكتائبه، فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه و شماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله، ومحق ضلاله، وجعل دائرة السوء به . جاءت حجة الشخص و أعماله عكسية كذلك ، فقد صور الخطيب عمل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بأنه يتصف بالغرور وضد الدين و معاد الله عز وجل ، وشخص يوصف بهذا الوصف و هذا العمل لا حرج في خلعه والثورة ضده، وهذه هي النتيجة التي قصدها الخطيب العباسي ليكسب المزيد من التأييد والدعم من الناس. و في اتجاه معاكس نجده يتخذ من سلوك الخليفة العباسي في المسجد ومرضه مناسبة لطلب الدعاء له في قوله : أيها الناس ! إن أمير المؤمنين - نصره الله نصرا عزيزا-، إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك، و ادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن، وخليفة الشيطان، المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها بإبدال الدين و انتهاك حريم المسلمين ، الشاب المتكهل المتمهل المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار، الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى، ومناهج التقوى . فقد وظف الخطيب هنا حجة الشخص و أعماله الأصلية لا

العكسية ، حيث صور الخليفة أبي العباس السفاح بأنه مؤمن تقي صالح يكره أن يخلط بكلام الجمعة كلام آخر غيره و إن كان لصالحه فأعمال الشخص تجليات جوهره ، و هي محل نظر و تقويم من قبل الناس.

حجة السلطة : Argument d'autorité

تختلف السلطة في حجة السلطة وتتعدد فقد تكون حجج شخصية تغذيها هيبة المتكلم ونفوذه ، وقد تكون الإجماع ، أو العلماء أو الأنبياء وقد تكون هذه السلطة غير شخصية impersonnelle مثل الفيزياء أو العقيدة أو الكتاب المقدس¹ ، ومثال السلطة الشخصية قول زياد بن أبيه: **حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدا وإحراقا ، وهو في ما ذكره يعتمد على سلطته ونفوذه باعتباره الوالي الذي يمكنه تنفيذ وعيده و قوله: إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين في غير ضعف، و شدة في غير عنف، نجد ما قاله يتناسب و مكانته السياسية كوالي يمكن أن يتبع السياسة المصرح بها ، فلو صدر هذا القول من أحد العامة لما كان له أدنى تأثير في السامعين، وهو مستمر بممارسة سلطته في قوله: **وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول (انج سعد فقد هلك سعيد)، أو تستقيم لي قناتكم. ثم يبين لهم في القول الآتي أنه غير مهتم بما في سريرتهم من أحفاد وضغائن حتى يزيد من إرباكهم في كونه لم يأت ليطلب ودهم بل لينفذوا أوامره: وقد كانت بيني وبين قوم إحنٌ فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي ، ويدخل قوله الآتي في نفس السياق: **فرب مبيتس بقدمنا سيسر، ومسرور بقدمنا سيبيتس. ومن أمثلة توظيفه للسلطة الشخصية قوله: أيها الناس : إنا أصبحنا لكم سادة وعنكم زادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عليكم بفيء الله الذي خولنا ، لجعلهم يرضخون و يذعنون للأمر الواقع معتمدا على هيئته الشخصية و هيبة الخلافة******

¹ -ينظر: المرجع السابق ، ص 335

الأموية ، ثم يواصل تهديده ووعيده بالتلويح بتمكنه منهم في قوله: و أيم الله إن لي فيكم لصرعى (قتلى) كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي. ومن أمثلة حجة السلطة الشخصية كذلك ما ورد في خطبة داوود بن علي في قوله: لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه و سلم وذمة العباس رحمه الله ، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم و الخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .وفي هذا القول محاولة منه للتأثير في سامعيه الذين يعلم استسلامهم و خضوعهم لله عز وجل و حبهم لنبيه الكريم وتقديرهم للعباس عم النبي ، كما استخدم السلطة غير الشخصية متمثلة في مكانة القرآن والسنة لديهم .و من الحجة الشخصية ما ذكره من قول يحسن من صورة الخليفة العباسي الجديد فنراه يعتمد على حسن وصفه أمام المخاطبين لإقناعهم بخلافته ، وذلك في قوله: فقد أبدلكم الله بمروان ... الشاب المتكهل المتمهل المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار، الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى، ومناهج التقوى. و من أمثلة السلطة غير الشخصية في الاحتجاج بما ورد في القرآن الكريم في قول زياد: كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول؟ ، ويعود محتجا بالاعتباس من القرآن الكريم في قوله: فادعوا الله بالصالح لأنتمكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذي إليه تأوون . كما وردت حجة السلطة غير الشخصية في الاستشهاد من القرآن الكريم في الخطبة البتراء على لسان أبي بلال مرداس بن أدية محتجا على زياد بن أبيه في أخذه البريء بالسقيم والمطيع بالعاصي ...ذاكرا قول الله تعالى: " و إبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى ، و أن ليس للإنسان إلا ما سعى" قول داوود بن علي المقتبس من القرآن الكريم الذي أورده في سياق العقاب و الهزيمة التي لحقت بالأمويين: ... وأما لمكر الله، فأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق، فبعدا للقوم الظالمين.

الاتصال الرمزي la liaison symbolique :

إن الوصل الرمزي يقوم على الانتقال من الرمز إلى ما يرمز إليه مثلما ينتقل من العلم إلى الوطن ومن الصليب إلى المسيحية ومن الهلال إلى الإسلام ومن شخص العاهل إلى الدولة ، فعلاقة المشاركة والتبرير بين الرمز والمرموز إليه هي ما تثير العاطفة الدينية أو الوطنية في الأمثلة السابقة ولكن يجب الإشارة إلى أن الرمز يؤثر في الذين يدركون وجود الاتصال بين طرفية أما الذين لا يدركون العلاقة الترابطية بين طرفية فلا يؤثر فيهم ، فهو خاص بقوم ما¹. ومثال الاتصال الرمزي نجده في خطبة داوود بن علي في قوله: الحمد لله شكرا شكرا الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . متخذا من قرابة العباسيين للنبي صلى الله عليه وسلم حجة رمزية لإقناع الرعية بحكمهم، فالخطاب موجه إلى المسلمين وهم يدركون العلاقة بين ذكر هذا الاسم وما يمثله من بعد روعي وعاطفي لديهم . ومثلها قوله: ورجع الحق إلى نصابه، في أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم . فهو يعلم رمزية النبي و آل بيته عند أهل البصرة وما يولده من عواطف و أحاسيس في أنفسهم ، وهذا ما يجعل للحجة الرمزية أثرا فعالا في إقناع السامع و جعله يسلم و يذعن ، و إذا تأملنا قول داود بن علي كذلك: لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس رحمه الله ، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم و الخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإننا نجد توظيفا لرموز الإسلام التي تلامس مشاعر المسلمين روحيا و عاطفيا .و يستمر محتجا بتوظيف رموز الإسلام و خاصة التي لها تأثير في أنصار العباسيين وذلك في قوله: ألا و إنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، و أمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم

¹ - ينظر: عبد الله صولة ، المرجع السابق، 336

صلى الله عليه ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا و أولانا. ففي هذا إشارة رمزية على أن خلافة رسول الله ﷺ هي من حق آل بيته إلى آخر الزمان ، وفي هذا القول الحجاجي ما يكفي لتجاوب البصريين مع خطيبهم .

4 - الحجج المؤسسة لبنية الواقع : ومنها :

أ - تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة : ومن هذه الحالات الخاصة المثل : l'exemple والشاهد أو الاستشهاد l'illustration والنموذج modele . من شأن الاستشهاد أن يقوي درجة التصديق أو الحجة ويوضح القول ويقوي حضوره في الذهن¹ ، وفي الاحتجاج بالأمثال السائرة قول زياد بن أبيه: حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول (انج سعد فقد هلك سعيد)، يقال في مواضع التحذير و الإقدام على الهلاك وفيه تهديد لأهل البصرة بأن يتقوا شر الخليفة وسعيه في تنفيذ تهديده و وعيده بحسن الطاعة، وتنفيذ الأوامر، ومن المثل كذلك ما ورد في قول داوود بن علي: أيها الناس ! الآن أفضت حنادس الدنيا ، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، و طلعت الشمس من مطلعها، و بزغ القمر من مبرغه ، و أخذ القوس باريها ، و عاد السهم إلى النزعة ورجع الحق إلى نصابه. فقد وظف المثل العربي "أخذ القوس باريها" الذي يضرب عند الاستعانة على أمر ما بأهل المعرفة ، أي إسناد الأمر إلى أهله الذين يحسنونه و يتقنونه، و يعني به (الخلافة) ، والمثل الآخر: "و عاد السهم على النزعة" يضرب في رجوع الشيء إلى أصله و وضعه الأول و يعني به عودة حق الخلافة إلى أصحابه الورثة الشرعيين .

ب - الاستدلال بواسطة التمثيل: Analogie وهو من الحجج القائمة على الاتصال المؤسس لبنية الواقع، ويرى "بيرلمان و تيتيكا" أن التمثيل في الحجج ينبغي أن تكون له مكانته

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص 336 ، 337 و ينظر: . عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص 97.

باعتباره أداة برهنة وتظهر قيمته الحجاجية باعتباره قائم على تشابه العلاقة وهذا ما يميزه عن مفهوم علاقة المشابهة المستهلك ، ومعنى ذلك أن التمثيل مواجهة بين بنى متشابهة و إن كانت من مجالات مختلفة ما كان لها أن تكون مرتبطة أبدا¹. ومنها ما نجده في الخطبة البتراء في قول زياد: كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول؟ فالخطيب شبه أهل البصرة بمن لا يقرأ القرآن لغرابية ما رأى من فعالهم التي لا تخالف نهج القرآن ، وقوة الحجة تظهر في إضمار النتيجة وهي معصية الله عز وجل ، و يواصل زياد قائلا بلغة التهكم والإنكار: أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية علي الباقية؟ حيث شبههم بالذي أصبح لا يرى و لا يسمع إلا شيئا واحدا أمامه وهو الدنيا ، والنتيجة المضرة وهي التخطب في المعصية كذلك ، ثم يضرب زياد بن أبيه مثلا عن معاصي أهل البصرة في قوله: ! أليس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ؟ صنع من لا يخاف عقبة ولا يرجو معادا ، حيث شبه عمل أولئك المدافعين عن السفهاء بأعمال من لا يخشون عقاب الله ، و نتيجة من لا يخشى عقاب الله هي ما أعده الله له من العذاب الأليم، وفي قول آخر له: فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذي إليه تأوون.شبه ساستهم و أمرائهم بالكهف الذي يحتمي به الرعية عند الشدائد والأزمات ، والنتيجة المرجوة من هذه الحجة هي أن عون الساسة لرعيته مرهونة بطاعة أولياء الأمر ، وفي قول داوود بن علي: فأصبحوا أحاديث .شبه بني أمية الذين كانوا بالأمس دولة قوية مهابة بأنهم صاروا مجرد أحاديث تلوكها السنة الناس والنتيجة المضرة في اعتقاده: عقاب الله لهم لنسيانهم الآخرة ، و وقد استعان داوود بن علي بهذه الحجج كذلك مثل قوله: و الزموا طاعتنا، ولا تخدعوا عن أنفسكم ، فإن الأمر أمركم، فإن لكل أهل بيت مصرا، و إنكم مصرنا ، وهي تشبيهه بليغ حيث شبه الخطيب أوامر الدولة كأنها

¹ - ينظر : عبد الله صولة ،المرجع السابق،ص ص 338 ، 339

أوامر الرعية و خاصة أهل الكوفة لأن التوجه الفكري و العقائدي واحد مشترك بينهما ، وهذا التجانس بين الراعي و الرعية يجعل أمر الخليفة متفقا مع رغبة الرعية فكأن أمر الخليفة هو أمر الرعية نفسه وهنا تكمن القوة التأثيرية لهذا الحجاج القائم على التمثيل ، وهذا التشبيه كثير متداول في الخطاب العادي اليومي نحو عبارة الترحيب "البيت بيتك" ، وفي الخطاب الأدبي مثل قول الشاعر مفدي زكرياء في إلياذة الجزائر:

تأذن ربك ليلة قدر وألقى الستار على ألف شهر
وقال له الشعب ..أمرك ربي وقال له الرب ..أمرك أمري

ولا يقتصر الاستدلال بواسطة التمثيل على التشبيه فقط ، إذ تعد الاستعارة آلية أساسية من آليات الحجاج ، ولذا حظيت باهتمام اللغويين والباحثين قديما وحديثا، فميزوا بين نوعين من الاستعارة ، فهي عند عبد القاهر الجرجاني مفيدة وغير مفيدة وعند الغربيين استعارة لغوية واستعارة جمالية ، أما أبو بكر العزاوي فيرى أنها استعارة حجاجية واستعارة بديعية ، فأما كونها حجاجية فلأنها تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم بقصد توجيه خطابه وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية ، والاستعارة الحجاجية أكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية . أما الاستعارة غير الحجاجية أو البديعية فإنها تكون مقصودة لذاتها ولا ترتبط بالمتكلمين ومقاصدهم الحجاجية وترد في سياق التقنن الأسلوبي والزخرفة اللفظية وليس سياق التواصل والتخاطب ، و مثالها قول الشاعر :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد¹

ومثال الاستعارة الحجاجية قوله تعالى: "واشتعل الرأس شيبا"².

¹ - ينظر : أبوبكر العزاوي ، "اللغة والحجاج" ، ص ص 108 ، 109

² - سورة مريم ، الآية 4

وما يهمننا في هذه الدراسة هو الاستعارة باعتبارها آلية حجاجية تدخل حسب "بيرلمان" في الاستدلال بواسطة التمثيل ضمن الحجج القائمة على الاتصال المؤسسة لبنية الواقع ، ومن أمثلتها قول الخطيب أبي بكر الصديق: « لَا يَدْعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ » ، وباعتبار الاستعارة مشتقة من التمثيل فإن القوة الحجاجية تظهر في حذف المشبه به وجعل المشبه هو المقصود لأن جرح الذل أكثر إيلاما من جرح السوط ، واستعارة الكلمة من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي أكسب كلام زياد بن أبيه طاقة حجاجية ذات تأثير قوي في نفوس السامعين ، و في قول زياد بن أبيه: «فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء و الغي الموفي بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حتماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير » حيث لم يكتف بذكر كلمة الضلالة التي تؤدي المعنى لوحدها، بل استعار كلمة عمياء ليزيد من تأثير الملفوظ في السامعين ، فنقل (الضلالة) من المجرد إلى المحسوس وحذفه و أبقى على أحد لوازمه(عمياء) ليزيد من إيضاح الصورة لدى السامعين حيث بين درجة الضلال الذي هم عليه ، الأمر الذي يحصل به الفهم والتأثير ، وإذا تأملنا الاستعارة في: "ينبت فيها الصغير" نجده يشبه الأمور العظام (المعاصي) والفتى الذي ينشأ فيها بتربة غير صالحة تنبت فيها الحشائش الصغيرة مما يجعلها ضارة غير نافعة ، فبالتمثيل استطاع المتكلم أن يوصل فكرته بوضوح مما يجعلها تصل إلى ذهن السامع و تؤثر فيه، و من الاستعارات الأخرى نجد: قوله: فادعوا الله بالصالح لأنتمكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذي إليه تأوون ،ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشربوا قلوبكم ببغضهم فيشند لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا به حاجتكم ، حيث شبه البغض بشراب آسن يجلب الهم والغم للدلالة على ما هم عليه أهل البصرة من كره لبني أمية وفائدة الاستعارة أنها جعلت المعنى أكثر جلاء ووضوحا بنقل المنى من المجرد إلى المحسوس ، و في رد زياد بن أبيه على أبي بلال مرداس بن أدية لما احتج على قوانينه الجديدة بالآية القرآنية ، قال: " إنا لا نبلغ ما نريد فيك و في أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضا" أي نسوق و ندفع إليكم الباطل دفعا فتتلقفونه

فنعاقبكم عليه ، فشبهه الباطل و هو معنوي بشيء مادي يساق و يدفع على وجهة معينة كالماء أو القطيع من الأغنام أو غيره. و مما ورد في خطبة داوود بن علي قوله: أيها الناس ! الآن أفتشت حنادس الدنيا ، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، و طلعت الشمس من مطلعها، و بزغ القمر من مبرزه.و هي كنايات عن رجوع حق الخلافة إلى بني العباس بعد حقبة مظلمة بالنسبة لهم، وفي قول آخر له : فركبوا الآثام ،... التي بها استلدوا تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي. ففي هذه الاستعارة شبه الآثام تارة بدابة يركبها بنو أمية ، و تارة أخرى بلباس يلبسونه ثم جعلها رياضاً يمرحون فيه و يركضون، وهذا دليل على إغراقهم في المعاصي وتعودهم عليها حتى صارت لهم كالمأكل والمشرب و الملابس و الترفيه ، والنتيجة التي تخدمها هذه الحجج هي: نحن العباسيون أفضل منهم ثم أننا أنقذنا الأمة من شرهم و استرجعنا حقنا، فعليكم أيها الناس بنصرتنا . وفي قول حجاجي آخر له: أرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه . استعمل تعبير تعثر الجواد في زمامه كناية عن ضعف الخليفة الأموي عن مواجهة سيوف العباسيين ، وقوة الاستعارة الحجاجية تضاهي أقوى حجة في السلم الحجاجي الذي يقوم على تراتبية الحجج و لناخذ هذه الاستعارة على الترتيب الآتي:

الحجة الأولى : فركبوا الآثام

الحجة الثانية : ومرحوا في أعنة المعاصي

النتيجة : فأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون

II - الطرائق الانفصالية في الحجج :

إذا كانت الطرائق الاتصالية السابقة تربط بين عناصر غير مترابطة أصلاً فإن الطرائق الانفصالية تفصل بين عناصر يقتضي وجود وحدة بينها ومفهوم واحد لها ، وإنما وقع

الفصل لأسباب دعا إليها الحجاج ومرده إلى زوج الظاهر / الواقع أو الحقيقي ، بمعنى أن الأشياء يمكن أن يكون لها حدان ظاهر زائف وواقع حقيقي ، وهذا ما يدعى بالأزواج الفلسفية التي تستمد مظهرها الحجاجي من فصلها داخل المفهوم الواحد ومن طرائق الفصل في الأقوال والخطابات بعض الجمل الاعتراضية مثل : إن هذا البطل - إن صح أنه بطل - ... وبعض الأفعال مثل : يزعم أو يتوهم¹ ، وهنا يتمثل دور الفصل الحجاجي بواسطة الطرائق اللغوية والكتابية في حمل السامع على تمثيل مظهرين : الظاهري الزائف و الحقيقي الواقعي²

2 الخطب المختارة في ضوء نظرية الحجاج اللغوي:

- الحجاج اللغوي : (ديكرو Ducrot و انسكومبر Anscombre)

لقد كان ما توصلت إليه نظرية الأفعال الكلامية منطلقا للنظرية الحجاجية اللسانية عند ديكرو و أنسكومبر حيث اعتبرا أن الملفوظ عامة و لا سيما الملفوظ الحجاجي ما لا يعدو أن يكون الفعل الإنجازي وفق تمييز "أوستين" وهو إنجاز قولي يحمل قصدا معينا ، بل إن ديكرو يصرح أن الغرض العام لهذه النظرية الجديدة هو بناء نظرية في تأويل الملفوظات³ ، ويرى أبو بكر العزاوي أن نظرية الحجاج في اللغة أمر مستجد في الدراسات اللسانية وضع أساسها الفرنسي أوزفالد ديكرو 1973 ، وهي تنطلق من الفكرة الشائعة إلى مؤداها "إننا نتكلم عامة بقصد التأثير"⁴ ، و الحديث عن الحجاج اللغوي يقتضي منا التوقف عند كتاب " الحجاج في اللغة " 1983 الذي عرضا فيه مفهوم الحجاج وآلياته وهو يختلف عن مفهوم

¹ - ينظر : عبد الله صولة ، "الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج" (الخطاب الجديدة) لبرلمان وتيتيكا، ص ص 343 ، 345

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 346

³ ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج ، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2014 ، ص 28 ، 30

⁴ ينظر: صابر الحباشة التداولية والحجاج، ص 50

بيرلمان وتيتيكا ، فهو حجاج يقوم على اللغة بالأساس ، بل يكمن فيها ولا يخرج عنها ، بينما عرف بيرلمان الحجاج باعتباره مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية . ويرى ديكر و أنسكومبر أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وتتربط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر ، أي أن المتكلم يجعل قولاً ما (ق1) حجة لقول آخر (ق2) هو بلغة الحجاج نتيجة قد تكون صريحة أو مضمرة فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل اعتماداً على بنيتها اللغوية فحسب¹. كقولنا: لقد أرهقنا من المشي ، فلنستريح ، محمد مجتهد إذن سينجح، الوقت متأخر ، ويحتل نتيجتين ضمنتين هما: إذن لا داعي للذهاب أو فلنسرع. وما يلاحظ أن ديكر و أنسكومبر يعتبران المضمون ثانوياً في نظرية الحجاج اللغوي ويعتبران أن التسلسل الحجاجي نتاج بنية الملفوظ لا مضمونه²

و أن الباحثين ركزوا على الدور الحجاجي الذي يلعبه الكساء اللغوي لهذه الوقائع ، فانتهيا إلى أن اللغة تحمل في طياتها بعدا حجاجيا كامناً في صميم بنيتها الداخلية مسجلاً فيها وليس عنصراً مضافاً إليها ، ومن ثم فمعنى الأقوال لا ينفصل عن طابعها الحجاجي . فالحجاج ظاهرة تداولية وهو إنتاج متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج وبعضها بمثابة النتائج ، وبهذا الاعتبار فالحجاج تؤديه مكونات لغوية هي روابط أو عوامل أو صيغ ، وفضلاً عن محتواها الإخباري ، تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول ، وتنهض نظرية الحجاج في اللغة على جملة من المفاهيم تفسر اشتغالها وهي (العلاقة الحجاجية والمواضع الحجاجية والاتجاه الحجاجي والقوة الحجاجية والسلم الحجاجي)³ .

تهدف نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة انطلاقاً من فرضية أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وهي نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية

¹ -ينظر : سامية الدريدي ، "الحجاج في الشعر العربي" ، ص ص 22 ، 23

² ينظر: عز الدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، ص35

³ -ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ص 95 ، 98

الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية¹. وتقتضي الوظيفة الحجاجية لغة انجاز تسلسلات إنتاجية داخل الخطاب، وتقوم مرتكزات هذه النظرية على القرائن الحجاجية والسلم الحجاجي:

أ- القرائن الحجاجية **Marquets argumentatifs**:

وهي نوعان: «ينبغي التمييز حسب ديكرودucrot بين الروابط الحجاجية (Les connecteurs) والعوامل الحجاجية (Les opérateurs)، فالروابط الحجاجية هي التي تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر وتسد لكل قول دورا حجاجيا محددًا حسب السياق التداولي ومن بين هذه الروابط: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، بما أن، إذ... الخ، أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين حجة وأخرى، بل تقوم بدور حصر الإمكانيات الحجاجية وتقيدها داخل ملفوظ حجاجي معين، ومن أدواته: ربما، وتقريبا، وكاد، وقليلًا، وكثيرًا، وما، ... إلا، وجُل أدوات الحصر و القصر»². ولكي تتجح العملية الحجاجية لابد من توفر قواعد عامة مقبولة جماعيا كالمعتقدات والمسلمات المشتركة تدعى المبادئ الحجاجية وعند أرسطو تسمى المواضع الحجاجية³.

ولننتقل من الترتيب الأفقي للحجج إلى عن طريق الروابط إلى الترتيب العمودي عن طريق السلم الحجاجي.

ب- السلم الحجاجي **Echelle argumentatifs**:

يعد هذا المفهوم من المفاهيم الأساسية في نظرية الحجاج اللغوي التي تهدف إلى وصف الأقوال وتحديد مراتبها باعتبار وجهتها وقوتها الحجاجيتين، يقول ديكرود: «إن أي

1- ينظر: جميل حمداوي، "نظريات الحجاج"، ص ص 32-33-34.

2- المرجع نفسه، ص 37.

3- ينظر: عبد اللطيف عادل، "بلاغة الإقناع في المناظرة"، ص ص 98-99.

حقل حجج ينطوي على علاقة ترتيبية (لحجج) نسميه سلماً حججياً¹، فمن خلال هذا التعريف الموجز يتضح لنا أن السلم الحجج يقوم على أساس تتابع الحجج وترتيبها من حيث القوة والضعف و تكون في فئة حججية واحدة ، فتأتي الحجة الأضعف ثم الأقوى منها وهكذا تتدرج في القوة حتى تصل إلى النتيجة مثل قول طالب عمل لمدير شركة ما:

- لدي شهادة الكفاءة الأستاذية

- و عندي خبرة مهنية في مجال اختصاصي

فطالب العمل استعمل الحجج بالترتيب من حيث القوة ، فالحجة الأولى تمثلت في الشهادة الأكاديمية وربما يعلم الطالب أن ذلك لا يكفي للحصول على الوظيفة ، فأضاف الحجة الثانية الأقوى من الأولى و هي الخبرة المهنية في مجال تخصصه، فبذلك جمع بين النظري و التطبيقي والنتيجة المضمرة التي يريد الوصول إليها : أنني أمتلك كفاءة لهذا المنصب .

ويرى طه عبد الرحمن: أن السلم الحجج « مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشرطين التاليين:

أ. كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

ب. كل قول في السلم كان دليلاً على مدلول معين كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى.

فمثلاً الجمل: "حصل زيد على الشهادة الابتدائية"، و"حصل على الشهادة الثانوية"، و"حصل على شهادة الإجازة" تشكل سلماً مدلوله كفاءة زيد العلمية».

وأهم قوانين هذا السلم ثلاثة:

1- المرجع السابق، ص 101.

أ- قانون الخفض: إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها.

ب- قانون تبديل السلم: إذا كان القول دليلاً على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله.

ج- قانون القلب: إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول»¹.

وإذا أردنا أن نمثل لقوانين السلم المذكورة فعندئذ سندرج المثل الآتي في قانون الخفض: فعند قولنا :

"الجو ليس بارد" فإننا سنفسر القول: إذا لم يكن الجو بارد فهو دافئ أو حار ، ونستبعد تماماً التفسيرات من قبيل أن البرد شديد و قارص.

أما في قانون تبديل السلم (قانون النفي) : فنسوق المثل الآتي:

-علي مجتهد ، لقد نجح في الامتحان

-علي ليس مجتهد ، إنه لم ينجح في الامتحان

فإذا كان القول الحجج مستخدم ليخدم نتيجة نتيجة اجتهاد علي ، فإن نفيه هو حجة لصالح النتيجة المضادة وهي عدم اجتهاد علي ، وقبونا للحجاج الأول يقتضي القبول بالحجاج الثاني.

وفي قانون القلب ندرج المثل الآتي:

1- طه عبد الرحمن، "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص 105 - 106.

- حصل علي على شهادة الليسانس و على الماستر أيضا

- لم يحصل علي على شهادة الماستر بل لم يحصل على الليسانس

فحصله على الماستر أقوى حجة على كفاءته العلمية من الليسانس ، لكن عدم حصوله على شهادة الليسانس أقوى دليل على عدم كفاءته العلمية من عدم حصوله على الماستر، فالسلم الحجج للأقوال المنفية هو عكس سلم للأقوال المثبتة¹.

القرائن الحججية في الخطب المختارة:

أ. الروابط الحججية: يكمن دور الروابط الحججية في استثمار دلالاتها في الربط والترتيب بين الحجج² لخدمة التوجه الحجج عند الخطيب ومن بين هذه الروابط التي أفاد منها الخطباء في هذه الخطب المختارة:

- الرابط حتى:

وظف الخطيب أبو بكر الصديق "حتى" في موضعين لما لها من دور حجج هام ولنأخذ قوله: « وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ». نجد الرابط الحجج في هذا المثال يربط بين حجتين لهما نفس التوجه الحجج: الحجة الأولى: "الضعيف فيكم عندي قوي"، والحجة الثانية وهي الأقوى: "رد الحق له" وهما تخدمان النتيجة المضمرة الواحدة المتمثلة بتحقيق العدل ، ونفس الشيء للعبارة الأخرى المقابلة لها فالحجة الأولى: "القوي فيكم عندي ضعيف" و الحجة الثانية: "أخذ الحق منه"، والنتيجة المضمرة تحقيق العدل، ويمكن القول أنه لا أثر للإبطال والتعارض في هذا المثال ف "حتى" تصنف ضمن روابط التساوق والتساند الحجج، كما أنها من الروابط المدرجة للحجج .

1 ينظر: أبوبكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، ط1 ، 2006 ، ص 22 ، 23 ، 24

2- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "إستراتيجيات الخطاب"، ص 472.

و في الخطبة البتراء لزياد بن أبيه نجد قوله: « فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام » فالرابط الحجاجي "حتى" ربط بين الحجة الأولى و الحجة الثانية وهي الأقوى و الاثنتان تخدمان نتيجة واحدة وهي: بسببكم انتشر الفسق في البصرة . و قوله: « حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدمًا وإحراقًا » الحجة الثانية أقوى من الأولى و النتيجة فرض الطاعة والاعتدال . وقوله: «وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول (انج سعد فقد هلك سعيد)، أو تستقيم لي قناتكم» وكما هو الحال عليه في الرابط الحجاجي "حتى" فإن الحجة التي بعدها أقوى مما ورد قبلها والنتيجة لا تختلف عن القول الحجاجي السابق وهي: فرض الطاعة. وقوله: « إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته » وردت حجتان قبل "حتى" وواحدة بعدها كلها ذات توجه حجاجي واحد يخدم النتيجة وهي: أني حلیم مع من يستر كراهيتي و حازم مع المجاهر بها.

ومما ورد في خطبة داوود بن علي نجد: « و أدالنا الله من مروان، وقد غره بالله الغرور، أرسل لعدو الله في عنانه حتى عشر في فضل خطامه » فالحجة الأولى أقل قوة من الحجة الثانية التي جاءت حاسمة في كون تعثر جواد الخليفة في فضل زمامه دليل على الضعف و الخور والهزيمة لذا كانت هذه الحجة بعد "حتى" منبئة بالنتيجة دالة عليها ، و نتيجة القول الحجاجي أن مروان بن محمد ضعيف ليس أهلا للخلافة. وقوله: «يا أهل الكوفة: إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان» وردت "حتى" بين حجتين والحجة الثانية بعد الرابط الحجاجي تمثلت قوتها في كونها الحل المؤدي للنتيجة : استرجعنا حقنا المسلوب. ولنواصل مع قول داوود بن علي: « فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه » يتضمن حجتان الثانية منهما أقوى والنتيجة استمرار خلافتنا العباسية إلى آخر الزمان ، ألا نرى أن

الحجة بعد "حتى" توحى بالنتيجة و تدل عليها ، ففعل تسليم الخلافة لسيدنا عيسى عليه السلام لا يحدث إلا في آخر الزمان ، فما يلاحظ أنه علاوة على قوة الحجة بعد الرابط "حتى" فإن هذه الحجة غالبا ما توحى بالنتيجة سواء كانت مضمرة أو صريحة.

-الرابطان: "الواو" و "الفاء" : تكمن أهميتهما في الربط بين الحجج أو بين الحجة والنتيجة ، مما يكسب الملفوظ الحجاجي ترتيبا و ترابطا يزيد من تماسك الحجج و قوتها لتحقيق النتيجة المرجوة من قبل المخاطب ، ومما ورد منهما في هذه الخطب تمثل في الآتي:

يقول أبو بكر الصديق: " **فإني قد وليت عليكم و لست بخيركم**" لقد استطاع المخاطب بإبداع كبير أن يربط بين حجتين يظهر أنهما مختلفتان أو متناقضتان لكنهما تسيران بفضل دور الرابط الحجاجي نحو نتيجة واحدة أراد المتكلم إيصالها للمخاطبين ، لزيادة و تثبيت درجة الإقناع لديهم ، ف"الواو" تعد من روابط الحجج المتساندة ، فالحجتان لهما توجه حجاجي واحد هو: بما أني أصبحت واليا عليكم لا يعني أنني أفضلكم والنتيجة أن تقبلوا بي على ما أنا عليه من نقص يعتريني ، وقوله: "**فإن أحسنت فأعينوني**" ، و قوله: "**إن أسأت فقوموني**" جاءت "الفاء" مرتبة و رابطة للحجة بالنتيجة مما يجعل الإعانة مرتبطة بالإحسان ، والتقويم مرتبط بالإساءة ، أما قوله: "**الصدق أمانة و الكذب خيانة**"، فالحجتان متساندتان تسيران في اتجاه حجاجي واحد هو الحث على التزام الأخلاق الفاضلة .

وفي خطبة زياد بن أبيه نجد هذا القول الحجاجي: "**تعذرون بغير العذر ، وتغضون على المختلس**" حيث ربط بين حجتين تخدمان النتيجة المضمرة وهي أنكم في جهل و ضلال ، لأن أعداركم واهية في مخالفة منهج القرآن و السنة ، فالرابط "الواو" ل دور حجاجي كبير، فالربط و الجمع بين الاعتذار الزائف و غض الطرف عن المختلس ليعيث فسادا يجلي الحقيقة الفاضحة للمستوى الذي بلغه هؤلاء مما يجعلهم يراجعون سلوكياتهم.

وفي خطبة داوود بن علي نتأمل قوله: "**الحمد لله شكرا شكرا الذي أهلك عدونا و أصر إلينا ميراثنا من نبينا محمد ﷺ**" جمع الرابط الحجاجي "الواو" بين الحجة والنتيجة ، لأن

هذا العدو المتسبب في ضياع الحق سينتج عن هلاكه استرجاع ما أخذه غصبا ، و في قوله: " تبا تبا لبني أمية وبني مروان، آثروا العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام وظلموا الأنام، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسريل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي، جهلا منهم باستدراج الله، وعميا عن أخذ الله، وأمنا لمكر الله، فأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق، فبعدا للقوم الظالمين." قام الخطيب بتوظيف الرابطين الحجاجيين "الواو" و "الفاء" معا لاشتراكهما في وظيفة الربط و الترتيب بين الحجج و بين الحجة والنتيجة ، وقد اختص الواو بالجمع بين الحجج واختص الفاء بالربط بين الحجة والنتيجة ، و بيانه كالاتي:

فالحجة الأولى : آثروا العاجلة على الآجلة

والحجة الثانية: و الدار الفانية على الدار الباقية

النتيجة: فركبوا الآثام و ظلموا الأنام

و كذلك الشأن في القول الحجاجي الموالي حيث ساق الحجة الأولى: و مرحوا في أعنة المعاصي ، والحجة الثانية : و ركضوا في ميادين الغي ، وكانت النتيجة: فأتاهم بأس الله بياتا و هم نائمون .وسارت على نفس المنوال باقي الحجج: إذ نجد الخطيب يأتي بالحجة الأولى: فأصبحوا أحاديث ، والحجة الثانية : و مزقوا كل ممزق ، والنتيجة ، فبعدا للقوم الظالمين . وقد واصل الخطيب على نفس الوتيرة الحجاجية في المثال الآتي حيث يربط بين الحجج السبعة المتوالية بالواو التي تجعلها مترابطة مع بعضها البعض فتبدو كأنها حجة واحدة، ثم يصل الحجة الأخيرة بالنتيجة بواسطة "الفاء" ، في قوله: "فأظهر فيكم الخليفة من هاشم و بيض به وجوهكم ، و أدالكم على أهل الشام ، و نقل إليكم السلطان و عز الإسلام ، و من عليكم بإمام منحه العدالة ، و أعطاه حسن الإيالة ، فخذوا ما أتاكم الله

بشكر"، أما في المثال الموالي: "أيها الناس الآن أقتضت حنادس الدنيا ، و انكشف غطاؤها ، و أشرقت أرضها و سماؤها ، و طلعت الشمس من مطلعها ، و بزغ القمر من مبرغه ، و أخذ القوس باريها ، و عاد السهم إلى النزعة ، ورجع الحق على نصابه" فقد جاء بسبع حجج ونتيجة كلها مربوطة برياط "الواو" لحرص المخاطب على ترابط الحجج لتؤدي معنى واحد مما يجعل الإقناع و التسليم ممكنا.

رابط التقابل: و في الخطبة البتراء نجد قول الخطيب: "قربتم القرابة و باعدتم الدين" حيث ربط بين حجتين متقابلتين لكنهما تسييران في وجهة حاجية واحدة و تخدمان نفس النتيجة وهي أنكم على جهل و ضلال، "فرب مبتئس بقدومنا سيسر ، و مسرور بقدومنا سيبتئس"، و قوله: "فلنا عليكم السمع و الطاعة فيما أحببنا ، و لكم علينا العدل فيما ولينا" الرابط ثم: قول زياد بن أبيه: "فلم يزل ما بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب" وعلاوة على دور هذا الرابط في الربط بين الحجج والترتيب بينها ما يسهم في تبين الحجة لدى السامع.

ما الظرفية: قال أبو بكر الصديق: "أطيعوني ما أطعت الله و رسوله" ربط المتكلم بين الحجتين ب"ما الظرفية" التي ساهمت في تحديد المدة التي تستغرقها طاعة الناس لأمير المؤمنين المربوطة بطاعته لله ورسوله ، وهو بهذا الطلب لم يبتدع و إنما يسير على نهج لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ب. العوامل الحاجية: هي وسائل لغوية لا تربط بين متغيرات حاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج ولكنها تقوم بحصر و تقييد الإمكانيات الحاجية التي تكون لقول ما¹، ما يجعل للقول إمكانية حاجية واحدة لا تتعداها إلى سواها من الاحتمالات الأخرى ومنها:

1- ينظر: أبو بكر العزاوي ، "اللغة والحجاج"، ص 90.

1) الحجاج بالنفي: النفي رد فعل على إثبات فعلي، و عاملية أدوات النفي الحجاجي يمكن إدراكها بإدراك النتيجة التي يريد المخاطب توجيه المتلقي إليها¹، وقد وظفه أبو بكر الصديق في قوله: " **فإني قد وليت عليكم و لست بخيركم**" فالإثبات خاص بالولاية التي تقتضي تنصيب الأفضل بين الناس ، و من يروونه كذلك يقوم بردة فعل نفي من خلالها ذلك الإثبات ، والنتيجة المتوخاة من نفي أبي بكر الأفضلية لنفسه هي وجوب إدراك الناس من البداية بأنه واحد منهم لا يختلف عنهم ولا عصمة له من الزلل و الخطأ ، وقوله: **"إذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"** هي حجة مؤكدة لما قبلها ، إذ ينفي ما هو ثابت (من وجوب طاعة الرعية له) في حالة مخصوصة تحدث فيها معصية منه ، والحجة تتجه نحو نتيجة نفي الطاعة العمياء له ، وهذا ما يزيد في مكانته بين الناس كحاكم غير مستبد و لا طاغي .

ونلمس ذلك في قول زياد بن أبيه: **"ينبت فيها الصغير، و لا يتحاشى عنها الكبير"** يتحدث لأهل البصرة عن جرائمهم الأخلاقية فيأتي بالحجتين الثانية أقوى من الأولى فلم يكفي أن الصغير ينبت في المعاصي حتى يزيد عليه الكبير ، موظفا النفي لما هو مثبت في الأصل ليقوي درجة الحجة فالمعروف أن الكبير يتحاشى عن ارتياد المعاصي لكن أن لا يتحاشى مع كبر سنه فلا خير ولا صلاح أصبح يرجى منه ، وهذه هي النتيجة التي أراد الخطيب إيصالها إليهم لعل أن تعيها أذن واعية . وقوله: **« كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدى الذي لا يزول؟ أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية علي الباقية؟ و لا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه »** وظف الخطيب النفي بلم في الحجتين المتتاليتين نافيا عن أهل البصرة ما حقه الإثبات وهو سماع

1- ينظر: خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ذي قار، المجلد 5 ، العدد (1) ، آذار ، 2015، ص 166.

القرآن و تدبره و معرفة ما فيه من التحذير من العقاب ، والحجاج موجه نحو إمكانية واحدة هي أنكم في طريق المعصية سائرون ، والنتيجة : وجوب ردعكم و إصلاحكم .ثم ينفي عنهم تذكرهم لجرائمهم في حق الدين ليوصل رسالة مفادها أن هؤلاء خاضوا في المعاصي لدرجة أنهم أصبحوا كالسكارى يتخبطون في المعصية دون علم منهم و إدراك . وقوله: «كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ؟ صنع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ؟ ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام» نفس الخطاب الحجاجي السابق يتواصل بتعداد جرائمهم عن طريق النفي المتعدد بين "لا" و "ما" و "لم"، إذ ساهمت في حصر الإمكانيات الحجاجية في توجه واحد هو أنكم مستمرين في طريق المعصية والنتيجة أن التغيير الجذري يبدأ بإصلاحكم. وقوله: «إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره» كذلك نرى أن الخطيب يحصر الإمكانيات الحجاجية في أنه لا يأخذ الناس بما يضمرونه في صدورهم من بغض له إلا إذا جاهروا به ، و النتيجة من وراء ذلك إعلامهم باجتماع اللحم والحزم لديه .وقوله: «واعلموا أي مهما قصرت فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانة، ولا مجمرا لكم بعثا (أي لا يبقي الجيش في ارض العدو في غير زمن الغزو)» نلاحظ تعدد توظيف أدوات النفي بلن و ليس و لا وكلها تدخل في حصر الحجاج تجاه سياسته المستقبلية في حسن التدبير و التسيير في معاملة الرعية و النتيجة المستهدفة زرع الطمأنينة في النفوس بعد سيل من التهديد والوعيد الذي بادروا به من أول الخطبة .

أما في خطبة داوود بن علي فنجده يقول: «إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجينا ، و لا عقيانا ، و لا نحفر نهرا ، و لا نبني قصرا»، وهو بهذا يحصر الإمكانيات الحجاجية في عدم الجري وراء شهوات الدنيا والنتيجة هي حكم الخليفة أساسه الورع والتقوى.

وقوله: «وَأَلْزَمُوا طَاعَتَنَا ، وَلَا تَخْدَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّ الْأَمْرَ أَمْرُكُمْ» وظف النفي لتوجيه الحجاج نحو فرضية مغبة التفكير في أن الخليفة ليس في صفهم وهذا ما يجعلهم يشرون بالأمان ، والنتيجة التي يسعى المتكلم لتحقيقها هي طاعة الخليفة.

(2) **الحجاج بالقصر:** يعد من أقوى العوامل الحجاجية التي يلجأ إليها الخطيب في حصر وتقييد وتوجيه الحجاج الوجهة التي يقصد ويريد ، خاصة وأن المخاطب الذي يخاطب بهذا العامل الحجاجي يكون منكرا أو شاكا في قبول الحكم، ولذلك كان التوكيد السمة البارزة لهذا العامل¹، وقد استعان به أبو بكر الصديق بتوظيفه بطريقة النفي والاستثناء قائلا: « لَا يَدْعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ »²، فقد حصر الخطيب تسليط الذل بسبب ترك الجهاد ، كما حصر تعميم البلاء بسبب انتشار الفاحشة ، و النتيجة التي يريد أن ينقلها إليهم هي ضرورة الاستقامة للنجاة في الدين والدنيا ، ومن أمثلة الحجاج بالقصر ما ورد في خطبة زياد في قوله: « إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله»، و في هذا تأكيد وحصر للإمكانات الحجاجية في اتجاه واحد هو الحرص على صلاح أمر البصرة في عصره بما صلحت به في أول الإسلام ، والنتيجة المستهدفة هي إظهار الحرص الصالح والإصلاح بما يتفق مع منهج النبوة ، وقوله: « فإياي و دلج الليل فاني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه» يقيد الإمكانيات الحجاجية عن طريق النفي والاستثناء في جهة التحذير من الخروج ليلا و النتيجة هي الشدة و الصرامة في تطبيق القانون وقوله: «وإياي ودعوى الجاهلية، فاني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه» ويدخل هذا القول الحجاجي في تحذير أهل البصرة من إثارة النعرات والفتن الجاهلية ، ونتيجته إظهار الشدة والصرامة. وقوله: « ولا تظهر على أحد منكم ريبة

1- ينظر: خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، ص ص 166-167.

2- أحمد زكي صفوت، "جمهرة خطب العرب"، ج1، ص 61.

بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه» و يدخل توظيف عامل القصر في التأكيد على القتل لمجرد الشبهة و الظن ، والنتيجة زرع الخوف في الرعية .

وفي خطبة داوود بن علي نجد قوله: «ألا و إنه ما سعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، و أمير المؤمنين عبد الله بن محمد» و هنا يحصر الخطيب الإمكانيات الحجاجية في وجهة واحدة وهي و جوب الاعتقاد أن الخلفاء المؤهلين لصعود المنبر هم الثلاثة المذكورين، والنتيجة أن الخلافة حق شرعي لآل بيت النبي ﷺ دون سواهم من الخلق.

أما توظيف القصر بطريقة إنما فقد نال نصيبه كذلك ، فالمقام يقتضي اللجوء إلى مختلف العوامل الحجاجية للإقناع والتأثير، وتوصف "إنما" بأم طرق القصر وهي تفيد في الكلام بعدها إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره، وفي الحجاج توجه الملفوظ نحو نتيجة محدّدة ضيقة¹. ومثالها نجده في قول داوود بن علي: « **وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبني عمنا، ولسوء سيرة بني أمية فيكم** » وهنا يتضح التوجيه الحجاجي في ذكر أسباب خروج العباسيين على الخلافة الأموية و نفي أي توهم آخر يحمل سببا دنيويا ، وقوله: « **إن أمير المؤمنين -نصره الله نصرًا عزيزًا-**، **إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك**» وجه الخطيب الحجاج و حصره نحو وجهة واحدة هي أن مرض الخليفة هو من ألزمه قطع كلامه و نفي أي شك أو ريبة محتملة قد تفسر عودته إلى المنبر باستثناء السبب الذي ذكره الخطيب.

1- ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر و التوزيع، صفاقس، تونس

ط1 ، 2011 ص 54.

(3) الحجاج بالتوكيد: غاية التوكيد تداولية حجاجية في المقام الأول تتمثل في التأثير على المتلقي وإقناعه ، وتستخدم المؤكدات بحسب حالة المخاطب فإذا كان خالي الذهن غير متردد في قبول الحكم خلت الجملة من التوكيد فهي إخبار فقط وإن كان السامع متردد في قبول الحكم يتم توظيف أداة توكيد واحدة ، وإن كان منكرا للخبر يتم توظيف أداتي توكيد فأكثر لإقناعه وتغيير قناعته¹. و لما لهذه الأدوات من حاجة ملحة للإقناع، فلا غنى للخطيب عنها، ومن أمثلة ذلك عند أبي بكر الصديق قوله: « **فَأِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ** ». فالتوكيد ب"إن" و"قد" جاء بحسب حال المخاطبين الذين قد يكون عند بعضهم تردد أو إنكار في مبايعة الخليفة ، ليعلموا أن الأمر قد تم و لا مجال للتراجع ، والنتيجة هي ضرورة حسم أمرهم في أمر البيعة، خاصة إذا ما علمنا الظروف التي تم فيها الأمر و التي كانت لا تحتمل التأجيل أو التراخي لأن مصير الدين والأمة كان مرتبطا بهذه اللحظة ، وفي جملة "لست بخيركم" وظف التوكيد بحرف الجر الزائد " الباء" فالمخاطب ليس خالي الذهن تماما بل منهم من يعتقد أن الخليفة هو الأفضل لذلك نجد أبا بكر يؤكد نفيه لهذه المسألة . ومن أمثلة الحجاج بالتوكيد في خطبة زياد بن أبيه قوله: « **أما بعد: فإن الجهالة الجاهل ما فيه سفهاؤكم و يشتمل عليه حماؤكم**» وظف عامل التوكيد ب"إن" في بداية الكلام لأنه يخاطب قوما مترددين في الثقة بكلامه و تصديقه، و قوله: «**ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء**» فالمتكلم شعر بأن المخاطب لا يثق في كلامه، لذا وظف حرف الجر الزائد، و في لجة الثانية وظف مؤكدين لام التوكيد و قد لإنكار المخاطبين للحكم ، وقوله: «**حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا**» توكيد بالقسم لتهديد السامعين وإظهار الحزم و الصرامة ، وقوله: «**وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى**» فتراه يكثر من القسم لما له من أثر قوي في فرض التأكيد عند مخاطبة الآخر ، ويضيف إليه هنا "إن" و "لام التوكيد" لإنكار المخاطبين لما يقول وعدم أخذ كلامه على محمل الجد لدى فئة منهم

1- ينظر: خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، ص ص 168 - 169.

وقوله: « إن كذبة المنبر بقاء مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبه فقد حلت لكم معصيتي، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في » وظف التوكيد بإن والشرط وقد وكل هذا لأنه في مقام حجاج خصوم ينكرون وجوده بينهم فما بالك بكلامه .وقوله: «من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه» استعمل الشرط للتأكيد على إنجاز الجواب وهو رد ما سلب ونهب و النتيجة إظهار العدل . وقوله: «وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم ، وظف مؤكدين "الباء الزائدة" و "قد" التي تفيد هنا تحقيق وقوع الفعل بعدها وهو المهلة التي تسبق منع الخروج ليلا ، والنتيجة هي إظهار الحجة عليهم . وقوله: «وقد أحدثتم أحداثا وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة » وظف التوكيد لإثبات تطبيق السياسة الجديدة المنتهجة، والنتيجة المقصودة الجزاء من جنس العمل ، و قوله: "إنا أصبحنا لكم ساسة و عنكم زادة" تأكيد منه على الأمر الواقع الذي قد لا يصدقه البعض أو لا يكون جديا في التعامل معه .وقوله: «و أيم الله إن لي فيكم لصرعى (قتلى) كثيرة» استعمل التوكيد بالقسم و إن و لام التوكيد لإزاحة أي شك أو إنكار من طرف السامعين و إثبات تهديده و وعيده، والنتيجة المتوخاة بث الخوف و فرض الطاعة عليهم.

وفي خطبة داوود بن علي نتأمل قوله: « الحمد لله شكرا شكرا شكرا » استعمل التوكيد اللفظي على حمده لله عز وجل لبيان فرحته باعتلاء العباسيين عرش الخلافة . وقوله: «إنا والله ما خرجنا لهذا الأمر لنكنز لجينا ولا عقيانا» وظف التوكيد ب "إن" و "القسم" لدفع الشك والإنكار عن مظنة الحكم من أجل شهوات الدنيا، و قوله: "و لقد كانت أموركم ترمضنا" تأكيد من الخطيب أن القادة العباسيين كانوا يتألمون لألم أنصارهم ولا يخفى ما في الحجة من تأثير عاطفي على السامعين، و قوله: "لكم ذمة الله تبارك و تعالى و ذمة رسوله صلى الله عليه و سلم و ذمة العباس رحمه الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله" توكيد و تعهد بالحكم وفق الشريعة لبث الثقة في النفوس، وقوله: «تبا تبا لبني أمية وبني مروان » فيه تأكيد على شتم الأمويين لإظهار كرهه لهم لاعتقاده أنهم سلبوهم حقهم في الحكم .وقوله:

«وقد غره بالله الغرور» ، توكيد على خروج الخليفة الأموي عن الحق و اتباع الهوى وفي ذلك نتيجة مضمرة وهي ، نحن أصحاب الكفاءة والأنسب للحكم .وقوله: «فقد أبدلكم الله بمروان...، الشاب المتكهل» في هذا القول الحجاجي توكيد على أفضلية الخليفة أبي العباس السفاح على الخليفة المقتول مروان بن محمد، وقوله: «يا أهل الكوفة: إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان» تأكيد من الخطيب على ما يعتقده من استرجاع لحقهم في الحكم بعد ظلم طويل . وقوله: «فإن الأمر أمركم ، فإن لكل أهل بيت مصر ، و إنكم مصرنا» تأكيد بتكرار "إن" ليقنع أهل الكوفة بأنهم موطن بيت النبوة وبيت العباسيين والنتيجة المقصودة بث الطمأنينة في نفوسهم والتفرغ لنصرة الخليفة و حسن السمع والطاعة له . وقوله: «فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا» استعمل مؤكدين ليقوي حجته التي قد يشك أحدهم في تحقيقها وهي تأكيد من الخليفة بالتمسك بالحكم إلى آخر الزمان ، والنتيجة من وراء التوكيد الحجاجي طلب النصرة والمعونة على تحقيق الرغبة.

ومن العوامل الحجاجية بعض المكونات المعجمية مثل:

لا يزال: هو من العومل الحجاجية التي تسهم في انتخاب خيار من الخيارات الحجاجية المطروحة في ذهن المتكلم ، ومنه قول زياد بن أبيه: " ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدى الذي لا يزول؟ فالعامل "لايزول" يؤثر إيجابا في أهل الطاعة و سلبا في العاصين ، فعدم زوال الزمن السرمدى يقابله استمرارية العذاب، وقوله: ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام» فكان توظيف العامل لتحديد الوجهة الحجاجية المتمثلة في استمرار تراخيهم وتقاعسهم . و في قول داود بن علي: «يا أهل الكوفة: إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان» وظف هذا العامل لتوضيح

طول مدة الظلم الذي لقيه العباسيون قبل الثورة ، الأمر الذي يحرك شعور السامعين من أنصارهم و يجعلهم يسارعون لنصرتهم و مؤازرتهم.

و إذا كان للروابط الحجاجية دورٌ في ترتيب الحجج ونسجها في خطاب حجاجي واحد متكامل من خلال استثمار دلالاتها، فإن وظائفها لا تنحصر في الربط النسقي على المستوى الأفقي، بل تتجاوز ذلك إلى الترتيب العمودي¹، وهذا ما يصطلح عليه في الحجج اللغوي بالسلم الحجاجي.

ج- السلم الحجاجي:

يعتمد السلم الحجاجي على ترتيب الحجج عمودياً من الأضعف حجة إلى الأقوى حجة في فئة حجاجية واحدة² موجهة وبالتالي يمكن القول أنه نظام ترتيب للحجج يسهم في عملية الإقناع، ولهذا يلجأ إليه الخطباء للتأثير في جمهورهم ويتجلى ذلك من خلال خطبة أبي بكر الصديق التي جاءت في معظمها حججاً متتابعة متدرجة في الترتيب بحسب القوة والطاقة الحجاجية لخدمة النتيجة الواحدة في النهاية ، ففي قوله:

« وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» جاء بالحجة الأولى (الضعيف فيكم قوي عندي) ، ثم الحجة الثانية الأقوى (أريح عليه حقه إن شاء الله) و تربط "حتى" بينهما، والنتيجة المضمرة : تحقيق العدل و المساواة بينكم ، ونفس الشيء في الحججتين التاليتين :فالحجة الأولى (القوي فيكم ضعيف عندي) و الحجة الثانية أقوى(أخذ الحق منه إن شاء الله) و الرابط بينهما "حتى" والنتيجة تحقيق العدل و المساواة. و بيانها كالاتي:

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "إستراتيجيات الخطاب"، ص ص 472 - 473.

2- ينظر: خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، ص 171.

النتيجة (ن) تحقيق العدل و المساواة

ح2/ حتى أريح عليه حقه إن شاء الله

ح1/ الضعيف فيكم قوي عندي

النتيجة (ن) تحقيق العدل و المساواة

ح2/ حتى أريح عليه حقه إن شاء الله

ح1/ والقوي فيكم ضعيف عندي

و إذا تأملنا الخطبة البتراء نجد الخطيب قد أفاد من تراتبية الحجج في قوله: «قربتم القرابة وبعادتم الدين، تعتذرون بغير العذر وتغضون عن المختلس.! كل امرئ منكم يذب عن سفيهه ؟ صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ؟ ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء » استعمل حججا متتابعة تسير في اتجاه نفي الحلم عن البصريين والتأكيد على سفاهتهم ، والنتيجة المصرح بها هي "أنكم متبعون للسفهاء لا حلم لكم" ، ولم تكن النتيجة المتوصل إليها هي الغرض من الحجة ، وإنما القصد هو الاستعداد للإصلاح و التغيير الذي يستعد الأمير للإقدام عليه. وقوله: «إنا أصبحنا لكم سادة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عليكم بغيء الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما أولينا » وهنا يحاول الخطيب أن يؤثر في نفسيتهم من خلال حسن ترتيبه للحجج التي خدمت النتيجة المذكورة و هي طلب الالتزام بحسن السمع والطاعة .

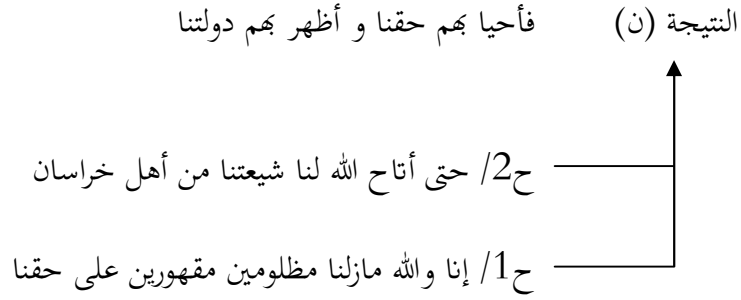
وفي خطبة داوود بن علي نجده توظيف السلم الحجاجي في قوله: « لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه و سلم وذمة العباس رحمه الله ، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم و الخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ». و ترابنية القول الحجاجي كالآتي:

الحجة الأولى: لكم ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس

الحجة الثانية: أن نحكم فيكم بكتاب الله وسيرة رسوله

النتيجة: أطيعونا و ناصرنا

و كما نرى فالنتيجة غير معلنة يصل إليها المخاطب بالاستدلال العقلي وهذا ما يزيد في قوة الحجة وتأثيرها. وفي قول آخر لداود بن علي نجد حججا متتابعة ضد بني أمية وكأنه يرميهم بسهام يتلو الواحد منها الآخر ما يعبر عن كم الغيظ الذي كان في داخله تجاههم وذلك في قوله: « تبا تبا لبني أمية وبني مروان، آثروا العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام وظلموا الأنام، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي، جهلا منهم باستدراج الله، وعميا عن أخذ الله، وأمنا لمكر الله، فأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون»، فكل القول حجج متتابعة تنتهي بنتيجة واحدة وهي بأس الله وعذابه لبني أمية على حين غفلة منهم . وفي قول آخر: «يا أهل الكوفة: إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاهم الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، و أفلج بهم حجتنا ، و أظهر بهم دولتنا » تضمنت هذه الحجج التأكيد على استرجاع حق الحكم والخلافة بعد الظلم والقهر وذلك بالاستعانة بأهل خراسان.



وما سيرد من أقوال تصب في نفس النتيجة وهو طلب النصرة والولاء وحسن السمع والطاعة في قوله: « فأظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيض به وجوهكم، و أدالكم على أهل الشام ، و نقل إليكم السلطان ، وعز الإسلام ، و من عليكم بإمام منحه العدالة ، و أعطاه حسن الإيالة ، فخذوا ما أتاكم الله بشكر ، و الزموا طاعتنا». فقوة هذه الحجج تكمن في كونها متدرجة في الترتيب متساندة تشكل علاقة سلمية بين الأقوال، و سلاحظ قوة الترتيب و التساند الحجج في الآتي: فظهر الخليفة المطالب بالحكم من بني هاشم هو مطلب لأنصار آل البيت ، ثم نقل عاصمة الخلافة إلى معقلهم سجد الترحيب و الابتهاج ، وعز الإسلام بالقضاء على أعدائهم الذين شوهوه في اعتقادهم ، ثم أن الله جعل في هذا الحاكم إضافة إلى النسب الشريف العدل و حسن السياسة والتدبير موحيا إليهم بالقداسة والسلطة الدينية لزيادة هيئته في نفوسهم ، والنتيجة من وراء كل هذه النعم (الحجج) الشكر المنتظر من الرعية الذي يتجسد بالطاعة.

خاتمة الفصل:

قمنا في الدراسة الحجاجية للخطب السياسية المختارة بالتركيز على الحجج وفق تقنيات "بيرلمان وتيتيكا" أو ما يسمى ب(البلاغة الجديدة) ، ثم وفق نظرية الحجج اللغوي التي جاء بها العالمان "ديكرو و أنسكومبر".

وتقسم التقنيات الحجاجية عند بيرلمان و تيتيكا إلى طرائق الوصل و طرائق الفصل ، وقد كانت طرائق الوصل هي السائدة في هذه الخطب من خلال أنواعها الأربعة التي تم توظيف بعضها وهي:

1- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية : و تم فيها توظيف حجج التناقض و عدم الاتفاق و حجج علاقة التبادل و قاعدة العدل ، و الحجج القائمة على التعديّة.

2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية: و وظيف منها نوع واحد وهو حجج تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له.

3- الحجج المؤسسة على بنية الواقع: و وظيف فيها حجج الاتصال التتابعي و حجج الوصل السببي ، ثم حجة الشخص و أعماله التي توظف بطريقتين : الطريقة الأصلية و تكون في صالح الشخص المذكور، و الطريقة العكسية و تكون ضد الشخص المذكور كما فعل داود بن علي في خطبته في حديثه عن الخليفة الأموي مروان بن محمد لإثارة الناس ضده ، و من حجج هذا النوع تم توظيف حجة السلطة و تكون شخصية كاستعمال نفوذ أشخاص سواء المتكلم بذاته أو آخرين لهم هيبتهم ، أو غير شخصية كالكتب المقدسة أو الفيزياء أو غيرها.

4- الحجج المؤسسة لبنية الواقع: و وظيف فيها حجة المثل أو الشاهد أو الاستشهاد خاصة الأمثال السائرة في خطبتي البتراء و داود بن علي، ثم حجة الاستدلال بواسطة التمثيل التي تم فيها استخدام المشابهة والاستعارة في الخطب الثلاثة.

وتجدر الإشارة إلى أن البلاغة لا بست الخطابة منذ القدم وذلك راجع إلى أن البلاغة تحوي كل أنواع الخطابات ومنها الخطابة كجنس قولي إقناعي ، و سر هذا الارتباط الوثيق بينهما يعود إلى أن نشأة البلاغة في الغرب يؤرخ له بأولى المحاكمات في صقلية حول الملكية ، أي أن ميلاد البلاغة كان خطابيا إقناعيا.

و في الحجاج اللغوي شاهدنا تنوع الروابط والعوامل الحجاجية فمن الروابط التي استعملها الخطباء نجد: حتى، الواو، الفاء، ما الظرفية، رابط التقابل، ثم. ومن العوامل الحجاجية: الحجاج بالنفي و الحجاج بالقصر بطريقتي النفي و الاستثناء و بطريقة "إنما" ثم الحجاج بالتوكيد، كما تميزت خطبتا أبي بكر الصديق و داود بن علي بتوظيف السلم الحجاجي الذي يعتمد على ترتيب الحجج عموديا من الأضعف حجة إلى الأقوى حجة في فئة حجاجية واحدة، ما يسهم في عملية الإقناع.

وإذا كان الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا مثل نظرة منطقية و بلاغية للحجاج، فإن إعمال ديكر و أنسكومبر انغرست في أديم لساني تداولي صرف، وقد ميزت نظرية ديكر في الحجاج اللغوي خاصيتان هما: التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية و توجيه المخاطب نحو وجهة محددة. فلم تعد اللغة مجرد وسيلة و أداة للحجاج بل صارت محلا له.

وإذا كان الحجاج اللغوي مرتبط بما توصل إليه "ديكر و أنسكومبر" في كتاب "الحجاج في اللغة" 1983 من أن اللغة ذات إمكانات حجاجية منطلقين من مقولة مؤداها "إننا نتكلم عامة بقصد التأثير" فإنني أتساءل هل يمكن القول أن بواذر هذا التفكير الذي يعي حمل اللغة للطاقة الحجاجية الكامنة فيها ترجع إلى ما قبل أرسطو وبالضبط عند السوفسطائيين، و هم علماء يونانيون كانوا يعلمون أبناء الأعيان كيف يستردون أملاكهم عن طريق المرافعات و الحوارات، فاكتشفوا ما للغة من قيمة حجاجية، ثم بعد ذلك أدركوا موقع اللغة و قيمتها في السيطرة على الأذهان، فتسلطوا باللغة وانحرفوا عن الجادة في استغلال الحجاج لتحقيق مكاسب ذاتية فكان حجاجهم مغالطيا¹.

¹ - ينظر: أحمد قادم، بلاغة الحجاج الأصول والامتداد،

https://www.youtube.com/watch?v=PH2jus_rwCo

الخطاتمة

الخاتمة

وفي الأخير يمكن القول إن ما خرجنا به من هذا البحث يتمثل في ذكر أهم النتائج المتوصل إليها وهي:

- شهد مفهوم التداولية تعددا لتعدد مصادرها المعرفية ما جعل بعضهم يسميها بالتداوليات، و لعل أوجز تعريف للتداولية هو: "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل". وقد أولت عناية فائقة للقصد الذي يعد في مقدمة البحث التداولي، فالمقصود دراسة المعنى الذي يرمي إليه المتكلم وليس المعنى التركيبي الحرفي، والمعنى ليس شيئا متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما.

- لعل أكبر عامل في تطور الخطابة السياسية وازدهارها يرجع إلى أمرين أساسين هما الصراع والحرية في التعبير وهذا ما كان سائداً عند اليونان حيث تطور الفن الخطابي بسبب الصراع حول ملكية الأراضي مما أسهم في بروز المرافعات و الخطب القضائية المطالبة باسترجاعها ، ثم العامل الثاني حيث كان الحكم في ق5م جمهورياً يعتمد فيه رجال السياسة للوصول إلى طموحاتهم على استرضاء الشعب و إقناعه من خلال الخطابة السياسية . و تطورت الديمقراطية عند الرومان بفضل العاملين كذلك، حيث يتمثل عامل الصراع في ما كان بين الشعب و الطبقة الارستقراطية لنيل الحرية ، وما كان من صراع عنيف كذلك بين الوثنية و المسيحية في القرن 2م ، و يتمثل عامل الحرية في أن شؤون الدولة كانت تناقش بحرية في مجلس الشيوخ وفي التجمعات الشعبية ، وقد مر ازدهارها عند العرب بمرحلتين تاريخيتين: الأولى في صدر الإسلام حيث كانت حرية التعبير سائدة ما أنتج خطبا تمثل التفاوض السياسي حول الخلافة كخطب السقيفة و خطب يوم الشورى، والمرحلة الثانية

كانت في ظل الصراع حول الحكم، في ظل الاضطراب السياسي في عهد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم ما شهده العصر الأموي من كثرة الأحزاب السياسية المتصارعة ما استدعى الاستعانة بالخطابة السياسية. ومن خلال ما ذكرنا من عاملي تطور الخطابة السياسية يمكننا القول: إن ما قيل بشأن أن الخطابة الغربية نشأت في جو الحرية، بينما الخطابة العربية نشأت في ظل العنف و سطوة السيف يحتاج إلى مراجعة وتدقيق.

- ما وصلنا عن موضوع الخطابة السياسية في التراث العربي كان يدور في استحقاق الخلافة وولاية العهد وخطب البيعة و إعلان السياسة المنتهجة من قبل الحاكم ، وقد تميزت الخطب المختارة بكونها صادرة من الخلفاء والولاة والأمرء موجهة إلى الجمهور (الرعية) متناسبة مع موضوعها السياسي.

-تبدو قيمة التحليل التداولي لهذه الخطب في كونه يسعى إلى الكشف عن جميع الظروف السياقية المحيطة به كمعرفة أطراف هذا الحدث المشاركين فيه (المتكلم والمستمع) ووضعياتهم وتبادل أدوار الكلام بينهم، و مدى إسهام الأفعال الإنجازية ومباحث الضمني في القول، والإشارات، والتقنيات الحجاجية الموظفة للوصول إلى القصد والهدف التداولي .

- تنوعت أفعال الكلام حيث اشتركت كلها في الإخباريات والتوجيهات والالتزاميات يضاف إليها في الخطبة البتراء "الإعلانيات"، وفي خطبة داود بن علي "الالتزاميات" ، وقد انمازت بغرض تداولي مهيم هو الحث على الطاعة. كما لجأ الخطباء في الخطب الثلاثة إلى توظيف التقنيات الحجاجية المتنوعة ومنها الحجاج بطرائق الوصل والفصل عند "بيرلمان" و"تيتيكا" ونظرية الحجاج اللغوي عند" ديكرو" و"انسكومبر" وغيرها، وقد كان لهذه الآليات الحجاجية أثر كبير في إقناع المخاطبين واستمالتهم .

-رغم تغلب الطابع الإقناعي للخطب السياسية العربية القديمة على الجانب الإمتاعي إلا أن هناك خطبا حضر فيها ازدواج الجانبين معا مما جلى أكثر دور الصورة الحجاجي في الخطبة، وهذا ما لمسناه في خطبة زياد بن أبيه في أهل البصرة، و خطبة داود بن علي

في أهل الكوفة. فتعانق الأسلوب مع الحجاج كفيل بالتأثير على المتلقي وتوجيهه إلى رأي الخطيب وفكره .

-استغلال بعض الخطباء مرتبتهم السياسية لجعلها تفويضا دينيا وإلهيا مطلقا لا سبيل إلى مخالفته كما في خطبة زياد بن أبيه: "أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم زادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا"، أما في خطبة داوود بن علي يتضح التفويض الإلهي في جعل الخلافة إرث وحق شرعي، ما يجعل الرعية تنتظر إليهم بعين القداسة أكثر من مجرد كونهم ولاة وخلفاء .

و يبقى البحث في دراسة الخطابة وفق المقاربة التداولية دائما مفتوحا لقراءات أخرى تُنتج مفاهيم أخرى وتثير تساؤلات جديدة. فالبحث في تداولية الخطابة اعتبره صالحا لكل زمان ومكان، فإذا كنا بحاجة للتداولية لفهم الخطابات القديمة، فإننا أحوج إليها في فهم الخُطب السياسية وغيرها في وقتنا الحالي، فإلى أي مدى تساهم التداولية بنظرياتها الغنية في أن تكون مفتاح الكشف عن مقاصد الخطباء المعاصرين؟

المحقق

الملحق: الخطب السياسية المختارة

خطبة البيعة لأبي بكر الصديق:

فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنِ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنِ أَسَأْتُ فَفَقِّمُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَا يَدْعُ قَوْمَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَضْرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذَّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إِلَيَّ صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ¹.

الخطبة البتراء لزياد بن أبيه:

أما بعد: فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغيي الموفي بأهله علي النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير و لا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول؟ أتكفون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية علي الباقية؟ و لا تذكرن أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله، وهذه المواخير المنصوبة؟ والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير القليل؟ ألم يكن منكم نهايةً يمنعون الغواية من دلج الليل وغارة النهار؟ قريتم القرابة وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر وتغضون عن المختلس. ! كل امرئ منكم يذب عن سفيهه؟ صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا؟ ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما

1 ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية، ج2، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1955، ص

ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم اطرقوا وراءكم كنوسا(أشخاص مشبوهين) في مكانس الريب.حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماء وإحراقا إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين في غير ضعف، و شدة في غير عنف، وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والمطيع بالعاصي والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول (انج سعد فقد هلك سعيد)، أو تستقيم لي قناتكم. إن كذبة المنبر بقاء مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبه فقد حلت لكم معصيتي، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في، واعلموا أن عندي أمثالها، من نعب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه. فإياي و دلج الليل فاني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم، وإياي ودعوى الجاهلية، فأني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم أحداثا وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، من غرق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نعب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه حيا فيه، فكفوا عني أيديكم وألسنتكم اكفف عنكم يدي ولساني، ولا تظهر على أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه، وقد كانت بيني وبين قوم إحنُّ فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي ، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا، ومن كان منكم مسيئا فليدع إساءته، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم، فرب مبتئس بقـدومنا سيسـر، ومسـرور بقـدومنا سـيبئس.

أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم زادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عليكم بفيء الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولىنا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا . واعلموا أني مهما قصرت فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا لليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانه، ولا مجمرا لكم بعثا (أي لا يبقي الجيش في أرض العدو في غير زمن الغزو). فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم ، وكهفكم الذي إليه تأوون ،ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشرّبوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك

غيطكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا به حاجتكم ، مع انه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم .اسأل الله أن يعين كلا على كل ، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على إذلاله (أي علي حاله) و أيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي.¹

خطبة داود بن علي في الكوفة:

الحمد لله شكرا شكرا الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه و سلم .

أيها الناس ! الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، و طلعت الشمس من مطلعها، و بزغ القمر من مبرزغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى النزعة ورجع الحق إلى نصابه، في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم. أيها الناس! إنا والله ما خرجنا لهذا الأمر لنكثر لجينا ولا عقيانا، ولا نحفر نهرا ولا نبنى قصرا، ولا لنجمع ذهبا ولا فضة، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبني عمنا وما كرتنا من أموركم وبظنا من شئونكم، ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا ويشد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم وخرقهم بكم واستذلالهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم، لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه و سلم وذمة العباس رحمه الله، أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم و الخاصة بسيرة رسول الله ﷺ .

تبا لبني حرب بن أمية وبني مروان، آثروا في مدتم وعصرهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام وظلموا الأنام، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربل الأوزار، وتجلبب الآصار، ومرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي، جهلا منهم

1 أحمد زكي صفوت ،جمهرة خطب العرب ج2، ص 257 وما بعدها

باستدراج الله، وأمنا لمكر الله، فأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق، فبعدا للقوم الظالمين.

وأدالنا الله من مروان، وقد غره بالله الغرور، أرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه، فظن عدو الله أن لن نقدر عليه، فنادى حزبه وجمع مكايده، ورمى بكتائبه، فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله، ومحق ضلاله، وجعل دائرة السوء به، و أحيا شرفنا و عزنا، ورد إلينا حقنا و إرثنا.

أيها الناس ! إن أمير المؤمنين -نصره الله نصرا عزيزا-، إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن اسحنفر فيه شدة الوعك، وادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن، وخليفة الشيطان، المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها بإبدال الدين و انتهاك حريم المسلمين، الشاب المتكهل المتمهل المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار، الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى، ومناهج التقوى- فعج الناس له بالدعاء - ثم قال: "يا أهل الكوفة إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان، فأحيا بهم حقنا ، وأفجج بهم حجتنا، وأظهر بهم دولتنا، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تتشوفون، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم، وبيض به وجوهكم، وأدالكم على أهل الشام، ونقل إليكم السلطان و عز الإسلام، ومن عليكم بإمام منحه العدالة، وأعطاه حسن الأيالة، فخذوا ما أتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تخذعوا عن أنفسكم، فإن الأمر أمركم، فإن لكل آل بيت مصرا، وإنكم مصرنا، ألا و إنه ما سعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، و أمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا و أولانا¹.

1- أحمد زكي صفوت، جمره خطب العرب، ج3، ص3 وما بعدها

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية -مدخل نظري-، دار الكتاب الجديدة المتحدة،
2010
2. أحمد المتوكل، "الوظائف التداولية في اللغة العربية"، منشورات الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985
3. أحمد الهاشمي ، القواعد الأساسية للغة العربية ، دار الرجاء ، عنابة ، الجزائر
4. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج2، مؤسسة المعارف،
بيروت
5. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د
ط، د ت
6. أحمد زكي صفوت ،جمهرة رسائل العرب ،الجزء الرابع،الشرط الثاني من رسائل
العصر العباسي الأول،المكتبة العلمية،بيروت، لبنان
7. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، شركة مكتبة و
مطبعة مصطفى الباني الحلبي و أولاده بمصر ، ط1 ، 1923 .
8. أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،
1996
9. أحمد محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة
الجامعية، مصر، 2002
10. أرسطو طاليس، "الخطابة"، الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق: عبد
الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979

11. الأزهر الزناد ، "نسيج النص" بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، دار البيضاء ، ط1 ، 1993
12. آمال يوسف المغامسي ، الحجاج في الحديث النبوي - دراسة تداولية- ، دار المتوسطة للنشر، ط1 ، 2016 ، تونس ، ص 133 ،
13. آن روبول و جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط1 ، 2003
14. بدر الدين أبي محمد محمود العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ج2 ، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود عمر، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2001
15. بهاء الدين محمد يزيد، تبسيط التداولية ، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010
16. الجاحظ، البيان والتبيان ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2.
17. جاك موشلر وأن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الباحثين بإشراف عز الدين المجذوب، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010.
18. جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، د ت
19. جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، الأردن ، ط1 ، 2016
20. جورج يول، التداولية pragmatics، تر: قصي العتابي، دار العربية للعلوم ناشرون، لبنان ، ط1، 2010
21. جوليا كريستيفا ، "علم النص" ، تر : فريد الزاهي ، مراجعة : عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط2 ، 1997

22. جون سيرفوني، الملفوظية ، تر: قاسم مقداد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1998
23. جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: د. عباس صادق الوهاب، مر: د. يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1987
24. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر
25. حازم القرطاجني منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تر: محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، ط3، 2008
26. الحسن بن سهل أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تر: علي محمد البجاوي و محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1
27. الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب ، إعداد : محمد مشبال، دار الأمان ، الرباط، ط1 ، 2014
28. حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981
29. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
30. خالد جليل ،"الدلالات والتداوليات علاقة و اشكاليات" ، "التداولية في البحث اللغوي والنقدي"، مؤسسة السياح ، لندن ط1 ، 2012
31. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات، ط1، 2008
32. ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، دار الأمل للنشر و الطباعة والتوزيع.

33. الرازي بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها وسنن العرب في كلامها ، تح: عمر فاروق الطباع ،مكتبة المعارف ، بيروت ط1 ، 1993
34. رامي منير ، الخطابة عند العرب ، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2005
35. رشيد الرازي ، المظاهر اللغوية للحجاج ، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية ، المركز الثقافي العربي، ط1 ، 2014 ، الدار البيضاء ، المغرب
36. الزمخشري جار الله محمود بن عمر بن أحمد ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
37. سامية الدريدي ، " الحجاج في الشعر العربي ، بنيته وأساليبه " ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الأردن ، ط2 ، 2011
38. سعيد يقطين ، "انفتاح النص الروائي" ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 1991
39. سعيد يقطين ، "انفتاح النص الروائي" ، المركز الثقافي العربي ، دط ، 1988
40. السيرافي أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه ، ج1 ،تح: أحمد حسن مهدي و علي سيد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2008
41. سيلفان أورو وجاك ديشان وجمال كولوغي، "فلسفة اللغة" ، تر: د. بسام كوسة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
42. شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء الجزء الأول، بيت الأفكار الدولية
43. شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء سير الحلفاء الراشدون تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة الرسالة، بيروت ط1، 1996
44. شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 14 ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي بلبنان ،ص 254

45. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، ط 20 ، 2002 ،
46. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط 16 ، 2004 ،
47. الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة، وإعداد الخطيب، دار الاعتصام.
48. صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1993 ،
49. طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام ومحمد عوض، التوجيه الأدبي، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1948
50. طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 2 ، 2000 ،
51. طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1998 ، الدار البيضاء ، المغرب ،
52. عبد الجليل شلبي: الخطابة و إعداد الخطيب ،دار الشروق، القاهرة، ط 1 ، 1981،
53. عبد الرحمان بن محمد بن الأنباري ، أسرار العربية ، تح :محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، د ت
54. عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 1 ، طبعة مستكملة ، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت
55. عبد السلام اسماعيلي علوي، ما التداوليات، مقال ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة ،تنسيق و تقديم: حافظ إسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط 2 ، 2014،
56. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، دار إفريقيا الشرق، المغرب ، 2006

57. عبد الكريم الجنابي، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2005
58. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013
59. عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج" (الخطابة الجديدة) لبرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" إشراف: حمادي صمود، فريق البحث في البلاغة والحجاج، كلية الآداب، منوبة، جامعة الآداب والفنون و العلوم الإنسانية، تونس 1
60. عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م، ص 661
61. عبد الملك مرتاض، "نظرية البلاغة"، نظرية البلاغة، دار القدس العربي، ط2، 2010
62. عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي ج 2، دار الجيل، بيروت
63. عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج و أدواته، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه و مجالاته، ج 1، إعداد: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2010
64. عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004
65. عثمان بن جني أبو الفتح، "الخصائص"، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط2، د ت

66. عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجذري بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار ابن حزم ، ط ، د ت
67. عز الدين الناجح، الحجاج في الخطاب القانوني،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، تونس
68. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر و التوزيع ،صفاقس ،تونس ،ط1 ، 2011
69. العزاوي أبوبكر، "اللغة والحجاج" ، العمدة في الطبع ، ط1 ، 2006
70. علي محمود الصراف، في البراجماتية ،الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة -دراسة دلالية و معجم سياقي،الناشر: مكتبة الآداب علي حسن،القاهرة،ط1 ، 2010
71. عماد عبد اللطيف ، تحليل الخطاب السياسي ،(نموذج إرشادي)، مقال في كتاب بلاغة النص التراثي (مقاربات بلاغية حجاجية) ، اشراف : محمد مشبال ، دار العين للنشر ، ط1 ، 2013
72. عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي الجزء الأول، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط4 ، 1981
73. العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، دار الآمان ، الرباط ، ط1 ، 2011
74. فاطمة تجور؛ وعبد الرحمن عبد الرحيم، الأدب في صدر الإسلام، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2010/2011
75. فان ديك، النص و السياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي، تر:عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب ، 2000
76. فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تح: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر ،بيروت

77. فرانسوا مورو، البلاغة، المدخل لدراسة الصور البيانية، تر: محمد الولي وعائشة جريز، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2003
78. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، دط، دت
79. فردينان دي سوسير، "علم اللغة العام"، تر: د. يوثيل يوسف عزيز، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، بغداد العراق، د.ط، 1985
80. فيليب بلانشيه، "التداولية من أوستين إلى غوفمان"، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007
81. قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق و تعليق : طه حسين و عبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، 1941
82. القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003
83. كمال رشيد، الزمن النحوي في اللغة العربية، عالم الثقافة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2008
84. لويس شيخو، كتاب علم الأدب، ج2، في علم الخطابة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، ط3، 1926
85. محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت
86. محمد الأخضر الصبيحي، "مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008
87. محمد الصغير بناني، "النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994

88. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب،
دط، 1999.
89. محمد العمري، "في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة
الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجاً"، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2،
2002.
90. محمد بن أحمد أبو الحسن بن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، تح: عباس عبد
الساتر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 2005
91. محمد بن أحمد أبو الوليد بن رشد (520-595هـ)، تلخيص الخطابة، تحقيق
وشرح: د. محمد سليم سالم، الكتاب الرابع عشر، يشرف على إصدارها محمد توفيق
عويضة، القاهرة، 1967
92. محمد خطابي ، "لسانيات النص" مدخل الى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي
العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط 1 ، 1991
93. محمد صادق الأسدي، تداولية الخطاب الديني في كتاب التوحيد للشيخ صدوق
،مركز عين للدراسات و البحوث المعاصرة، ط 1 ، 2018
94. محمد عبد السميع جاد وآخرون، محاضرات في علم الخطابة النظرية والعلمية،
مطبعة الفجر الجديد، د ط، د ت
95. محمد محمد يونس علي، "مدخل إلى اللسانيات"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت
،لبنان، ط1 ، 2004
96. محمود عكاشة "لغة الخطاب السياسي" دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية
الإتصال) دار النشر للجامعات ،مصر، ط1، 2005
97. محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة
والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013

98. محمود محمد رسلان، الخطابة، نشأتها وميادينها، دار التقوى للنشر والتوزيع، ط2، 2006
99. محمود محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق ، مكتبة الايمان للنشر والتوزيع المنصورة مصر ط 1 ، 1997
100. مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005
101. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ،دار التنوير ، الجزائر ، ط 2 ، 2020 ،
102. نبيل خالد رباح أبو علي، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي 656 هـ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993
103. نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي 2009 ،تونس
104. نعمان بوقرة ، "المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب" جدار للكتاب العالمي ، عمان ، الأردن ، ط1، 2009
105. نعمان بوقرة ،لسانيات الخطاب (مباحث في التأسيس و الإجراء)،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2012
106. نعمان بوقرة، " المدارس اللسانية المعاصرة"، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د ط ، د ت ،
107. نقولا فياض، الخطابة، دار الهلال، مصر، ط2
108. هشام الريفى، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ، ضمن كتاب " أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم" إشراف:حمادي صمود،فريق البحث في البلاغة والحجاج،كلية الآداب، منوبة،جامعة الآداب والفنون و العلوم الإنسانية، تونس1

109. يوسف السيساوي، الإشارات مقارنة تداولية، ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، تنسيق : حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط 2 ، 2014،

الدوريات والمجلات:

1. إدريس جبيري، حكايات من أجل الإقناع في كتاب "بلاغة الحجاج، الأصول اليونانية" للحسين بنو هاشم، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 06، 2015، المغرب.
2. ألفا أوصمان باري، مقال تحليل الخطاب: أسسه النظرية، تر: لحسن بوتكلاي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد 5، 2014.
3. انمار إبراهيم احمد و خالد سهر محيي ، في مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي ، مجلة ديالي ، العدد 71 ، 2016
4. بشير أبرير ، "مفهوم النص في التراث اللساني العربي"، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 23 ، العدد الأول ، 2007
5. بودريس درهمان، مدخل إلى النظرية التداولية، مجلة علوم التربية، الناشر : أحمد أوزي، المغرب
6. حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري" ، مجلة عالم الفكر ، العدد 01 ، المجلد 50 ، 2001 ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب
7. حسن بدوح ، آليات الاستدلال على المعاني الضمنية في اللغة العربية،مجلة اللسانيات و تحليل الخطاب، شبر 2015 ، العدد 2
8. خالد إسماعيل صاحب، "الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية"، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة ذي قار ، المجلد 5 ، العدد (1) ، آذار ، 2015

9. ذهبية حمو الحاج، التحليل التداولي للخطاب السياسي، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، العدد، 2 .
10. رضوان الرقبي ، الاستدلال الحجاجي التداولي و آليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، العدد 02 ، المجلد 40 ، 2011 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت
11. صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند غرايس، حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية .الكويت، الحولية 25 ، الرسالة 230 ، 2005
12. عائشة هديم، نظرية الملاءمة نظرية ثورية في التواصل - المقولات و الامتدادات المفهومية- مجلة الخطاب ، مج 13 ، عدد 2
13. عبد الجليل هنوش ، ابن طباطبا العلوي و التصور التداولي للشعر، الرسالة 168 ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية الحادية والعشرون ، 2001 ، جامعة الكويت
14. عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، دورية الدراسات الأدبية، جامعة وهران، العدد 1، ماي 2008
15. عبد الرحمان بدوي ، اللغة والمنطق في الدراسات الحالية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 2 ، العدد ، 1 ، 1971 ، الكويت
16. عز الدين لعناني، "تحولات الدرس اللساني" ، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو، العدد 30، 2014
17. العزاوي أبوبكر، الدرس التداولي في الفكر اللغوي القديم ، ابن جني نموذجاً، مجلة أبوليوس، المجلد 06 ، العدد 01 ، جانفي 2019
18. عماد عبد اللطيف ، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي ، مجلة الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب.جامعة تيزي وزو، العدد 14
19. عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي، التاريخ والمناهج والآفاق، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، عدد6، 2015

20. محمد العبد ، "النص الحجاجي العربي" جذور ، ج 21 ، مج 9 ، سبتمبر 2005
21. محمد الولي ، "بناء الخطبة وترتيب الحجج عند أرسطو"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 04، 2014.
22. محند الركيك، " نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة"، عدد خاص بالتواصل الإنساني وأشكاله، مجلة علامات، العدد 24، 2005، موقع سعيد بنكراد الإلكتروني .
23. يحياتن محمد ، الأصالة في نظر رضا مالك ، تحليل الخطاب من خلال نظرية الحديث أو التلفظ،(مقال) مجلة اللغة والأدب، العدد 14 ، ديسمبر 1999 ، دار الحكمة ، الجزائر
- سيتوغرافيا:
1. أحمد قادم، بلاغة الحجاج الأصول والامتداد. هذه المحاضرة هي اليوم الثالث من ندوة بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب التي عقدها قسم اللغة العربية ،آدابها بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم قدمها :أ.د أحمد قادم 1-2-1439/7/3 هـ الساعة:10.00 ص - 12.00 م .
https://www.youtube.com/watch?v=PH2jus_rwCo
2. جميل حمداوي، التداوليات و تحليل الخطاب ، شبكة الألوكة الالكترونية
[/https://www.alukah.net](https://www.alukah.net)
3. جميل حمداوي، "نظريات الحجاج".دار الألوكة للنشر ، 2013 ،
[/https://www.alukah.net](https://www.alukah.net)
4. رضوان الرقبي ، صحيفة المثقف ، العدد 3204 ، 2015/06/14
<http://www.almothaqaf.com/a/b12-1/894407>
5. سعيد العوادي ، الاتجاه اللغوي في الحجاج/ هذه المحاضرة هي اليوم الثاني من ندوة بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب التي عقدها قسم اللغة العربية ،آدابها بكلية اللغة

العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم السعودية. 1-2-3/7/1439هـ
الساعة: 10.00 ص - 12.00 م

https://www.youtube.com/watch?v=kKBR_AFLEjk

6. عبد الرحمان بودرع، مفهوم الزمن في النحو والصرف، كُتب : 06-20-2019 ،
www.m-a-arabia.com

7. عبد السلام إسماعيل علوي، التلفظ والإنجاز،

[https://www.aljabriabed.net/n58_08abdeslamamawi.\(2\).htm](https://www.aljabriabed.net/n58_08abdeslamamawi.(2).htm)

8. عبد المحسن بن عبد الله التخيفي ، أدب التخاطب في السنة النبوية ، ص 06

<https://www.alukah.net/web/tekhifi/10317/19265>

9. العزاوي أبو بكر، اللسانيات المؤسسة على الاستعمال،

https://www.youtube.com/watch?v=_IIOUIMsF3k

10. عمر أوكان ، www.aljabriabed.net/n36_08ukan.htm

11. محمد الربيعة ، علم السياق القرآني ، (مفهوم السياق عند العلماء) ، مقال
الالكتروني ، موقع ملتقى أهل التفسير، 18/01/2007، [/https://vb.tafsir.net](https://vb.tafsir.net)

الفهرس

الفهرس

مقدمة.....أ - ح

المدخل

دراسة في المفاهيم النظرية للبحث:

1. الحياة الأدبية و السياسية في القرنين الأول و الثاني الهجريين:

أولاً: الحياة الأدبية(النثر):.....10

أ -النثر في صدر الإسلام.....11

ب-النثر في العصر الأموي.....13

ج-النثر في العصر العباسي.....14

ثانياً:الحياة السياسية:

أ-الحياة السياسية في صدر الإسلام.....15

ب-الحياة السياسية في العصر الأموي.....16

ج-الحياة السياسية في العصر العباسي.....18

2-النص والخطاب:

أ-مفهوم النص في التراث العربي.....19

ب-مفهوم النص في الدراسات الحديثة.....19

ج-الخطاب في التراث العربي.....21

د-الخطاب في الدراسات الحديثة.....22

هـ-بين النص والخطاب.....23

الفصل الأول

الخطابة(دراسة نظرية في المفاهيم و النشأة و التطور)

المبحث الأول: الخطابة

1-الخطابة لغة واصطلاحاً.....29

- 2-الخطابة(نظرة تاريخية).....32
- أ-الخطابة في الثقافة الغربية(عند اليونان والرومان).....32
- ب-الخطابة عند العرب.....34
- 3-أجزاء الخطبة:(ترتيب أجزاء القول).....41
- أ-المقدمة.....41
- ب-العرض.....42
- ج-التدليل.....42
- د-الخاتمة.....43
- 4-أنواع الخطابة:.....44
- 5-عناصر بناء الخطبة (أصولها).....46
- الإيجاد.....47
- الترتيب.....48
- الأسلوب.....48
- الفعل(الإلقاء).....48
- الذاكرة.....48
- 6-مقومات الخطابة (عدة الخطيب وصفاته).....48
- 7-أهمية الخطابة وفائدتها وغايتها.....51
- 8-علاقة الخطابة بغيرها من العلوم.....54
- أ-علاقتها بالمنطق.....54
- ب-علاقة الخطابة بعلم النفس.....55
- ج-علاقة الخطابة بعلم الاجتماع.....55
- المبحث الثاني: الاتصال و الخطاب السياسي**
- 1-مفهوم التواصل بين التأصيل و التأسيس و التنظير
- أ-مفهوم التواصل في التراث العربي(التأصيل).....56
- ب-مفهوم التواصل عند المحدثين:
- 1-مرحلة التأسيس(دي سوسير).....57

- 2-مرحلة التنظير(رومان جاكبسون).....58
- 2-نظرية الاتصال.....60
- 3-الاتصال السياسي.....60
- 4-مفهوم الخطاب السياسي.....60
- 5-الخطاب السياسي في التراث العربي.....61

المبحث الثالث: الخطابة السياسية في القرنين الأول و الثاني الهجريين

- 1-مفهومها.....62
- 2-تطورها:.....62
- أ-الخطابة السياسية في صدر الإسلام.....63
- ب-الخطابة السياسية في العصر الأموي.....63
- ج-الخطابة السياسية في العصر العباسي.....65
- 3-خصائص أسلوبها.....66
- 4-الخطابة والتداولية.....67
- خاتمة الفصل.....70

الفصل الثاني

المبحث الأول: مبحث لساني من البنيوية إلى التداولية.....75

- 1-المبادئ العامة للسانيات عند دي سوسير وتشومسكي.....76
- أ-لسانيات دي سوسير.....76
- ب-نظرية تشومسكي التحويلية والتوليدية.....79
- 2-نقد الاتجاهين البنيوي والتوليدي التحويلي

أ-نقد الاتجاه البنيوي.....80

ب-نقد الاتجاه التوليدي التحويلي.....81

المبحث الثاني: التداولية

1-المصطلح والمفهوم

أ-مصطلح التداولية عند الغرب.....83

ب-ترجمة المصطلح في الدرس اللساني العربي.....84

ج- مفهوم التداولية.....	86
2-نشأة التداولية.....	88
3-قضايا التداولية:.....	93
أ-الأفعال الكلامية.....	93
ب-الاستلزام الحواري.....	94
ج-متضمنات القول:.....	95
-الافتراض المسبق.....	95
-الأقوال المضمرة.....	96
د-الإشاريات.....	96
هـ-الحجاج:.....	97
و-نظرية الملائمة.....	99
ز-نظرية التلطف.....	104
4-علاقة التداولية بتخصصات أخرى:.....	107
أ-علاقتها باللسانيات و اللسانيات البنوية.....	107
ب-علاقتها بعلم الدلالة.....	109
ج-علاقتها بالنحو الوظيفي.....	110
د-علاقتها باللسانيات الاجتماعية.....	111
هـ-علاقتها باللسانيات النفسية.....	111
و-علاقتها باللسانيات التعليمية.....	111
ز - علاقتها بتحليل الخطاب.....	112
ح- علاقتها باللسانيات النصية.....	114
المبحث الثالث: التفكير التداولي عند العرب (من قضايا التداولية في الدرس العربي القديم)	
1- البلاغة:	115
أ-مفهوم البلاغة المرتبط بالاتصال.....	116
ب-مفهوم البلاغة والوصول إلى المخاطب.....	117

2-	الأبعاد التداولية في البلاغة العربية:	
أ-	تداولية المتكلم في البلاغة العربية.....	118
ب-	تداولية المخاطب في البلاغة العربية.....	120
ج-	تداولية الخطاب في البلاغة العربية.....	122
3-	البعد التداولي في الخبر والإنشاء.....	124
4-	مفهوم اللغة والفعل.....	125
5-	البعد التداولي في النحو.....	126
6-	البعد التداولي المرتبط بالشعر ونقده.....	127
	خاتمة الفصل.....	130

الفصل الثالث:

أفعال الكلام في الخطب المختارة (دراسة نظرية تطبيقية)

	المبحث الأول: السياق وعناصره.....	132
1-	مفهوم السياق.....	133
2-	مناسبة الخطب المختارة:.....	134
أ-	مناسبة خطبة البيعة لأبي بكر الصديق.....	134
ب-	مناسبة الخطبة البتراء لزياد بن أبيه.....	134
ج-	مناسبة خطبة داود بن علي.....	134
3-	العوامل غير اللفظية.....	135
أ-	في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق.....	135
ب-	في الخطبة البتراء لزياد بن أبيه.....	135
ج-	في خطبة داود بن علي.....	135
4-	المرسل.....	136
أ-	تعريف المتكلم (أبي بكر الصديق).....	136
ب-	تعريف المتكلم (زياد بن أبيه).....	137
ج-	تعريف المتكلم (داود بن علي).....	137
5-	المخاطب (المرسل إليه):.....	137

- أ- المرسل إليه في خطبة البيعة.....138
- ب- المرسل إليه في الخطبة البتراء.....138
- ج- المرسل إليه في خطبة داود بن علي.....138
- 6- الموضوع:.....138
- أ- موضوع خطبة البيعة.....138
- ب- موضوع الخطبة البتراء.....139
- ج- موضوع خطبة داود بن علي.....140
- 5- القصد:.....140
- أ- القصد في خطبة البيعة.....141
- ب- القصد في الخطبة البتراء.....141
- ج- القصد في خطبة داود بن علي.....142
- المبحث الثاني: أفعال الكلام في الخطب المختارة (دراسة نظرية وتطبيقية)**
- أولاً: الدرس النظري:**
- أولاً- الأفعال الكلامية (النشأة والمفهوم و التطور)**
- 1- النشأة.....142
- 2- المصطلح والمفهوم.....143
- 3- التطور:.....145
- أ- مرحلة بناء النظرية (جهود أوستين).....145
- ب- مرحلة نضج النظرية (جهود سيرل).....149
- 2- نقد النظرية.....157
- ثانياً: الدرس التطبيقي: (أفعال الكلام في الخطب المختارة حسب تصنيف "سيرل")**
- 1- أفعال الكلام في خطبة البيعة لأبي بكر الصديق:.....157
- أ- الأفعال الإخبارية.....158
- ب- الأفعال الالتزامية.....159
- ج- الأفعال التوجيهية.....160
- 2- أفعال الكلام في الخطبة البتراء.....161

161.....	-الأفعال الإخبارية
164.....	-الأفعال التوجيهية
167.....	-أفعال الالتزام
170.....	-الإعلانات
171.....	3-أفعال الكلام في خطبة داود بن علي:
171.....	-الأفعال الإخبارية
174.....	-الأفعال التوجيهية
175.....	-الأفعال التعبيرية
176.....	-أفعال الالتزام
176.....	خاتمة الفصل

الفصل الرابع

(الضمني و الإشارات في الخطب المختارة-دراسة نظرية و تطبيقية)

المبحث الأول:الاستلزام التخاطبي

180.....	أولاً: الدرس النظري:
182.....	1-الاستلزام التخاطبي:(المصطلح والمفهوم)
184.....	2-أنواع الاستلزام التخاطبي:
184.....	3-الاستلزام التخاطبي (الأصول والمنطلقات والسياق الفلسفي)
185.....	4-رأي بول غرايس
186.....	5-علاقة الاستلزام التخاطبي بنظرية الأفعال اللغوية
187.....	6-مبدأ التعاون عند بول غرايس

ثانياً: الدرس التطبيقي:الاستلزام التخاطبي في الخطب المختارة

190.....	1-الاستلزام التخاطبي في الخطبة البتراء
192.....	2-الاستلزام التخاطبي في خطبة داود بن علي

المبحث الثاني: متضمنات القول

195.....	أولاً: الدرس النظري:
196.....	أ-الافتراض المسبق

- ب-الأقوال المضمرة.....196.....
 ثانيا: الدرس التطبيقي:
- 1-متضمنات القول في خطبة أبي بكر الصديق.....197.....
 -الافتراض المسبق.....197.....
- 2-متضمنات القول في الخطبة البتراء.....197.....
 أ-الافتراض المسبق.....197.....
- ب-الأقوال المضمرة.....198.....
- 3-متضمنات القول في خطبة داود بن علي.....199.....
 أ-الافتراض المسبق.....199.....
- ب-الأقوال المضمرة.....200.....
- المبحث الثالث: الإشارات**
- أولاً: الدرس النظري:.....201.....
- 1-مفهوم الإشارات.....202.....
- 2-أنواع الإشارات:.....204.....
- أ-الإشارات الشخصية.....204.....
- ب-الإشارات الزمانية.....205.....
- ج-الإشارات المكانية.....205.....
- د-إشارات الخطاب.....206.....
- هـ-الإشارات الاجتماعية.....208.....
- ثانيا: الدرس التطبيقي:
- 1-الإشارات الشخصية:.....207.....
- أ-الإشارات الشخصية في خطبة البيعة.....207.....
- ب-الإشارات الشخصية في الخطبة البتراء.....211.....
- تبادل أدوار الكلام وأثره في تحول المرجع الإشاري في الخطبة البتراء.213.....
- ج-الإشارات الشخصية في خطبة داود بن علي.....219.....
- 2-الإشارات الزمانية:.....222.....

- 222.....أ-الإشارات الزمانية في خطبة البيعة.
- 224.....ب-الإشارات الزمانية في الخطبة البتراء:
- 224.....إشارات الزمن الكوني.
- 224.....إشارات الزمن النحوي:
- 1-الفعل الماضي و دلالاته:
- 225.....أ-دلالاته على الماضي.
- 225.....ب-دلالاته على الحال.
- 227.....ج-دلالاته على المستقبل.
- 228.....2-الفعل المضارع ودلالاته:
- 229.....أ-دلالاته على الحاضر والمستقبل.
- 231.....ب-دلالاته على الماضي.
- 232.....3-دلالة فعل الأمر على الزمن.
- 235.....ج-الإشارات الزمانية في خطبة داود بن علي:
- 235.....إشارات الزمن الكوني.
- 236.....إشارات الزمن النحوي:
- 236.....1-الفعل الماضي و دلالاته:
- 236.....أ- دلالاته على الماضي.
- 237.....ب-دلالاته على الحاضر.
- 238.....ج-دلالاته على المستقبل.
- 239.....2-الفعل المضارع ودلالاته:
- 239.....أ-دلالاته على الحاضر والمستقبل.
- 239.....ب-دلالاته على الماضي.
- 240.....3-دلالة فعل الأمر على الزمن.
- 242.....3-الإشارات المكانية:
- 242.....أ-الإشارات المكانية في الخطبة البتراء.
- 244.....ب-الإشارات المكانية في خطبة داود بن علي.

- 4-الإشارات الاجتماعية:.....245
أ-الإشارات الاجتماعية في الخطبة البتراء.....245
ب-الإشارات الاجتماعية في خطبة داود بن علي.....246
خاتمة الفصل.....248

الفصل الخامس

الحجاج في الخطب السياسية المختارة (دراسة نظرية وتطبيقية)

أولاً: الجانب النظري:

- 1-الخطابة والحجاج.....250
2-التداولية والحجاج.....253
3-الحجاج: (المفهوم).....257
-الحجاج في السياق الغربي القديم.....257
-الحجاج في التراث العربي الإسلامي.....259
-الحجاج في السياق الغربي الحديث.....260

ثانياً: الجانب التطبيقي (التقنيات الحجاجية في الخطب المختارة)

- أولاً: تقنيات الحجاج عند "بيرلمان" و"تيتيكا".....263
*الطرائق الإتصالية:.....264
1-الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية:.....264
-التناقض وعدم الاتفاق.....264
-الحجج القائمة على العلاقة التبادلية وعلى قاعدة العدل.....265
-الحجج القائمة على التعدية.....266
2-الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية.....266
-تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له.....266
3-الحجج المؤسسة على بنية الواقع:.....268
أ-الاتصال التتابعي - الوصل السببي والحجاج268
ب- الاتصال التوايدي:.....271
-الشخص وأعماله.....271

- 273.....حجة السلطة-
- 275.....الاتصال الرمزي-
- 276.....4-الحجج المؤسسة لبنية الواقع:
- 276.....أ-تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة.
- 276.....-المثل والشاهد أو الاستشهاد والنموذج.
- 276.....-الاستدلال بواسطة التمثيل.
- 280.....* الطرائق الانفصالية.
- ثانيا:الخطب المختارة في ضوء نظرية الحجاج اللغوي
الحجاج اللغوي: (ديكرو وأنسكومبر)
- 281.....-مفهوم الحجاج اللغوي.
- 283.....أ-القرائن الحجاجية:
- 283.....ب-السلم الحجاجي.
- 286.....الدرس التطبيقي: القرائن الحجاجية في الخطب المختارة.
- 286.....أ-الروابط الحجاجية:
- 286.....-الرابط حتى.
- 288.....-الرابطان الواو والفاء.
- 290.....-رابط التقابل.
- 290.....-الرابط ثم.
- 290.....-الرابط "ما الظرفية".
- 290.....ب-العوامل الحجاجية:
- 291.....1-الحجاج بالنفي.
- 293.....2-الحجاج بالقصر:
- 295.....-الحجاج بالتوكيد.
- 297.....-العوامل الحجاجية (المكونات المعجمية):
- 298.....ج- السلم الحجاجي.
- 301.....خاتمة الفصل.

305.....	الخاتمة
309.....	الملحق
314.....	قائمة المصادر والمراجع
329.....	الفهرس

المخلص:

تهدف النظرية التداولية إلى وصف خصائص العبارات اللغوية وتفسيرها وربطها بسياقات إنتاجها وبأغراضها التواصلية، وهذا ما يؤدي دوراً فعالاً في عملية تأويل الخطاب، وتُعدُّ الخطابة السياسية أكثر أنواع الخطابات التصاقاً بالتداولية وآلياتها، فهي خطاب التأثير على الآخر وجعله يبادر إلى العمل ويفكر ويعتقد -كما يرى "غجليون" ghiglione- وتدخل ضمن الاتصال السياسي وهو تفاعل بين طرفين من خلال قناة معينة حول قضية معينة بلغة وظيفية تواصلية ذات بعد تداولي ينصرف إلى قصد المتكلم وإرادته في توجيه الخطاب للآخر بغية تسويق هذا القصد، وكانت الخطابة السياسية في التراث العربي النموذج التطبيقي المختار للمقاربة التداولية من خلال التركيز على قضاياها المتمثلة في أفعال الكلام والاستلزام الحوارية و متضمنات القول والإشارات والحجاج، وهي مباحث لصيقة بالخطابة السياسية، فالخطيب السياسي يلجأ إلى محاولة التأثير في الجمهور وإقناعه وهذا ما يدفعه إلى الاستعانة بأفعال الكلام. فلم تعد الملفات مجرد نقل للأخبار ووصف لها بل هي أداء و إنجاز لأعمال بعينها يتوقف نجاحها أو فشلها على مدى تجاوب المتلقي مع المتكلم من عدمه، كما أن إقناع الجمهور والتأثير فيه مرتبط بالحجاج الذي يرتبط بأفعال الكلام كذلك، فكلاهما يشترك في هدف ممارسة التأثير والإقناع على السامع، ويهدف الخطيب من خلال الحجاج إلى إتباع طريقة معينة في عرض الأدلة والحجج للتأثير على المخاطب ما يؤدي إلى إذعانه وتسليمه، سواء بتغيير رأي السامع أو تثبيته أو إنشاء معتقد جديد لديه، و إذا كان الباعث الأساسي لتوظيف الضمني هو التأدب في الحديث، فإن الخطيب السياسي يلجأ إلى باب الضمني لداعي منفعي تداولي صرف، حيث يضع كل همه في ما يجنيه من وراءه. أما توظيف المشيرات فتكمن أهميتها في دخولها في باب تحديد المعنى من

خلال الإحالة على المراجع المشار إليها، والتي هي في تغير دائم مع تغير استعمال اللغة، وقد كانت ظروف النشأة والتطور للخطابة السياسية العربية القديمة لا تختلف كثيرا عن الخطابة السياسية الغربية ولا سيما اليونانية والرومانية بالرغم من محاولة إظهار أن الخطابة السياسية الغربية نتاج الحرية، بينما الخطابة السياسية العربية نتاج السيف و القوة، ويمكن أن نقول بأن فهم عمل وخطط خطباء السياسة الأولين سبيل إلى رسم منهج ينير درب خلفهم المحدثين والمعاصرين.

Summary :

The purpose of the parliamentary theory is to describe the characteristics of language, its interpretation, its relationship to the contexts of its production and its communication objectives, which plays an active role in the interpretation of speech. Political rhetoric is most closely linked to parliament discourse and mechanisms. It is a discourse that influences the other and pushes him to work, think and believe – as Giglione believe - and it interferes with political communication, which is an interaction between the two parties through a certain channel on a particular issue in a function, simultaneous language after a deliberate approach that is consistent with the speaker's intention and willingness to direct the discourse to the other to promote that intention. The political discourse in the Arab heritage was the applied model chosen for the parliamentary approach by focusing on its issues, which are represented in the acts of speech, the exigency of dialogue, the implications of words, the slander and the pilgrims, and it is a true political discourse. Political orator tries to influence and persuade the public, and this is why it is used to use speech acts so that the files are no longer just a news transmission and a description, but a performance and a performance for certain acts whose success or failure depends on whether the recipient responds to the speaker or not. The public's persuasion and influence are also linked to arguments related to acts of speech, both of which share the goal of exerting influence and persuasion on the hearing, and the aim of the speaker through pilgrims is to follow a certain way of presenting evidence and arguments to influence the speaker, thereby causing his acquisition. Whether by changing the opinion of the Samaa or installing it or creating a new belief in it and if the main

reason for employing the implicit to politeness in the speech, the political orator resorts to the door of the implicit one for a pure outlet. It is important to be involved in defining meaning through reference to the references referred to, which are in constant change as the use of the language changes. The circumstances of the rise and development of the old Arab political rhetoric were not very different from the Western political rhetoric, especially the Greek and Roman ones, despite the attempt to show that Western political rhetoric is the product of freedom, while Arab political rhetoric is the product of sword and power. It can be said that understanding the work and plans of the first political speakers is a way of drawing a curriculum that spurs the path of modern and contemporary speakers.